المركز القومى للترجمة

اثنتا عشرة مسرحية مختارة

من المسرح اليونانى الحديث

الطبعة الثانية

المشروع القومى للترجمة

ترجمة :

نعيم عطية

2/141

لمزيد من الكتب وفي جميع المجالات

زوروا

منتدى إقرأ الثقافي

الموقع: HTTP://IQRA.AHLAMONTADA.COM/

فيسبوك:

HTTPS://WWW.FACEBOOK.COM/IQRA.AHLAMONTADA/

اثنتا عشرة مسرحية مختارة
من المسرح اليونانى الحديث

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ١٤١/ ٢
- اثنتا عشرة مسرحية مختارة من المسرح اليونانى الحديث
- نعيم عطية
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة مختارات من المسرح اليونانى

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة.

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

اثنتا عشرة مسرحية مختارة
من المسرح اليونانى الحديث

ترجمها عن اليونانية وقدم لها:

نعيم عطية

٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٠٦٣٣ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 0 - 293 - 479 - 977 - 978
طبع بمطابع مصر للطيران

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

إهداء

إلى الراحل العزيز

الناقد الكبير فؤاد دوارة

تحية لإسهامه فى خدمة المسرح المصرى ودفعه له

بكلماته المضيئة المتأنية نحو الكمال والإجادة

ن . ع

اتجاهات المسرح اليونانى الحديث

خضعت الأعمـال الدرامية «**للمدرسة الأثينية الجديدة**» لتأثير المسرح الأوربى المعاصـر، وبالأخص للمدرسة الواقـعية التى بدأت بالسـيادة على المسرح الحـديث . وهذا الذى حدث فى المسرح حدث فى القـصة والرواية أيضا . وعلى الرغم من أن بعض الأعمال الدراميـة الحديثة قد توفرت لها مقومات الأعمال الجيدة إلاّ أنها لم ترْقَ إلى المستوى العالى الذى وصل إليه الشعر اليونانى الحديث بل ولا حتى إلى المسـتوى الأدنى الذى بلغته القصة والرواية اليونانية الحديثة .

وقـد بدأت الأعمـال الدراميـة الحـديثة فى اليـونان بالاعـتمـاد على الموضوعات الفكهة العاطفية وقدمت أعمـال كوميدية خفيفة الظل ، بخلفية من العادات والتقاليد الشعبية، تتخللها بعض الأغانى . وقد احتذى المسرح اليونانى الحديث فى ذلك بمسرح الفودفيل الفرنسى . وفى عام ١٨٨٩ طعّم **إيفانجيلوس باندوبولوس** مسرحية «الطحـانون» ببعض الأغانى، فراق ذلك للجمهـور فأقبل مقدمو الأعـمال المسرحية اليونانيـة على الاحتذاء بذلك. مكثرين من مـسرحيـات الحب والغناء . وكان فى طليـعة من برز فى هذا المضمار الأثينى **ذيمتريوس كـوروميلاس** (١٨٥٠ - ١٨٩٨) الذى يعتـبره الكثـيرون مؤسس المســرح اليونانى الحـديث وبالأخص ؛ لأنه كمـا سنرى حالا ، لم يكتف بالكوميديات الـعاطفية الخفيفة ، بل قـدم أيضا دراميات عاطفيـة . وقد لقيت مسـرحـيته «حظ ماروﻻس» استـحسان الجـماهير ، وظلت تُقدَّم على المسرح الأثينى لسنوات عديدة . وقد كان ممن أسهموا فى تأليف أعمـال الفودفـيل اليونانى **ذيمتريوس كـوكوس** (١٨٦٧ - ١٨٩١) الذى كـتب «المعلم ليناردوس» و«القـبطان ياكومـيس» و«قـيثـارة العجـوز نيقولاس» وقد أعجب الجمهور اليونانى بهذه الأعمال فى حينها .

وقد كـان ديمتريوس كـوروميـلاس أول من قدم فى الأدب المسـرحى اليونانى الحديث المسرحية العاطفية غـير الفكاهية ، معتمدة على قصة حب شجنية تتخللها الأغانى، وترتكز على خلفيـة من المقومات الشعبية . وهو ما يعد مواكبة للقصـة والرواية التى رأيناها تبدأ بالتحرك من خلال العادات والتـقاليـد الشعـبيـة . وكانـت أولى مسـرحيـات هذا النوع الذى قدمـه كورميلاس مسرحية «حبيب راعية الأغنام الصغيرة» وهى من أبدع الأعمال المسرحية ولازالت تؤثـر فى كثير من العامة حتى عند تـقديمها اليوم . ومن الأعمال الطيـبة أيضا فى هذا المضمـار «التعويذة» لسبيروس بيـريسياذيس (١٨٦٤ - ١٩١٢) و «خايذو الحـسناء» و«ذيمولا بائعـة الألبان» لباناغوس ميليسيوتيس (١٨٥٤-١٩٠٤) .

ومن تأثيرات المسرح الفرنسى أيضا تلك المسرحيات الانتقادية ، وليس بلازم أن تكون قوية البنيـان دراميًا ، والتى تُعنَى أولاً وأخـيراً بالترفـيه عن الناس بالسخرية من أبرز الأحداث والشخصيات، وعلى الأخص السياسية، ولاتعتمد هـذه المسرحيات في كتابتهـا إلا على خفة ظل كتابها ومـوهبتهم على إضحاك الجماهير . ويرجع كثير من الباحثين هذا النوع من المسرحيات إلى منبع إغريقى قـديم هو مسرحـيات أرسطوفانيس الذى أثر بدوره على المسرح الـفرنسى منذ مـا يقرب من ثلاثمـائة عام . ومن أبرز ماكـتب فى المسـرح اليونانى الحـديث من هذا القـبيل «الأحـداث الأثينيـة» من تأليف بامبيس انينو ، ويورغيوس تسوكـوبولوس ، وبوليفيوس ذيمتر اكوبولوس. وقد ظلت هذه المسـرحية تقدم بنـجاح حتى أوائل الحرب العـالمية الأولى. وكان المؤلفـون يعمدون إلى إضـافة مشـاهد جديدة أو إلى حذف مـشاهد سابقة لتلائم المسرحية مجريات الأمور .

ثم يجيء ذيمتريوس فيرنارذاكس (١٨٣٣-١٩٠٧) وكان يعمل أستاذا جامعياً ، وكتب للمسرح اليونانى الحديث تراجيديات تاريخية ، منها «ماريا ذوكسابونتى» و«ميروبى» و«فاوستا» وغيرها . وقد تأثر فيرنارذاكيس بشيكسبير ، واستخدم كثيرا من موضوعاته فصاغها فى قوالب يونانية. وقد بلغ به القول إلى حد الاعتراف «بأننا عانينا كثيرا من استعباد شيكسبير لنا ، فلم نتأثر بمشهد أو بموقف لديه بل بفنه عموما . على أن النقاد يقولون عن مسرحيته «ميروبى» أنها العمل الذى تخلص من إيحاءات شيكسبير وإن كان قد ارتبط بفن يوربيديس . على أن أكبر أعمال فيرنارذاكيس المسرحية ولاشك هو «فاوستا» حيث يتجلى المؤلف شاعراً للعواطف الجامحة ، ولكن فيرنارذاكيس فى هذا العمل الذى بدت فيه جهوده الشخصية فى الحوار والمواقف والصراعات الخشنة لايتعدى إطار التراجيديا اليونانية القديمة ، فإن فاوستا تحكى محاولات زوجة الإمبراطور قسطنطين للإيقاع بكريسبو ابن زوجها من زوجته السابقة فى حبائل غرامها الآثم . ولكن الابن يرفض رغم أن الأب يسىء الفهم وتحت اعتقاده الخاطىء يأمر بقتل الابن ، وتبوح فاوستا للإمبراطور بزلتها وبراءة الابن على فراش الموت ، بعد أن يكون قد سبق السيف العزل .

وقد لقيت هذه التراجيديا التى أحكم كتابتها نجاحا منقطع النظير عند تقديمها حتى أن فرقتين كبيرتين قدمتاها فى الوقت ذاته بأثينا .

ويعتبر فيرنارذاكيس أكبر المتحدثين بلسان العصر الذى كتب فيه ، ولكن لغته الفصحى جعلت أعماله صعبة المضى قدما . وربما لو أتيح إدخال تبسيطات على لغته الجسيمة لأمكن أن يمضى فيرنارذاكيس وعلى الأخص فى مسرحيتيه «فاوستا» و«ميروبى» ليقدَّم حتى اليوم ، ولكنه على

أى حـال طواه التـاريخ وظل نقطة مـضيـئـة على الطريق الطويل الشـاق للمسرح اليونانى الحديث .

وإذا كانت الأعمال المسرحية السابقة قد كتبت شعرا ، فإن فاسيلى فاسيلياذيس كتب مسرحـيته «غالاتيا» نثرا ، ومع ذلك فـقد احتوت على قدر كبيـر من الوقار والدرامية التى جعلت هذه المســرحية تدرج فى برامج العديد من الفرق المسرحية حتى إلى عهد قريب . ثم نصل إلى أنطونيوس ماتيـسيس (١٧٩٤ - ١٨٧٥) صديق ذيونيـسيوس سولومـوس الذى كتب مسرحية «زهرة الريحان» (فاسيليكوس) ربما على وجه التقريب عام ١٨٥٦ . وقد توافر فى هذا العمل كل عـيوب الأعمال المسرحية لهذه الحـقبة كلها : المونولوجات الطويلة ، الديالوجات الممطوطة ، خلط غير مبرر بين المضحك والمأساوى ، ولكن يمكن على أى حـال أن نقول عن هذه المسرحيـة - كما قال عنها كسينوبولوس - إنها كـانت بداية طريق طويل نحو مسرح الصراع بين حياة جديدة تصـارع حياة فى طريقها إلى الاندثار . وقد كـان فيها من التصوير الأخلاقى لـعادات الناس ما فيه الكفاية . فضـلا عن أنها رسمت الطريق لما عرف بعد ذلك بالمسرح الاجتماعى .

على أن أكـثـر المحاولات جـدية لإنعـاش الأدب المســرحى اليـونانى الحديث وبعث الحياة فيه جاءت من الاحـتذاء بالمدرسة الواقعية فى أوربا ، وإن اتخذت الأعمـال المؤلفة فى هذا المضمار شكل الكـوميديات . وبذلك صارت الكوميديا الواقعية هى الصحوة الجديدة للمسرح اليونانى الحديث . على أن الواقعية مالبثت أن اتخـذت فى المسرح اليونانى - كما اتخذت فى المسرح الأوربى - مسارات أخرى اجتماعية ونفسية . وقدمت بذلك أعمال مسرحية يونانية جيدة لازالت تعلق بالأذهان وتستأهل الإشارة إليها بالتقدير.

وقد كتب يانيس كامبيسيس (١٨٧٢ - ١٩٠٢) مسرحيات اجتماعية محتذيا فيها حذو النرويجى إيبسن والألمانى هوبتمان . وترجم لسترنبرج . وفى مقدمة ما كتبه «مهزلة الحياة» و«أسرار الزواج» وقد انشغل فى مسرحياته الأولى بالأمراض الاجتماعية المتوارثة ثم سعى فى مسرحياته الأخيرة إلى الخروج عن دائرة «الطبيعية» الخانقة . وفى مسرحيته اللاحقة «خاتم الأم» يصور كامبيسيس حياة الشاعر كوستاس كريستاليس الذى مات فى أسوأ ظروف العمل فى اثينا ليكتب قصائده ليلاً وسرا دون أن يكف عن أن يحلم بجمال الطبيعة وشموخ الجبال فى قريته البعيدة . وتعتبر هذه المسرحية من أفضل المسرحيات اليونانية التى استخدم فيها أسلوب سترنبرج فى خلط الأحلام بالواقع .

ثم يجىء غريغوريوس كسينوبولوس (١٨٦٧ - ١٩٤٥) الذى كتب بالإضافة إلى قصصه ورواياته أعمالا مسرحية عديدة بعضها كوميدية وبعضها مأساوية : كما أنه أعد بعض قصصه إعدادا مسرحيا وأحالها إلى أعمال للمسرح . وفى كثير من مسرحياته كما فى رواياته استخدم الصراع الذى شهدته زاكينتوس مسقط رأسه فى منتصف القرن الماضى بين الطبقة الراقية المهذبة المنحدرة وبين الطبقة الصاعدة من الأجلاف الذين لم ينصقلوا بعد، فكانت أعماله صراعا بين التهذيب والفظاظة . كما عالج كسينوبولوس فى مسرحه مشاكل اجتماعية وأخرى نفسية طرحتها أمامه معاينة الحياة اليونانية المعاصرة له وبالأخص فى العاصمة أثينا . وكانت أقدم مسرحياته بعنوان «الأب الروحى» ويعتبرها بعض مؤرخو المسرح أول مسرحية اجتماعية يعرفها المسرح اليونانى الحديث .

وبمسرحيـة «الأب الروحى» – التى يسدل بها الستار على عـهد بأسره من المسـرحيـات التاريخـية والاسطورية – يدخل كـسينوبولوس إلى عـالم المسرح . وبمسرحيته «سر الكونتيسة فاليرياناس» (١٨٠٤) يضع كسينوبولوس قدمـه على طريق المسـرحيات التـى ستجلب لـه المجد والشهـرة . ولكن الطريق كـان لازال أمامـه طويلاً ولم تنجح «الرمـزية» التى انطوت عليهـا المسرحية أن تثـير انفعال الناس أو تعاطفهم وفى هذا العمل نجـد الكونتيسة تضطر حفـاظا على مبادئهـا ومستـوى أسرتها الرفـيع أن تضحى بحيـاتها منتحرة . وبهـذه الطريقة وحدها تظل محتـفظة بعلو قامتها وشمـوخها . ولكن الكثيريـن لم يستسيغـوا هذه النهاية التى وإن احتوت على مـقومات رمزية إلا أنها بدت مفتعلة وغير مقنعة .

ثم كتب كسينوبولوس عن الحياة اليونانيـة المعاصرة بسماتها التى تميزها، بحيـث لا يتردد القارئ فى أن يـجزم بأن ما يقـرأه مسـرح يعرض الحـياة اليونانية المعاصـرة بلحمها ودمها ، ولكل شعب فى حيـاته سمات تميزه . وهو مـا كان لكسـينوبولوس فضل المـسارعـة إلى التنبه إليـه والتقـاطه فى مسرحـه. وشخصيـات كسينوبولوس ليست هى الشـخصيات التى نقـابلها ونلتقى بها كل يوم فى الطرق والميادين العامة وحلبة الصراع من أجل الحياة فحـسب ، بل هم أولئك الذين لا يمكن أن نقابلهم إلا فى اليـونان ذاتها . وقد عنى كسينوبولوس عـلى الأخص بالتفاصيل النفسية لشـخصياته ، مع تبسيط الشكل المسرحى التقليدى . وتبدو مـسرحياته وطيدة البنيان ، تسرى فى أرجائها نفحة من البساطة المحببة ، بفضل لغة حواره البارع .

وقد استقى كسينوبولوس بعض مسرحياته من أعمال أخرى له قصصية وروائية مثل «الصـخرة الحمراء» وبطلتهـا فوتينى ساندرى . كما أن سـتيلاً

فيـولاندى أيضاً استقـيت من عمل قـصصى له . وهـنا نجد صراعـا بين شخصيتين شديدتى العناد : الأب والابنة التى تموت فى غرفة ضيقة كان قد سجنها أبوها فيها . وفى مسرحيته «راحيل» (١٩٠٩) يتصدى كسينوبولوس لموضوع تاريخى . أما فى مسرحية «الفتنة» فنجد خادمة جميلة تطيح بعقول الرجال جمـيعا فى أحد البـيوت الكبيرة ، وهو موضـوع أخنى عليه الدهر وشرب كما يقولون ، ولكن موهبة كـسينوبولوس المسرحية زودته بما جعله وثيقة اجتماعية وأخلاقية وشهادة على عصر .

وفى «سبت الأرواح» (١٩١١) تبدو السيطـرة للموتى على الأحياء . ماتت «جمـيلة» الأخت الكبرى لقسطندى ، ولكنها لازالت تتواجـد وتحيا فى ذلك القصـر الريفى الرحيب . لازال أهلهـا يذكرونها ويحـاولون اتباع مشيـئتها ومـا أوصتهم به . بل إن مـاريا زوجة قسطندى تراها وتشعـر بها تراقبها وتتعقبها . إنه شبح جميلة التى كانت حال حياتها تسمم حياة ماريا ، حتى دفعت بهـا إلى أن تقتلها بأن تسللت ليلة مـوتها إلى غرفتهـا وفتحت شباكها خلسة حتى قضت برودة الليل على المريضة التى كانت تعانى من الحمّى .

وتطارد «جمـيلة» بعد مـوتها مـاريا وتعذبها . وفى الذكـرى السنوية لوفاتها تستيقظ ماريا مبكرا كى تهـرب إلى قريتها ومسقط رأسها تاركة بيت زوجها المسكون بروح غريمتها . وتكون ماريا قد اتفـقت مع عشيقها ليغيرو على أن يعد لها الجـواد الذى ستهرب به ، لكن زوجها يشعـر بها ويفضح خديعتـها ، فتنهار وتعترف له بأنهـا قتلت أخته ، فتلقى من زوجـها القتل جزاءً . إنها مـسرحية من فصل واحـد تحمل من سمات أحـلام سترندبرج الكثيـر ، وتتخللها رقصـة الأرواح التى تفصل بين شطريها وتضفى عـليها مزيداً من الفتنة المستقاة من قوة الخيال .

وفى «الملاك» (١٩١١) يصور لنا كينوبولوس الحياة الاجتماعية لأسرة أثينية . وفى هذه الأسرة يتقدم من يخطب الابنة الكبرى ولكن الابنة الصغرى تخطفه من أختها ، فتبين بذلك عن خبث ودهاء يستتران وراء قناع من البراءة المصطنعة . وفى مسرحيته «المدللة» يقترب كسينوبولوس من موضوع مسرحيته السابقة «الملاك» فإن إيماجاسبارى بطلة مسرحية والمدللة» لاتلبث أن تكتشف أنها ليست الابنة الوحيدة لأبيها الذى كان قد رزق بابنة أخرى هى تيريزا من زواجه الأول. فتغار منها إيما ، ولكنها تكتم غيرتها هذه حتى يأتى اليوم الذى تخطف المدللة من تريزا خطيبها . وتبين تيريزا عن شخصيتها القوية ، فتغادر المنزل وقد أحست بهزيمتها إزاء عواطف أختها الضارية . وفى عام ١٩١٣ كتب كسينوبولوس مسرحيته الكوميدية الاجتماعية الأخلاقية «وردة لافاندى» . وفى «شرف الأخ» المستقاه من روايته - «التلاميذ» يبسط كسينوبولوس بانوراما اجتماعية أخلاقية لعصره . وفى مسرحيته «الإنسانى» نجد محاميا كبيرا يكتشف أن أهله قد أخفوا عليه أنه مصاب بسرطان سيقضى عليه بعد سنوات قليلة وآلام مريرة . فتتصارع بداخله غريزة البقاء وغريزة الموت ، وهما متشابكان كثيراً فى أعماق الإنسان وبشكل مخيف . ثم يرضخ المحامى الكبير فى النهاية للموت ويسلم نفسه للآلام بعد أن يزوج ابنة أخته بتلميذه وخليفته فى مكتبه . ويموت قرير العين قائلا عن الموت والألم إنهما وحدهما طريق الإنسان .

وقد ألف كسينوبولوس - كما يقول الناقد الكيس ثريلوس - أن يغزل مسرحياته فى براعة بخيوط قصة غرامية . ولعله يستفيد فى ذلك بذكريات من سنوات شبابه الأولى . ثم يغمس هذه القصة فى بيئة اجتماعية يمضى فى تعقب طباعها وضغوطها وقيمها الأخلاقية .

ويحدثنا كسينوبولوس عن تجربته المسرحية بصفة عامة ، ويفسر لنا لماذا هجر «المسرح الذهنى» أو «مسرح الأفكار» بعد أن فشلت تجربته الأولى فى مسرحيته (الكونتيسا فاليوياناس) فيقول :

«جعلنى هذا الفشل أفكر طويلا دون أن أفقد ثقتى بأهمية المسرح . وتبينت أننى كنت قد سرت فى طريق مسدود . كنت أواجه الجمهور بأعمال تتجاوز قدرات فهمه المحدودة ، بل ولا يحس بها أيضا . وبالتالى لايحبها . إن الفن ، أيا كان هذا الفن ، فى جوهره يعتد بالمستوى الاجتماعى لمن يُصْنَعُ لهم هذا الفن . فإذا لم ينجح فى التلاقى بصفوة عقول من فى العصر فإن العمل يكون غير مجد ، مجهدا بلا طائل ، ولا داعى له . ولن يصر على الاستمرار فى مثل هذه الأعمال إلا من كان مجنونا، أو عبقريا متعديا إطار زمانه ، لن يشهد نجاح أعماله حال حياته».

ولما كان كسينوبولوس من غير المجانين والعباقرة ، ولا حتى من محبى «الفن للفن» فقد سعى لحل المشكلة فتساءل

«ماذا على كاتب مسرحى يريد أن يواجه الجمهور الأثينى فى أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين - ماذا عليه أن يقدم دون أن يخرج أيضا عن إطار ما يعتبر فنا ؟»

وقد عذَّبته هذه المشكلة خمس سنوات كاملة . وبعد ذلك وجد سبيله بأن استقى من قصصه ورواياته الرائجة موضوعات وأبطالاً لمسرحه . وقد كان ذلك الاتجاه مفيدا للمسرح اليونانى الحديث ، الذى منذ مسرحية «فاوستا» لفيرنارذاكيس لم يكن قد عرف أعمالا جادة ناجحة حقا .

ثم يأتى سبيروس ميلاس (١٨٨٣ - ١٩٦٦) . وقد كانت مسرحيته «ابن الظلال» أو أن شئنا . . ابن الضلال . . صراعـا مريرا وميلودراميا لرجل يرتكب أبشع الشرور من أجـل الزواج بالمرأة التى يحبهـا . وعندما يصل فى النهاية إلى الحصول على موافقتها على الزواج تكون نهايته قد دنت . فقد زل زلته الأخيـرة واعترف لها بكل مـا فعله وعاناه من أجل الظفر بـها . وعندما يستبد الرعب بقلب المرأة منه وتقرر إبلاغ السلطات عنه ، يلقى بنفسه فى اليم مفـضلا الانتـحار على أن تقتص مـنه السلطات لجرائمـه . وقد اتصف هذا العمل بالخيال الجامح والمشاهد الدرامية العنيفة مما لفت إليه أنظار النقاد .

ثم كتب ميـلاس مسرحيـته «القميص الأحـمر» وفيها تقع ترانـدافيليا زوجة رئيس العمال ستافرو فى غرام أخيلياس وهو فتى يتقن فنون الغزل . فيتعـارك الزوج والعشيق ويقتل الزوج العشيق لكنه يطعن نفســه أيضاً منهيا حياته لتبقى المرأة الآثمة أمام جمهور النظارة سببا للشقاء كله .

كما كتب ميلاس «البيت الخرب» الذى احتذى فيه بهوبتمان وجوركى ولكنه يظل عملا شجنيا يتأرجح بين «الطبيـعية والرمزية» . ومن مسرحيات ميـلاس أيضاً «الأبيض والأسود» حـيث نعجب ببطلتـها الفتـاة العانس . ولكن ميلاس أيضـا يمضى إلى السخرية الانتقـادية مصورا شخصـية طبيب يهجـر الطب ليعلم الناس الرقص كـعلاج من أدواء المجتـمع ، وشخصـية الأخ الذى بدلا من أن يقتل أخته ليمحو مـا ألحقته به من عار ، يكتفى بأن يسلمهـا المسدس وخطابا مكتويـا على الآلة الكاتبة ، كلمة لوم وعـتاب . كما كتب ميلاس مسرحية كـوميدية ناجحة بعنوان «بابا المعلم» وفيها يحكى عن شاب يحاول أن يتخلى عن حـرفة أبيه حتى يرقى إلى طبقة اجتـماعية أعلى ، فيتعـثر حاله ويتدهور ماديا ومعنويا . ولا يجـد له مخرجا إلا فى

العودة إلى الوقوف بجوار أبيه العصامى الشريف الذى يكسب لقمته بكده وشقائه . وقد حفلت هذه المسرحية بحيوية دافقة من المواقف التى تبعث الضحك إلى القلوب من خلال كشف العيوب الإنسانية والزوايا الاجتماعية .

وفى مسرحيته «ليلة بالعمر كله» أو «الحياة ليلة» نجد الأب يريد أن يزوج ابنته من رجل غنى لاتحبه ابنته لمجرد أن يحصل على أربعين ألف دراخمة يسدد بها ما اختلسه من خزينة الشركة التى يعمل بها صرافا . وإزاء رفض الفتاة وعنادها يحاول الجميع الإسراع بإجراء مراسم الزواج . ولكنها تطرد الزوج وتهرع إلى رئيسها فى العمل وتبيع نفسها له مقابل الأربعين ألف دراخمة التى يدفعها لقاء ليلة متعة يقضيها معها . وهكذا على حد منطق الفتاة ومنطق ميلاس الذى يتصف بالسخرية الانتقادية الاجتماعية تؤثر أهون الضررين فتبيع ليلة واحدة من عمرها بدلا من أن تبيع العمر كله! .

وأبطال ميلاس فى مسرحياته الانتقادية الاجتماعية يأكل قلوبهم قلق دفين ، وتتأجج فيها ثورة حارقة للعمل على تصحيح الأوضاع ، ولكن الظروف الاجتماعية المحيطة بهم على الدوام أقوى منهم ، فلا يتوصلون إلى شىء ذى بال .

ولكن سبيروميلاس ما يلبث أن يهجر المسرح الاجتماعى بمسرحيته «يهوذا» إلى المسرح التاريخى الذى سيقدم من إطاره أفضل أعماله . ومن أحسن الأعمال فى الأدب المسرحى الحديث فى اليونان مسرحية ميلاس التاريخية بعنوان «بابا فليساس» التى تحكى حياة هذا المناضل الشعبى وميتته البطولية . وقد حفلت بالتصوير الحى للأشخاص والمواقف .

أما بانديليس هورن (١٨٨١ - ١٩٤١) فقد عنى منذ مسرحيته الأولى عام ١٩٠٨ أن يتتبع انهيار الأسر والأفراد بسبب الضغوط التى تجلبها المقتضيات الجديدة للحياة العصرية . وفى مسرحيته «البنت الصغيرة» عام ١٩٢١ وهى أفضل مسرحياته نراه يتابع الانحدار الأخلاقى لشابة من الطبقة العاملة راسما فى الوقت ذاته لوحة عريضة للحياة الاجتماعية والأخلاقية بأثينا فى عصره . وتدور أحداث هذه المسرحية فى فناء عمارة قديمة آهلة بالسكان فى حى شعبى من أحياء اثينا ، وهو حى البلاكا . ويسبح العمل كله فى طوفان من الاتجاه الطبيعى بكل مبالغاته فى إبراز فظاظة الحياة فى الحضيض . ولكن هورن مالبث أن خرج من أسرار الطبيعية إلى ما هو أرحب منها فى مسرحية «فلاندور» حيث يقدم قصة هوى جامح . وقد اتصف هورن بأنه كاتب متدفق غزير الإنتاج وذو قدرة على الابتكار ودقة الملاحظة، وإلمامه عميق بالبيئات الشعبية التى يكتب عنها .

وقد كتب بافلوس نيرفاناس (١٨٨٦ - ١٩٣٧) مسرحيته المسماة «المهندس المعمارى مارثاس» حيث نجد هذا البطل موقنا بأنه يستطيع بإخفاء الحقائق المؤسية أن يكفل للناس تفادى اضطرابات الحياة . ولكن القدر له بالمرصاد . كافح كفاحا مريرا وبنى بيته على عمد ثابتة حلت محل أنقاض وخرائب . وعندما قتل أخوه فى كريت جعل أمه التى كانت ستلحق به لو علمت بالنبأ الفاجع - جعلها تعيش من بعده ثلاث سنوات من السعادة . وبسط أمام عينيها الهرمتين أحلى الأكاذيب . وعندما أغمضت عينيها الإغماضة الأخيرة تركت أجمل الدعوات لابن ما كان له فى الحياة وجود . وعندما جاء القدر ليضرب ضربته التالية فأنبأه الطبيب أن أباه مقضى عليه بالموت ، لم يبد عليه حزنا أو وجوما ، وراح كى يخفى النبأ يحضر حفلة راقصة بهيجة راقصة . وعندما بلغه نبأ الخراب المالى الذى حل بحميه

والموت الذى حاق به أخفى النبأ عن زوجته ، وخرج معها فى رحلة بحرية غرقا فيها . وهكذا جنب زوجته التعاسة وحقق لها موتا لا مفر منه ولكنه مجرد عن أحزان الحياة وتعاسات الحقيقة .

ومن أعمال نيرفاناس المسرحية أيضاً «الأم ذات الخمسة أبناء» و«عصفور الجنة» (١٩٠٨) و«عندما تنكسر القيود» . وفى كل هذه الأعمال تسود روح شاعرية وإحساس عميق بالجمال . وكثيرا ما يعوض سحر البيان نقائص الدراما .

وقد كان كوستيس بالاماس أكبر شعراء اليونان المحدثين قد كتب مسرحية وحيدة بعنوان «ست الحسن والكمال» وتحكى عن فتاة فى قرية إلى جوار البحر عند - ميسولونجى ، وتتميز هذه الفتاة بجمالها وطيبة قلبها ، لكنها تسقط فريسة لشهوات الناس ودناءتهم ، وقد عجزوا عن تقديرها حق التقدير . وهذه المسرحية الوحيدة لبالاماس تعتبر من أبدع المسرحيات وأكثرها شاعرية فى مجال المسرح اليونانى الحديث كله . ويجد فيها بعض النقاد عيوبا فى البناء الدرامى لكن ما من أحد ينكر قوتها الشاعرية .

كما كتب الشاعر زخارياس باباندونيوس مسرحيته «قسم الميت» وقد حفلت بالمشاهد الخيالية والقيم الأخلاقية . كما كتب المسرحية الشعرية كل من افتاليوتيس ، وفوتيريذيس ، وبوريوتيس .

وبالإضافة إلى هؤلاء يمكن أن نشير من المحدثين إلى تانجوبولوس الذى كتب أعمالا مسرحية اجتماعية ذات نزعة اشتراكية مثل مسرحياته «أحياء وموتى» و«أغلال» و«عند الباب الخارجى» كما كتب ذيمتريوس بوغريس مسرحيتى «أفراح الخطوبة» و«الغولة» كما يجدر بالإشارة إلى ثيوذوروس سينوذينوس وإنجلوس ترساكيس وليذوريكيس الذين كتبوا

مسرحيات كوميدية وأخرى جادة . كما كتب إيموس موريايتينيس كوميديات كثيرة ناجحة كانت أفضلها «الحياة إلى الأبد» وتحكى عن العطش الإنسانى إلى اكتشاف أكسير الشباب ، بل أن هذه المسرحية تعتبر من أفضل الكوميديات فى المسرح اليونانى الحديث بأسره . ومن كوميديات موريايتينيس أيضاً «البيت العصرى» و«سيد العالم» وقد عرف عن كوميديات هذا الكاتب لذعة الأسلوب وقسوة المعالجة .

وجدير بالذكر أيضاً أن الكاتب المسرحى نيقولاوس لاسكاريس كتب مؤلفًا عن «تاريخ المسرح اليونانى» يعد مرجعا هاما فى الموضوع .

ويجدر أن نشير هنا أيضاً إلى ديميترى بساثاس ، الذى إذا قيل عن آخرين من كتاب المسرح أن أعمالهم تقرأ أكثر مما تشاهد ، فإن العكس هو ما يصدق عن مسرحه ، فإن شخصياته المسرحية تتمتع بحضور كبير، ومشاهدة أعماله لا تبعث لدى المشاهدين قدراً كبيراً من الضحك فحسب، بل وأيضاً تدفع إلى كثير من التأمل ، وإعادة التقييم ليس للمواقف الاجتماعية فحسب ، بل وللعلاقات الإنسانية بصفة عامة . ولهذا حق أن يقال عن بساثاس إنه ورث الكثير عن أريستوفان الكاتب الإغريقى الكبير.

أما الشاعران انجيلوس صيقيليانوس ونيقوس كازندزاكيس فقد كتبا التراجيديات بموضوعات تاريخية وأسطورية . ويشك البعض فى قيمة أعمال هذين الكاتبين من حيث الصلاحية للتقديم على خشبة المسرح ، ولكن مامن أحد يشك فى عمق الأفكار التى احتوتها هذه التراجيديات . ولهذا كانت هذه الأعمال جديرة بالتأمل والدراسة ، وبخاصة أن بعض ما انطوت عليه من شخصيات وأحداث ذات دلالات عالمية . وأهم تراجيديات صيقيليانوس هى «سيفيلا» وتستقى مادتها من زيارة نيرون

لليونان و«ديدالوس فى كـريت» و«المسيح فى روما» و«مـوت ذيوغينيس» . أما تراجيدات كارندزاكيس فنشير منها إلى «نيكيفوروس فوكاس» و«المسيح» و«اوذيسياس». كـما عنى جورج ثيـوتوكا بالحكايات الشعبـية ذات العمق الفلسفى الإنسانى واستطاع أن ينهض بالعطاء الشعبى إلى مستوى مشكلات الإنسان المعـاصر . واختار منـها على سبيل المثـال حكاية رئيس البنائين ، وبنى عليها عملاً مـسرحياً حديثاً بعنوان «جسرآرتا» وقد اسـتفاد ثيوتوكافى كتـابتهـا ايضاً بالمسرح الأوروبى وبالأخـص مسرح شكسـبيـر وطعم أيضاً مسرحيته بكثير من المشاهد الغنائية .

على أن المسرح اليونانى الحديث عرف بعد الحـرب العالمية الثانية جيلاً اعتز أفراده بأنهم «أوروبيون» أكثر من أى شىء آخر ، وتقبلوا عطاء المسرح الأوربى الحديث على أنه شىء يخـصهم هم أيضاً ، وأنه ليس شيئـا غريبا عنهم . أى أنهم رفضـوا أن يتباعدوا عن تياراته ، وذلـك بأعراض لايبرره سوى وجوب أن تـتجه انظارهم إلى تراثهم الإغريقى العـريق دون سواه . وفى طليعـة هؤلاء الكتاب اليـونانيين سبـعة هم ديمترى كـتمـائيدس الذى قدمت أولى مسـرحياته عام ١٩٥٧ ، وفاسيليس زيوغاس الذى قدمت أولى مسرحياته عام ١٩٦٠ وكوستاس مـورسيلاس الذى قدمت أولى مسرحياته عام ١٩٦٣ ولولا اناغنوسـتاكى التى قدمـت أولى مسرحـياتهـا عام ١٩٦٥ وبافلوس ماتيـسيس الذى قدمت أولى مـسرحيـاته عام ١٩٦٧ وستـراتيس كاراس الذى قدمت أولى مسرحياته عام ١٩٦٨ ويورغوس سكورتيس الذى قـدمت أولى مسـرحيـاته عام ١٩٧٠ وكـانت بعنوان « المربيات» واعقـبتـها «الموسيقى» عام ١٩٧٢ «القاراقوز كاد أن يكون وزيراً» عام ١٩٧٣ و«شظايا وأشـلاء» عام ١٩٧٦ ثم «إلى أين يـذهب الأوتوبوس» عام ١٩٧٨ . وقـد اعتـبر هـؤلاء الكتاب أن مـشكلات الإنسان المعـاصر هى مـشكلاتهم هم

بدورهم . كما اعترفوا بأن المسرح الأوربى كان له تأثيره الكبير على المسرح اليونانى المعاصر الذى ترجم وقدم على خشبته الكثير من أعمال شيكسبير وإبسن وسترنبرج وغيرهم . فليس من الصواب فى شىء السير فيما سار فيه غالبية أسلافهم ومعاصريهم من أن التجربة الوحيدة التى يجب أن يعتد بها كاتب المسرح اليونانى الحديث هى المسرح الإغريقى بتقاليده وانشغالاته وطقوسه التليدة .

وقد كانت مشاكل المسرح اليونانى الحديث أكثر تعقيدا من المشاكل التى قد تعترض سائر ضروب الفن والأدب . ذلك أن تأثير المسرح الإغريقى لا يقاوم . وعندما استيقظت أوربا من عصر النهضة والمسرح الإغريقى مستحوذ على الاهتمام هناك أيضا . وفى اليونان بدلا من أن يضحى المسرح الإغريقى القديم مجرد تراث ، أصبح عقبة أمام تطورالمسرح الحديث إزاء المطالبة بأعمال تحاكى أعمال ذلك المسرح .

إن المسرح يحتاج أكثر من أى ضرب آخر من ضروب الفن إلى الاستقلال . إن لم يكن يحتاج إيضاً إلى الحرية ، وذلك فضلا عن احتياجه إلى جمهور على قدر من التفتح، ينشغل بالجاد من مشاكل الاخلاق والاجتماع والسياسة . وليس من العويص أن نتبين أن تدهور المسرح الإغريقى جاء تبعا لانحطاط الأحوال لمدينة أثينا . وحتى عندما سادت المسيحية الإمبراطورية الرومانية ، فإن ذلك لم يتح للكاتب . إن كان قد وجد أصلا الحرية أن يعبر فى أعماله المسرحية عن آراء وأفكار تعارض العقيدة السائدة ، دون أن يعرض نفسه لمتاعب غير مرغوب فيها . ولقرون طويلة لم يكن من الحكمة فى الدولة الرومانية أن يعلن الكاتب أفكارا معارضة . وعندما تحولت الدولة الرومانية إلى المسيحية استمر الوضع على ما كان عليه . وكل ما حدث أن ظهرت

أعمال مستوحاة من الإنجيل والتوراة . ولعل الجمهور الذى كان يهتم بالمسرح في الدولة الرومانية المسيحية كان على ما يبدو مشاطرا لدولته في تصورها للحقيقة . وبعبارة أخرى . لم يكن ذلك الجمهور من قبيل الجمهور المعتز بحريته الذى سمح لإبسن أولشو أن يقدم على خشبة المسرح نقده الجاد لعادات العصر وأخلاقياته .

وقد كان نتيجة ذلك عدم وجود المسرح فى الدولة البيزنطية ، وكانت الجناح الشرقى من الإمبراطورية الرومانية ، فيما عدا الأعمال الدينية ، كما لم يكن للمسرح وجود ملحوظ فى غرب أوروبا حتى نهاية العصور الوسطى للأسباب ذاتها .

وقد كان لكريت عطاء مسرحى أبان ارتباطها بإمارة البندقية ، ولكن مع الاحتلال التركى للجزيرة عام ١٦٦٩ أُخرِسَ كل شيء . وعلى أى حال فقد أثْرت تلك الأشراقة الكريتية القصيرة الأدب اليونانى بأعمال مثل «تضحية إبراهيم» و«ايروفيلى» ولئن كانت هذه الأعمال ما عادت تقدم على المسرح ، فعلى الأقل يقرأها محبو المسرح . وإذا كانت قد عجزت عن إرساء دعائم حركة مسرحية إلا أنها أثْرت التراث المسرحى اليونانى .

وفى هذا كله تقول لولا اناغنوستاكى ،وهى واحدة من الكتاب السبعة الذين قامت على أكتافهم حركة المسرح اليونانى الحديث فى الخمسينات من هذا القرن : «كانت حركة المسرح الحديث فى اليونان بحاجة إلى أن تجاهد ضد التقاليد المسرحية القومية التى زُعِمَ بأنها لا تزال موجودة . أن المسرح الإغريقى القديم بكل عظمته شكل عبثا جسيما وقف فى وجه الإبداع المسرحى أكثر من دفعه إلى التطور . وقد كان التلويح بهذا المسرح العريق ، الذى أصبح ذا طابع سياحى جذاب أيضاً ، للكاتب المسرحى المعاصر كتحد

ومعيـار ، يصيب الحركة الابداعـية بنوع من الإحساس بالعـجز والشلل ، وقد كـان الأحرى أن يكون بلوغ عظمة هـذا المسرح خاتمة مطاف أكـثر منه بداية طريق . فعندما تشـحذ الحركة المسرحـية الحديثة قواها الإبداعيـة فقد تصل إلى عظمة مماثلة لعظمة هذا المسرح التليد . إما البـدء بتقليده والتبعية له فليس من شأنه إلا التردى فى العُقم والفشل ، وذلك على الأخص لأن المسرح ظاهرة اجتماعية ترتبط بالظروف الثقـافية والفكرية والسياسية لمجتمع فى لحظة من لحظات تاريخه ، فإذا تغيـرت معالم تلك اللحظة ، وبخاصة إذا كان قد مضى عليها آلاف السنين ، فإن إعادة التجربة وعصرنتها لا توصل إلى شىء ذى بال . لذلك فقد قررنا نحن كتاب المسرح الحديث فى اليونان أن ندير ظهـورنا للمسرح الإغـريقى ، مع تقديـرنا على أى حال للتـجربة بذاتها ولذاتها . ومنذا الذى يستطيع الا ينحنى تقـديرا أمام هذا المسرح التليد ؟ إن موضع فخـارنا أننا كنا من الشجاعة والإخلاص لـفكرة المسرح حتى أننا رفضنا ذلك الأنموذج القومى المهيب . »

وعقب ثورة ١٨٢١ تجلى مثل جديد على عدم التواصل والانفصام فى التاريخ الحضارى اليونانى . فقد مضى كتاب المسرح لسنوات عديدة يكتبون أعمـالهم بلغة فصحـى كانت عنوانا على العقـيدة الرسميـة السائدة من أن الدولة اليونانية الحـديثة هى الوريث الشرعى للحضارة الإغريقـية القديمة ، ولكن العطاء الشـعبى فى مـجال الفن والأدب جلب مـعه حقـيقـة أخرى مؤداها أن اليونان الحديثة هى مزيج من إسـهامات منوعة . وباستثناء عمل أو عملين **لأنطونيوس مـاتيسيس وفيراندينيو** تظل أعمال العشر سنوات التـالية لثـورة الاسـتقـلال للأسف غـريبة عن الفكـر اليونانى الحـديث ، ويفصلها سور من لغة عجفاء تفـتقد النبض الذى يجعلها قادرة على إيصال ما تحتويه من مشاعر وأفكار . وفى أواخر القرن التاسع عشر مع غلبة اللغة

الشعبية بدأت تظهر على المسرح أعمال لكتاب جادين . وفى هذا المقام يسجل **بالاماس** فى «رسالته إلى إبسن» أنه لو قُدّر أن تزهر عندنا حركة مسرحية جديرة بالتقدير عاجلاً أو آجلا فلن يكون ذلك إلا على أيدى كتاب ينتسبون إلى إبسن أكثر مما ينتسبون إلى **فيرنارذاكيس أورانجافى** ، وهما من كتاب ما بعد ثورة الاستقلال .

ولكن عند هذه النقطة بدت المشكلة الدقيقة للعطاء المسرحى الحديث ، وهى مشكلة ما كان لها من حل إلا إقصاء اللغة غير الشعبية ، وهو مالم يفعله كتاب المسرح اليونانى الحديث فحسب ، بل وأدباء اليونانية الحديثة أيضاً . هذا ما فعله **بانديليس هورن وسبيروس ميلاس وكسينوبولوس** ألمع أسماء المسرح اليونانى فى الثلاثين سنة الأولى من هذا القرن ، وقد تابع هؤلاء جميعا المسرح الأوروبى ويمموا شطره . وهذا ما فعله أيضاً **بالاماس** فى عمله المسرحى الوحيد «ست الحسن والكمال» الذى وإن كان قد كتبه عام ١٩٠٢ إلا أنه لم يقدم على المسرح إلا عام ١٩٣٥ أى بعد ثلاثة وثلاثين عاما من كتابته .

ويقول الناقد **توماس دوليس** عن الكتاب السبعة الجدد أنهم يجلبون إلى المسرح اليونانى أملا فى عطاء جديد . وأياً ما كان الحكم على حركة هؤلاء الكتاب إلا أنهم يذكروننا على أى حال بذلك الجيل اللامع من كتاب الرواية الذين ارسوا دعائم «الرواية اليونانية الحديثة» فى الثلاثينات من هذا القرن .

والذى يجمع بين هؤلاء الكتاب أنهم أوروبيون يتحركون - مع بعض الفوارق فيما بينهم - فى إطار الحضارة الأوربية الرحيبة ويشاركون فى الحركة الأوربية لا كمترجمين أو مقلدين عن بعد ، فينتظرون أن يأتى

غيرهم بالجديد من الأفكار والأساليب كي يكتفوا باقتفاء خطاهم ، بل أنهم يبدون في كثير من الأحيان أكثر جرأة وإقداماً وثقة بما يفعلون ، من رفاقهم الطليعيين في المسـرح الأوربي والأمريكي . على أن الشيء الذي قد يكون مثـار أسف بحق - على حد قول النـاقد توماس دوليس - أن يتـضح بعد ذلك أن مجتمعهم لا يستطيع ، لاعتبـارات كثيرة ، أن يتابعهم في تجربتهم الفنية والإنسانية ، ولكن عندئذ سـوف نكون من جديد إزاء التجربة المكررة دومًا ، تجربة الفنان الذي يجد بلده أضيق بكثير من أشواقه وتطلعاته .

لقد قدمت أعمال هؤلاء الكتاب الجدد على مسارح عديدة في أثينا ، منها «المسرح الحـر» و«المسرح التجريبي» و«مـسـرح العصر الجـديد» ومسرح «المسيرة» بل وأيضا «المسرح القومي» ذاته ، لكن المسرح الذي تبنّى أعمالهم بحق هو «مسـرح الفن» لصاحبه المخـرج الطليعي **كارولوس كون** ، الذي ناصر هذه الاتجاهات بكل قوته ، ولم يكتف «مسرح الفن» بأن قدم أعمال الجيل الجديد من الكتاب ، بل صار أيضا مركزا لتجمعهم ومعملا لتجاربهم .

لولا أناغنوستاكى

لقاء فى الليل

قدمت «القاء فى الليل» أول مرة ، مع مسرحيتى «المدينة» و«الاستعراض» فى سهرة واحدة بعنوان «المدينة» على مسرح «الفن» بأثينا فى مايو عام ١٩٦٥ .

الشخصيات

ميمى : فى حوالى الأربعين من عمره ، من النظرة الأولى إليه يبدو عليه «عدم الاكتراث» ، وعصبيته لاتبدو لها دلائل خارجية قوية .

صوفيا : فى السادسة عشر من عمرها . لا تهدأ حركتها ، صفيقة ، تكاد تكون عدوانية الطابع ، وفيها شىء شيطانى نفعى داخل تفاهة وجودها اليومى .

العجوز : عجوز رقيقة حنون . حركتها بطيئة متشنجة .

(غرفة ذات أثاث غير متجانس ، من بقايا مختلف المستأجرين الذين مروا بها فى أزمان متفرقة .

أريكة فسيحة ، منضدة سرير ، دولاب لأدوات المائدة ، مدفأة حديدية . فى الوسط منضدة عليها مصباح كهربائى بغطاء مهدب الحواشى . النور مضاء . دولاب صغير ذو أرفف ، وبضعة كراس . الباب الرئيسى إلى اليمين يطل على العتبة . وعندما يفتح يبين الممر الخارجى والدرجات الأولى لسلم يقود إلى الطابق الأعلى.

على اليسار باب آخر يقود إلى المطبخ .

عندما يفتح الستار تبدو العجوز مولية الجمهور ظهرها ، منحنية على الدولاب الصغير ذى الأرفف . تسمع موسيقى منبعثة من أرغن صغير . تستدير العجوز ببطء نحو الجمهور . يتضح الآن إنها تمسك ساعة قديمة تصدر عنها الموسيقى . ترفع الساعة ببطء إلى أذنها . تبتسم ابتسامة خفيفة . تخفض الساعة عن أذنها وتوقف الموسيقى . وبقطعة من قماش تمسك بها فى يدها تنظف الساعة . ثم تشرع بحركات بطيئة عقيمة فى تنظيف الأثاث . تستدير وتنظر إلى المصباح المضىء . ترفع قليلا يدها ممسكة بقطعة القماش ، كما لو كانت تريد أن تنظفه، ولكنها تعدل عن ذلك وتغمض عينيها قليلا ، وتخفض يدها . بحركات وئيدة تكاد تكون آلية تمضى إلى المدفأة الحديدية ، وتحاول أن توقدها .

يدق الجرس . وبذات الخطوات تذهب إلى الباب وتفتحه . تدخل صوفيا . ترتدى معطفا سميكا ومنديلا على رأسها ، وتحمل حقيبة يد ، وحقيبة سفر كبيرة) .

العجوز : (بعذوبة ، مبتسمة ابتسامة واهية ، وبصوت ناعم) مساء الخير ، تفضلى .

صوفيا : (دون أن تتحرك . بارتباك قليل) من يسكن هنا ؟

العجوز : (على ذات حالها) تفضلى . إنه ينتظرك . ينتظرك أنت . (تخطو صوفيا داخلة) تأتين من بعيد ؟ (تنظر إلى الحقيبة) ضعى حاجاتك هنا . تبدين متعبة . لحظة ، سوف أناديه .

(تمضى خارجه من باب المطبخ . تجيل صوفيا بصرها فيما حولها . تخلع المنديل وتنفض شعرها . تعود العجوز بمظهرها السابق) .

العجوز : سيحضر بعد دقيقة ، أما أنا فسأبادر بالانصراف . رتبت الغرفة . وأوقدت لكما المدفأة . بعد قليل سيسرى الدفء . (تجيل بصرها فيما حولها) يطيب الجلوس هنا . أما أنا فسأصعد إلى فوق . أقيم بالطابق الأول ، مع ابنتى. نحن وحيدتان . (تقترب منها قليلا ، كما لو كان تريد أن تتفحصها) كم أنت جميلة ؟ ابنتى دميمة . تغلق الباب على نفسها ، وتجلس طوال النهار فى غرفتها . لا تريد الخروج لأنها دميمة . هى دميمة ، ابنتى المسكينة الصغيرة (يدخل ميمى من الباب الأيسر) .

ميمى : (إلى صوفيا) آه ، جئت ؟

صوفيا : أخيراً ! اعتقدت أننى لن أجد البيت أبداً .

العجوز : إنى أنصرف . أنصرف (تذهب حتى الباب . تتردد ، تلتفت نحوهما مبتسمة) . ستخبز ابنتى فطيرة الليلة . أنها تخبز فطيرة يوم الأحد . طعمها لذيذ جداً . إذا أردتما ، ولم يكن لديكما ما تفعلانه ، تعاليا فى التاسعة لنشرب الشاى ، ولتتذوقا الحلوى التى تصنعها ابنتى (تخفض راسها وتهزها كما لو كانت تشجعهما) تعاليا . .

(تخرج)

صوفيا : من هذه ؟

ميمي : (بحركة مبهمة) عجوز تقيم بالطابق الأول . . تأتي من وقت لآخر لترتب الشقة . تقولين ، وجدت البيت بمشقة ؟

صوفيا : (ثائرة الاعصاب) مشقتي لا تكفي الكلمات لوصفها . (تجيل نظرها فيما حولها من جديد) يالها من غرفة كريهة . . . تقيم في أقصى الدنيا ، هيه ؟ كل هذه الأزقة الضيقة ، متاهة حقيقية . ويالسخف تلك الفكرة ، فكرتك ألا أجيء معك ، بل انتظر نصف ساعة قبل أن أتحرك قادمة .

ميمي : لم أكن أريدهم أن يروننا .

صوفيا : هل عليك أن تقدم حسابا لأحد ؟

ميمي : لا أحب الأقاويل . ليس للناس من عمل سوى ترديد الأقاويل .

صوفيا : ولهذا وجب على أن أتحمل كل هذه المشاق ، تحت المطر، باحثة عن بيتك ؟

ميمي : رسمت لك موقعه .

صوفيا : لا أفهم مثل هذه الرسوم . لا أجد طريقي على هديها بسهولة . لو كنت ذكرت لي اسمك على الأقل لسألت أحدا عنك .

ميمي : أرجو الا تكوني قد سألت .

صوفيا : أي نكتة هذه . عم أسأل ؟ عم إذا كان يسكن بالقرب من هنا شاب طويل القامة يرتدي بلوفر ، واذكر لمن أسأل أوصافك ؟

ميمي : هيا ، اخلعي معطفك كي يجف من البلل . (ينحنى على المدفأة محاولا أن يشعلها من جديد) .

صوفيا : بالطبع سأخلعه ، وسأخلع أيضا جوربي وحذائي . إني مبتلة تماماً . انغرست في الوحل حتى ركبتي . (تجلس أمام المدفأة ، وتشرع في خلع حذائها) ما الذي سول لك أن تسكن في هذا الحي ؟ أهذه شوارع ؟ ألا يضعون على الأقل مصباحًا يرى المرء على ضوئه أين يطأ قدمه ، وإن كنتُ أعتقد أن مدينتكم كلها ليست أفضل من هذا الحي . إنها لم تعطني انطباعا حسنا قط . قل لي ، أهي مطيرة هكذا مطرا لا ينقطع على الدوام ؟ منذ وطئت قدمي مدينتكم ، وهذا الجو السيء لم يتوقف . إسمع ، ألديك شيء من الملابس تعطينيه كي أرتديه ؟ سترة ، بيجاما مثلا ؟ (ينهض ميمي ، ويخرج من الباب الأيسر . بينما تمضي صوفيا تقول) لا أريد أن افتح حقيبتي من أجل ليلة واحدة . (في هذه الاثناء تكون قد خلعت معطفها وحذاءها وجوربها . تخرج من جيبي المعطف الكبيرين خفين قطيفين وترتديهما . يحضر لها ميمي ثوبا نسائيا) من صاحبة هذا الثوب ؟

ميمي : زوجتي . اختلط ثوبها بأشيائي .

صوفيا : زوجتك ؟ أنت متزوج ؟

ميمي : (يلتفت إلى الثوب) كنت .

صوفيا : (تذهب إلى جواره وهي ترتدي الثوب) آه ، لماذا تقول كنت؟ هل ماتت ؟

ميمي : افترقنا .

صوفيا : بالطلاق؟

ميمي : (مجاهداً كي تشتعل المدفأة) كلا .

صوفيا : إذن ، أنت متزوج . أفهم الآن السبب في هذه الاحتياطات . أرجو ألا اتعرض لمتاعب ، أنا في غنى عنها .

ميمي : (يستدير وينظر إليها) أي متاعب ؟

صوفيا : من أين لي أن أعرف ؟ للشيطان سيقان كثيرة . ربما كلفت زوجتك أحدا بأن يتعقبك ، كي تحملك أنت مسئولية الطلاق . ألا يحدث ذلك في مثل هذه الحالات؟ وعلى الأخص ، إذا كانت قد لمحتني عين أدخل إلى هنا ، فكم سيصعب أن نعلل سبب وجودي عندك وارتدائي هذا الثوب . ثم أنني قاصر ، هيه ؟ لا تنس ذلك . .

ميمي : شط عقلك بعيدا جداً .

صوفيا : آه ، أنا أفكر في كل شيء . لأنني لو لم أفكر في أموري ، فمن سيفكر فيها غيري . والآن ؟

ميمي : الآن : ماذا ؟ . . ليس ثمة ما يبرر أن تقلقي . لن يضايقك أحد .

صوفيا : أهو أمر مؤكد ؟

ميمي : (غاضبا) آه ، أنت لا تطاقين ! ماذا تريدين ، أن أوقع لك تعهداً ؟

صوفيا : حسنا ، حسنا ، لا تغضب . (تأخذ ثيابها وتنشرها أمام المدفأة) هل تسمح بذلك ؟ انظر ، سأنشرها هنا كي تجف . تحسن صنعا بإيقاد المدفأة . ربما لم يحن موسم إيقاد المدافىء بعد ، لكنى أحب الدفء . وثمة رطوبة تخترق العظام . آخ ، تخشبت يداى . تريد أن أساعدك ؟

ميمى : كل شىء على ما يرام . اشتعلت .

صوفيا : حسنا ، سيدب فينا بعض الدفء . (تمد ساعديها نحو النار) حقا ، ما اسمك ؟

ميمى : ميمى .

صوفيا : ميمى فقط ؟ واسم الأب ؟ (لا يجيب) فهمت ، لاتريد أن تخبرنى باسمك كاملا . وعلى الرغم من كل ما تقول ، تخاف ، لأنك متزوج . . ومن أين لى أن أعرف ؟ ربما كنت تكذب إذ تقول إنك افترقت عن زوجتك . ربما كانت على سفر . وربما كنت تستأجر هذه الغرفة كى تستقبل فيها زوارك . لكن ، كلا ، هذا أمر يكاد يكون مستبعدا ؛ لأنك ما كنت ستكدس كل هذا الأثاث فيها . على كل حال ، شىء واحد أريد أن أوضحه منذ البداية ، لستُ ممن تظن أننى منهن ، لأنك دعوتنى للحضور إلى بيتك وقبلت فورا . لا أحب أن أنام وحدى فى الفنادق . شبعت منها . هذا كل ما فى الأمر . لماذا تنظر إلى على هذا النحو ؟

ميمى : على أى نحو أنظر إليك ؟

صوفيا : (بضراوة) سيكون الأمر طريفا لو كنت قد ندمت من الآن على إحضارى إلى هنا . إذا كنت تضجر منى سأنصرف. تكلم هل تريدنى أن أنصرف ؟

ميمى : الأمر سيان بالنسبة لى .

صوفيا : أنت رجل غامض . . . (تذهب إلى الأريكة وتجلس عليها) على الرغم من ذلك فإنك توحى إلى بالثقة ، ربما لأنك تبدو أكبر سنا منى بكثير . كم سنك ؟ أربعون ؟

ميمى : تقريباً .

صوفيا : (تهز ساقيها بانتظام) أرأيت ؟ من بين كل الرجال الذين كانوا يقفون خارج المحطة، اخترتك أنت ، واقتربت منك أسألك أين يمكننى قضاء ليلتى . وعندما قلت لى «فى بيتى» تبعتك فورا . كان باستطاعتى على أى حال أن أتحدث إلى أحد الشبان ، أليس كذلك؟ كان هناك شاب يرتدى بلوفراً أحمر ، ويتظاهر بقراءة مجلة رياضية ، بينما كان يلتهمنى بنظراته . وعندما نهضت مبتعدة ، مضى يتعقبنى . صدقنى .

ميمى : مضى يتعقبك ؟ لا أعتقد أنه تبعكِ إلى هنا .

صوفيا : كلا . بطبيعة الحال . إنك خائف حقا ! كلا ، كلا ، لم أكن أريد مشاكل . رمقته بنظرة شرسة ، فعاد إلى مكانه . (تبتسم) كان وسيمًا . ربما اخطأت إذ لم أحدثه . ما رأيك ، هل اخطأت ؟

(يتناول ميمى الساعة الموسيقية بين يديه ويتحسسها بأنامله) .

ميمي : لم أسمع . ماذا قلت ؟

صوفيا : أرى ذلك . أنت منشغل البال (تنهض واقفة) كم غرفة لديك ؟

ميمي : هذه . إنك لم تدخلى قصرا .

صوفيا : (تضحك) ليست هذه غرفة قصرا على أية حال ، إنها بهو . المكان فسيح، لا أنكر ذلك . . (تذهب إلى اليسار) إلى أين يقود هذا الباب ؟

ميمي : إنه يقود إلى المطبخ والحمام .

صوفيا : حسن أن يكون لديك حمام . أهناك ماء ساخن ؟

ميمي : كلا . . لكن إذا كنت تريدين ، أسخن لك ماء .

صوفيا : هيه . . كنت أريد أن أغسل شعرى . . لكن ، دعك من ذلك . . ليكن ذلك فيما بعد . . الآن ، أريد أن أستريح . إذن ، هذا بيتك كله . هنا ، كنت تعيش مع زوجتك ؟

ميمي : كلا ، كنا نستأجر بيتا آخر . أوسع من هذا بقليل .

صوفيا : هل أنت فقير ، هيه ؟ ألهذا هجرتك ؟

ميمي : من ؟

صوفيا : زوجتك .

ميمي : هل قلت لك أنها هجرتنى ؟

صوفيا : هذا ما فهمته . ما هو عملك ؟

ميمي : ليس بالعمل المهم .

صوفيا : وماذا يعنى ذلك ؟

ميمي : أعمل في دكان . يبيع عاديات ، وأشياء أخرى صغيرة من بقاع مختلفة . لا تساوي أغلبها مليما . لكن هناك أيضاً أشياء صغيرة جميلة . انظري ، مثل هذه . . . (يقترب منها ويريها الساعة التي يحملها) .

صوفيا : ما هذه ؟

ميمي : ساعة . (يشغل العدة فتسمع الموسيقى . ينصت الاثنان بضع ثوان صامتين) من الذهب منقوشة ، وبالميناء مطلية بيد صانع ماهر من القرن الثامن عشر في قرية صغيرة خارج نورمبرج . عددها بطبيعة الحال تالفة .

صوفيا : أهي غالية الثمن ؟

ميمي : بالنسبة لي غالية جداً . (يضعها على رف الدولاب ويتأملها بإعجاب) وضعت عيني عليها منذ البداية . كلفتني مرتب شهرين . اشتريتها بالتقسيط طبعا .

صوفيا : وهذا الشيء هناك ؟

ميمي : هذه محارة من ماراكيبو .

صوفيا : كبيرة إلى هذا الحد ؟

ميمي : ضعيها على أذنك . ماذا تسمعين ؟

صوفيا : هديرا .

ميمي : كما لو كنت في البحر ، هيه ؟

صوفيا : صدقت - وريح تهب أيضا . . . من أين جاءت هذه ، قلت ؟

ميمي : من ماراكيبو .

صوفيا : آه . . . وهذا الخنجر ؟

ميمي : الخنجر ؟ كلا ، لم أشتره من الدكان . أهداه لى أحد الأشخاص . إسبانى ، من توليدو .

صوفيا : (تجربه) إنه حاد النصل .

ميمي : (يبتعد عنها) أتريدين أن تأكلى شيئا؟ أن تشربى ؟ (يذهب إلى دولاب أدوات المائدة ، ويفتحه ، يخرج زجاجة كونياك وقدحا) .

صوفيا : لا أشعر بالجوع هذه اللحظة . لكن إذا قدمت لى قدحا ساخنا تناولته راضية . (تتجول وتتأمل المكان والأشياء من حولها) ماذا عندك ؟

ميمي : كونياك ، قهوة ، شاى .

صوفيا : عندك لبن ؟

ميمي : أجل (يشرب قدحه جرعة واحدة) اجلسى ، سوف أحضر لك طلبك (يملأ قدحا ثانيا ويخرج من اليسار . تمضى صوفيا وقد ظلت وحدها تتأمل الغرفة . ترفع صوتها كى يسمعها ميمى) .

صوفيا : ألا يمكن تهوية هذه الغرفة من مكان ما ؟

ميمي : (من خارج المسرح) اجذبى الستائر الموجودة فوق الأريكة .

صوفيا : آه ! ياله من فناء جميل ! ما اسم هذه النباتات ؟

ميمي : غليسينيس .

صوفيا : غليسينيس . اسم جميل . لما لا تترك النافذة مفتوحة ؟

ميمي : (يدخل حاملا قدح اللبن) لا أريد أن يتسلى الجيران بالنظر إلى . اغلقيه !

صوفيا : الجيران ؟ من غيرك يسكن هنا ؟

ميمي : لا أعرف . أنا حديث العهد بهذا البيت .

صوفيا : لو كنت أنا لعرفتهم جميعا في يوم واحد . يطيب لي أن أتكلم مع الناس . (كانت في سيرها قد اقتربت مما يبدو أنه ستارة. تجذبها) آه ، نافذة أخرى . ما هذه الأنوار ؟

ميمي : الأحياء القديمة .

صوفيا : أيضيرك أن أتركه مفتوحا هنيهة ، كي أنظر إلى الخارج ؟ (تتناول قدح اللبن) غدا ، سأتجول في المدينة . مادمت قد وجدت بها فلأتعرف عليها . لن أخسر شيئا . ربما راقت لي أيضا . هذا شأني دائما . في البداية ، يبدو لي كل شيء سيئاً ، ثم أتعود . مثلما حدث لي في هذه الغرفة. ما أن دخلت حتى قلت لنفسي. كيف يمكن أن يعيش أحد هنا ، اما الآن فقد تعودت عليها وانتهى الأمر . ماذا تشرب أنت ؟

ميمي : كونياك !

صوفيا : تعبه عبا ، كما يقولون . إنه مستحب في هذا البرد ، هيه ؟ في ألمانيا يشربون كثيرا ، كل المشروبات . (عادت تجلس على الأريكة من جديد ، وتشرب لبنها رشفة رشفة) قضيت ثلاث سنوات في ألمانيا . من هناك جئت . أوه ! أجلس وأحكي لك أمورا كثيرة عني ، وأنت لا تبدو أنك تكترث بها كثيرا . ولكن ها أنا أحمل معي حقيبة ضخمة ، ألا يجدر أن تعرف السبب ؟ إني قادمة من سفر بعيد . كنت مع أمي . قد تسأل كيف تواجدت

امرأتان فى ألمانيا . إنها قصة طويلة . كان أبى قد ذهب إلى هناك ليعمل ، وذلك منذ أمد بعيد . سافر دون أن يخبر أحدا ودون اكتراث بنا . وفجأة ، منذ ثلاث سنوات تلقينا خطابا منه ، يدعونا للحضور إليه . بعنا كل ما لدينا ، بعض الأثاث القديم وما شاكل ذلك وانطلقنا إلى ألمانيا . ولكن عندما وصلنا إلى العنوان الذى كتبه لنا أبى اختفى . انشقت الأرض وابتلعته ، ولم يعد لدينا مال نعود به . لأننا أنفقنا فى البحث عن أبى كل شىء . وفى النهاية وجدت أمى عملا عند بعض الأمريكيين واستقر بنا الحال . وعدت أنا الآن إلى اليونان (ترفع كتفيها) يجب أن أنزل إلى اثينا لأقيم عند خالة لى . لكننى مللت أن أبدأ كل شىء من جديد . اتعرف . كما سبق أن قلت لك من قبل ، سأقوم بجولة فى المدينة ، وإذا راقت لى ، ربما استقر بى المقام هنا . لكن الأمر سيحتاج أن أجد عملاً . ألن تساعدنى أبداً؟ .

ميمى : من الصعب أن تجدى عملا فى مدينة صغيرة .

صوفيا : فى هذا الدكان الذى تعمل به ، ربما احتاجوا إلى فتاة . أعرف الألمانية وقليلا من الإنجليزية .

ميمى : لا تتصورى الأمور على هواك . ليسوا بحاجة إلى مستخدمين . لديهم مافيه الكفاية .

صـوفـيـا : لكن قد يعرفنى صاحب الدكان الذى تعمل به بآخرين . لن تخسر شيئا لوأخذتنى كى أتعرف به . هل آتى معك صباح غد ؟

مـيـمى : صباح غد ؟ لن أذهب غدا صباحا .

صـوفـيـا : إذن ، صباح بعد غد ؟

مـيـمى : ولاصباح بعد غد . إنى لا أذهب إلى هناك هذه الأيام . لدى إجازة.

صـوفـيـا : إذن ، فلنمر لمجرد أن تعرفنى به .

مـيـمى : (وقد فرغ صبره) كلا ، هذا لا يمكن .

صـوفـيـا : ألا تريد أن تساعدنى ؟

مـيـمى : قلت لك . هذا لا يمكن .

صـوفـيـا : إذن ، مادمت بإجازة ولديك وقت ، ستأخذنى إلى واحد من معارفك الآخرين .

مـيـمى : ليس لدى معارف .

صـوفـيـا : آه ، فهمت ! لا تريد . ربما تخشى أننى أنوى أن أبقى هنا ، وأصبح عبئا عليك . أظن أننى قلت لك من قبل، لست من أولئك اللاتى تظن أننى منهن .

مـيـمى : لا أظن شيئا .

صـوفـيـا : كيف ، كيف ، من أولئك اللاتى يدعوهن رجل إلى بيته لقضاء بعض الوقت . وإذا بها قد التصقت به مثل دودة مصاصة دماء . تصورتنى من الفتيات سيئات السمعة اللاتى يحصلون عليهن من مقاهى المحطات .

ميـــمى : لم أتصور شيئا . ولا حتى يعنينى هذا الأمر .

صـوفيـا : لكنه يعنيـنى أنا ! حيـاتى نقـيـة مثـل البللور . ولست بحاجـة إلى عون من أحـد . لست مفلسـة . عندى ما يكفينى لمدة شهر ونصف على الأقل . أخرجت أمى كل ما فى كيسها وأعطته لى . هل فهمت الآن ؟

ميـــمى : (ثائر الأعصاب) قلت لك لا يعنينى هذا الأمـر فى شىء ! وكـفى عن الاحتـجاج دون سـبب . إنك مـزعجـة . تزعجيننى .

صـوفيـا : حسنا . إذن ، فـلأرحل . ليس عليك سـوى أن تقول لى ذلك بصراحة .

ميـــمى : ترددين وترددين الأقوال ذاتها ! منذ اللحظة التى دخلت فيها ، وأنت تتكلمين عن الرحيل .

- صمت -

صـوفيـا : أنت مـحق . ربما كنت مـزعـجـة . لكن ضع نفـسك مكانى . لا أعرف كيف أتصرف نحوك . لم أعرف بعد ماذا تريد منى . أعتقد أنك . . .

ميـــمى : ماذا اعتقدت ؟

صـوفيـا : لاشىء . (برهة صمت قصيرة) ماعـدت أسمع المطر . تريد . . ربما تريد أن تخـرج فى نزهـة . أليـست هذه فكرة طيبـة ؟ فى طريق مجيـئى لمحت محـلا لبيع الحلوى ، بالقرب من هنا . لابد أنك تعلم عن أى محل أتكلم . هلا ذهبنا إليه نتناول شيئا ؟

ميمي : إننى لا أذهب أى محال بيع الحلوى . فيها ضجيج كثير، وأدخنة ، والجميع يتكلمون معا وبصوت جهورى . .

صوفيا : إذن ، فلنبق هنا . فى الحقيقة ، أنا أحب الصخب - وليس ذلك لأنى أجد فيه متعة ، بل لأنى بغيره أضجر، ولا أعرف ماذا أفعل . فى ألمانيا ، فى الأيام الأولى ، كنت على الدوام وحدى . كنا نسكن فندقا قديما . كان صفا من الغرف تطل على ردهة مديدة ضيقة . غرفتنا فى طرفها القصى بجوار دورة المياة . كانت أمى متغيبة طوال النهار . لم أكن أعرف كيف أمضى وقتى . عانيت عزلة موحشة ، لا يمكنك أن تصدق ! اسمع الآن ، عم تفتق ذهنى ! كنت أجلس وراء الباب ، وانتظر أن يذهب أحد إلى دورة المياه . وما أن أسمع خطواته تمر بالخارج ، أفتح الباب قليلا وأتحدث إليه . أقول له «مساء الخير» كيف حالك ؟ » يقف البعض ونتجاذب أطراف حديث قصير ، على أن البعض الآخر أيضاً كان ينتابهم الخجل - لأنى باغتهم ذاهبين للتبول ، وكان يتصادف ارتداؤهم ملابس النوم ، فكانوا يجرون مهرولين إلى دورة المياه . (تضحك) كانوا جميعا تجارا من الأقاليم. نزلاء عابرين. كنت أنا وأمى الوحيدتين اللتين تستأجران غرفة بالشهر - كلا. ليس هذا صحيحا ، كانت هناك امرأة أخرى أيضا . هل تتابعنى ؟

ميمي : كيف ، أجل !

صوفيا : كانت تقطن غرفة فى الطرف الآخر من الردهة . عندما أتذكرها يقشعر بدنى . كانت طويلة ونحيلة مثل عصا البليارد . ترتدى ثوبا باهتا ، لازلت اراه امامى ، بزهور حمراء ، أما رأسها . . (تنهض) انتبه ، فالأمر جدير بالاهتمام ، رأسها كله فكان ملفوفا بالضمادات . ولا يبدو من وجهها سوى عينيها وقليل من فمها فحسب . كنت أتعرف عليها عندما أسمعها تمر ذاهبة إلى دورة المياه ، وذلك من صوت خفيها اللذين كانا يزحفان على الأرض زحفا لينا . وكنت أغلق على نفسى الباب بسرعة . كان الخوف يتتابنى . لاتستهن بهذا الأمر . ذات مرة رأيتها فى نومى . كان كابوسا . وأنت ألا ترى فى نومك كوابيس ؟

ميمى : أحيانا .

صوفيا : ماذا ترى ؟ قل لى .

ميمى : أشياء مألوفة .

صوفيا : آخ ، قل لى ، يروق لى أن أسمع . إنى أجزع منها لكنى أفتن بها ! عندما كنت صغيرة ، كنت ألعب مع سائر الأولاد لعبة «الخوف» أتعرفها ؟

ميمى : كلا . إنها أول مرة أسمع عنها .

صوفيا : هذا صحيح ، كيف لك أن تسمع بها ! كانت لعبتى أنا ، تفتق ذهنى عنها ، كنا نجتمع فى الظلام ، ونرى من منا سيخيف الآخرين أكثر من غيره . وكنا نحكى ونحكى

وكـان بعض الأولاد لا يتحـمل ذلك فينهـار سريعـا ، وكان البعض الآخر يمضى فى سرد قصص مرعبة ، عن مسـوخ وخوارق ، وفى النهاية يكـون كل منا قد أطلق صرخته . ما من أحد كان يصمد حتى النهاية . والآن ، هل ستحكى لى عن كوابيسك ؟

مـيـمى : لا أذكر شيئا منها .

صـوفـيـا : (بلهفة) هيا ، أرجوك ، تذكر .

مـيـمى : (برهة صمت قصيرة . ثم يتكلم ببرود) ذات مرة ، رأيت فى الحلم أن البيت الذى كنت استـأجره آنذاك مع زوجتى ، صار فجأة ممرا .

صـوفـيـا : (بانفعال شديد) ممر ؟

مـيـمى : أجل . صدر أمـر من الحكومة بأن يصـبح ممرا . وصار لمن يشاء أن يفتح الباب ويدخل ، ويمر خارجا من الباب الآخر . ولم يكن يتسع الـوقت لى ولزوجتى ولا حتى أن ننهض من الفراش ، فقبعنا جالسين ملتفين بالملاءات ، وكـان الناس يمرون ، ويمرون . بل أن أحـدهم زحـزح سريرنا كما لو كان ريشة خفيفة ، كى يفسح الطريق .

صـوفـيـا : ليس هذا بالأمـر الجـسيم . لو أقص عليك أنا مـا أراه ستمـوت من الخوف . إننى أصرخ فى نومى وأسـتيقظ باكيـة ، أنا التى لم أبك يوما قط . (برهة صمت) . أنت تشرب كثيرا .

مـيـمى : هية ؟

صوفيا : أقول أنك تشرب كثيرا . أدمنت منذ رحلت ؟

ميمي : من رحل ؟

صوفيا : زوجتك .

ميمي : الا تكفين عن الإشارة إلى زوجتى . كفى هذه النغمة .

صوفيا : حسنا ، لا تغضب .

ميمي : يروق لك أن تدسّى أنفك فى كل شىء .

صوفيا : لابد أن نقول شيئا حتى يمضى الوقت ، وأنت لا تفتح فمك بكلمة . أتكلم أنا على الدوام . الساعة لازالت الثامنة والربع . ليس من بهجة هنا . كما أن الجو بارد . أصدقاء ، اليس لك أصدقاء ؟

ميمي : لماذا تسألين ؟

صوفيا : معارف يأتون لزيارتك .. ما قولك لو يدق أحدهم الباب ..

ميمي : كلا ، ليس لى أحد . ليس من المتوقع أن يحضر أحد.

صوفيا : لو يدق الباب الآن . ويدلف أحدهم هنا .. أنا لا أصدقك . سنك أربعون عاما ، وليس لك معارف . ألم يتصادف حتى عن طريق زوجتك أن توطدت علاقتك بأحد ؟

ميمي : لم يكن معارف زوجتى يساوون مليما واحدا . كنت أضجر منهم .

صوفيا : ولا فى الدكان الذى تعمل به ، التقيت بأحد ؟

ميمي : ما من أحد لائق . المستخدمون منشغلون بعملهم . والزبائن يأتون ، ينبشون المعروضات ، يسألون عن هذا الشيء أو ذاك ، ثم ينصرفون .

صوفيا : ولكن ماذا تفعل طوال النهار ، وأنت وحيد هكذا ؟

ميمي : أذهب إلى عملي ، وأعود منه ، وأنام .

صوفيا : وعندما يكون لديك إجازة ، مثل الآن ؟

ميمي : أخرج فى جولة ، إذا كان الجو طيبا .

صوفيا : أين تذهب ؟

ميمي : أذهب بعيدا ، بعيدا عن المدينة . إلى ناحية الحصون . أنت لا تعرفينها . المكان جميل هناك . أمشى كثيراً . أحب المشى . أصعد عاليا عاليا وأتأمل المدينة تحتى . المنظر هناك بديع ، وعلى الأخص عند الغروب .

صوفيا : وإذا كان الجو مطيرا ؟

ميمي : أجلس هنا ، وأقرأ .

صوفيا : ماذا تقرأ ؟ لا أرى كتابا واحدا .

ميمي : وضعتها كلها فى صندوق . وبعضها متناثر هنا وهناك .

صوفيا : أنا لا أقرأ ابدا . لا تروق لى القراءة . عندما أفتح كتابا أنزلق إلى التفكير فى أمورى ، ويحدث لى هذا أيضا فى السينما . ما إن يبدأ الفيلم حتى تنتابنى الرغبة فى الانصراف . (تنتفض) .

ميمي : ماذا حدث لك ؟

صوفيا : لاشىء . هذه الغرفة . . ألا يخيل لك أن الضوء فيها قد خفت ؟

ميمى : ربما بسبب المطر .

صوفيا : ماذا سنفعل لو انطفأ النور تماما ؟ هل لديك شمعة احتياطية ؟

ميمى : سنجد شيئا نستضىء به (برهة صمت . تذهب صوفيا ضجرة إلى النافذة . وتنظر خارجا . يتمتم فجأة شارد البال) أما عن الأصدقاء الذين تتحدثين عنهم فقد كان لى منهم كثيرون .

صوفيا : (تستدير نحوه دون اكتراث) وماذا حدث لهم ؟

ميمى : (ماضيا فى تمتمته وشرود باله) لا أدرى . رحل بعضهم . واختفى الآخرون . مضت سنون دون أن أراهم . كنا نلتقى فى مقهى فى «كمارا» .

صوفيا : (ماضية فى ضجرها وعدم اكتراثها) وما «كمارا» هذه أيضاً ؟

ميمى : (يستدير وينظر إليها) سفينة ، من القرن الثالث الميلادى .

صوفيا : لا تحدثنى عن التاريخ . لا أذكر منه شيئا .

ميمى : مقهى «القمر الجميل» هكذا كانوا يطلقون عليه . فقد علق عند مدخله مصباح على هيئة قمر نصفى .

صوفيا : كنت تتردد أذن على المقاهى .

ميمى : إننى لا أتكلم عن الحاضر . هذا الذى أقوله لك حدث منذ سنين . ولم يكن «القمر الجميل» مثل غيره من المقاهى . على الحائط علقت مرآة كبيرة ذات إطار ذهبى .. ثبتت فى زواياها بطاقات من ورق البردى تصور مناظر طبيعية . كما علقت أيضا صورة لسارة ليناندر فى ملابس الرجال .

صوفيا : المقاهي في ألمانيا مزودة بأثاث فاخر و . . (تتوقف لأن ميمى قد شرع يتكلم) .

ميمى : كانوا جميعا يحضرون إلى هناك. لم يكن يتخلف أحد . يجلسون متجاورين في صف واحد . أكاد آراهم . ميلتوس ، إيلياس ، يورغوس ، ميخاليس ، ماريا . كنا نبقى إلى وقت متأخر ، متأخر جدا . فكان النعاس يغلب الساقى . وفي بعض الأحيان كان يقترب ويتسمع حديثنا . لم يكن يفهم شيئا كان صبيا ، في الثانية عشرة من عمره .

صوفيا : بين الحين والحين كنت أذهب وأرقص . ومرة واحدة ، مرة واحدة فحسب ، ذهبت إلى حفل راقص كبير . عزفت فيه الموسيقى أوركسترا حقيقية .

ميمى : لم نكن نروق لصاحب المقهى . كنا نثير صخبا كثيرا . كان يقول تثيرون صخبا كثيرا ، وستدق أعناقكم يوماً ، آن أوان أغلاق المقهى . كنا آخر من ينصرف على الدوام . (تنظر إليه صوفيا باهتمام كبير الآن) آجل ، في ذلك الحين ، كان لي أصدقاء كثيرون .

صوفيا : حسنا . (برهة صمت) وماعدت تراهم الآن ، من وقت لآخر ؟

ميمى : (محادثا نفسه) نادراً . منذ سنة التقيت مصادفة بأحدهم ، في الطريق عرفته منذ أول وهلة ، أما هو فلم يعرفني . أحتاج أن اخبره باسمي ، حتى يتذكرني (تبتعد صوفيا عن

النافذة . تأتى إلى مرآة قديمة ذات إطار ذهبى معلقة إلى اليسار . تتأمل صورتها المنعكسة على اديمها) كان قد خطا فى الطريق الصاعد . كون ثروة . شيء غامض كيف تأتى له ذلك . افتتح منتدى فخما على مقربة من البحر . يلتقى فيه صفوة القوم كل ليلة . (قربت صوفيا وجهها من المرآة ومضت تتحسسه باناملها) سر كثيرا بلقائي . هكذا قال . وذكر لى أنه بدوره ماعاد يرى أحدا من القدامى . أخبرنى أن إحدى فتيات الصحبة صادفته أمام بيته ذات مرة ، لكنها تظاهرت بأنها لم تره . أحزنه ذلك كثيرا . إنها ماريا . كان اسمها ماريا آنذاك ، كنا نعرفها جميعا بهذا الاسم .

صوفيا : كنت أعرف فتاة اسمها ماريا ، وكنا نناديها مارا .

ميمى : قال أن حالها قد ساء . إبيض شعرها. وتهدّل ثدياها . تأثّر كثيرا لما رآها ، لكن تحاشيها له أحزنه أكثر . كما قال لى إنه ليس سعيدا ، وزوجته لاتنجب له أولادا، وهى تعانى من مرض يجعل عرقها كريه الرائحة، حتى أضحى الرقاد إلى جوارها عذابا لايطاق .

صوفيا : (تنصرف عن المرآة) الساعة لازالت الثامنة والنصف .

ميمى : (يغضب فجأة) ماذا تريدين فى النهاية ؟ تروحين وتجيئين طوال الوقت ! اجلسى فى مكان واحد !

صوفيا : كان من الأفضل الا أجيء إلى هنا الليلة . أجل كان ذلك أفضل ! سحقاً لكل شيء ! كنت سأدفع مال أسبوع وأستأجر هذه الليلة غرفة فى فندق غالى السعر .

هذه الفنادق شيء آخر . كنت سـوف انزل إلى قاعة الفُندق وأشاهد الناس . لكننى جئت هنا ، وانتهى الأمر. فات الوقت . إلى أين أجـرى فى هـذا المطر ، لن أوفق أبدا فى الخروج من هذه الأزمة ، وأصل إلى قلب المدينة .

مـيـمي : ولماذا تريدين أن تنصرفى ؟

صـوفـيـا : لا يروق لى الجـو هنا! هذا هو السبب ! شيء مـا يطبق على صدرى، يعتصـر قلبى ! أختنق ! وفضلا عن ذلك فأنت ضجر منى . أرى ذلك . لا تعـيرنى انتباها . إما أن تتـحدث إلى نـفسك أوتغلق فـمك . لا أفـهم لماذا دعوتنى ، مادمت منذ أول لحظة قد سئمت منى . وهذا الضوء يزداد خفـوتا كلما تقدم الوقت . تنتـابنى الرغبة فى أن اخـرج إلى عـتـبة الـسلم وأطرق بابا ، أى باب ألقاه! أتعـرف أن وقت الطعام قـد حان ؟ لابد أنهم فى الشقق الأخرى يتأهبون للجلوس إلى المائدة .

مـيـمى : سألتك من قبل ، فقلت لى أنك لست جائعة .

صـوفـيـا : تفهم جيدا ما أقول ، وليس لى رغبة فى أن آكل ، وأنا أرى وجهك الجـهم . آه ، اسمع ! سأصـعد إلى الدور العلوى . حقا ! سأدق باب هذه العجوز التى دعتنا إلى شرب الشاى مع ابنتها .

مـيـمى : الزمى صوابك . لا تستطيعين أن تذهبى إلى هذا البيت.

صـوفـيـا : أستطيع ذلك. وأستطيعه جيدا . سوف يسران لرؤيتى . سأقول لهما : جئت أنعم بصحبتكما .

ميـــمى : قلت لك : لا تستطيعين .

صـوفيـا : أتقول ذلك ؟ ها أنا ذاهبة إذن (تخلع ثوبها بحركة مفاجئة . بينما يحاول ميمى أن يثنيها عن ذلك) .

ميـــمى : لا تكونى حمقاء .

صـوفيـا : سأذهب ، سأذهب ، سأذهب ! (يمسك ميمى بذراعيها) دعنى ، أنت تؤلمنى ، سأذهب فى زيارة قصيرة وأعود. اتفقنا ؟

ميـــمى : قلت لك ليس باستطاعتك أن تذهبى . اسمعى ، هذه المرأة مجنونة .

صـوفيـا : مجنونة ؟

ميـــمى : مجنونة . كيف أعبر لك عن ذلك . إنها مختلة العقل.

صـوفيـا : تكذب على . لا أصدقك .

ميـــمى : كل من فى البيت يعرفها . . أول ما يجب أن تعرفيه أنه ليس لها ابنة ، بل لم يكن لها ابنة قط .

صـوفيـا : لا أفهمك .

ميـــمى : (يتعمد . يتناول قدحه من جديد) كان لها ابن قتلوه أثناء الاحتلال أمام عينيها ، فاختل صوابها . فهمت الآن ؟ نسيت ابنها المقتول . وخيل إليها منذ ذلك الوقت أن لها ابنة تجول فى البيت ، وتستقبل الناس ، وتخبز الفطائر.

صـوفيـا : (غير متأكدة) مستحيل هذا . أنت تسخر منى .

ميـــمى : أقول لك يعرفها الجميع هنا . تتنقل بين الشقق نازلة صاعدة وتزعج هذا تارة ، وتزعج ذاك تارة أخرى .

صـوفـيـا : (تجلس على الأريكة بحركة آلية) ما كان يجب أن تقول لى هذا . حزنت من أجلها .

مـيـمى : ما كنت سأخبرك لولا أنك أصررت على ذلك كثيرا .

صـوفـيـا : تصور ! أى أشياء يسمـعها المرء إذن ، ما دام الأمر على هذا النحو ، فهنا أفضل . ها هو يخفت مرة أخرى .

مـيـمى : ما الذى يخفت ؟

صـوفـيـا : الضوء .

مـيـمى : يخيل إليك ذلك .

صـوفـيـا : قـتلوا كـثـيـرون آنذاك - ألـيس كـذلك ؟ - فى زمن الاحتلال . لم أكن قد ولدت بعد . أما أنت فلابد أنك كنت شابا . ماذا كنت تفعل ؟ هل كنتم تقاسون كثيرا ؟

مـيـمى : اختلف الأمر .

صـوفـيـا : ماذا يعنى «اختلف الأمر» ؟

مـيـمى : قاسى البعض ، والبعض الآخر لم يقاس .

صـوفـيـا : وأنت كيف أمضيت تلك الحقبة .

مـيـمى : أنا . . كنت أدرس الهندسة الكهربائية .

صـوفـيـا : صحيح ؟ ولم تكمل دراستك ؟

مـيـمى : كلا .

صـوفـيـا : وبعد ؟

مـيـمى : لم يكن ثمة «بعد» ؟

صـوفـيـا : ماذا فعلت بعد ذلك ؟ كـيـف امضيت كل هذه السنين . لماذا هجرت الهندسة الكهربائية ؟

ميمى : متاعب . . (يزداد انفعاله) .

صوفيا : اتعرف ؟ تجيبنى على كل ما أسألك بأنصاف إجابات . لا يمكن لحديث أن يتصل هكذا . (تهب واقفة) سئمت . سئمتك !

ميمى : لا تهبى واقفة هكذا ، كل لحظة .

صوفيا : سأرحل ، وليحدث ما يحدث .

ميمى : ستبقين هنا ، كما اتفقنا . وفى صباح الغد ، ستأخذين حقيبتك وترحلين . ها هو سريرك ، ارقدى ونامى ، إذا أردت . سأذهب إلى المطبخ .

صوفيا : ليس لى رغبة فى النوم . ولكن ماذا تريد منى فى النهاية ؟ أى إنسان أنت ؟ يخيل إلى أنك لست فى صوابك . . إلا إذا كنت . . حسنا ، إذن ، سأبقى ولكن ستتحادث . استمع ؟ لست مجرد متاع تجلبه إلى هنا ، وتتركه مهملاً فى الركن ! ستتحادث !

ميمى : وهل لدينا ما نتحادث فيه ؟

صوفيا : لدينا الكثير . قبل كل شيء ، لماذا انفصلت عن زوجتك؟

ميمى : إنها حكاية معقدة .

صوفيا : ها قد عدت إلى الكلام المنقوص . كم سنة عشتما معا؟

ميمى : عشر سنوات .

صوفيا : لابد أنها كانت امرأة دميمة . هية ؟

ميمى : كيف خطر لك مثل هذا الخاطر ؟

صوفيا : هكذا . دميمة وعجوز . هذه هى المرأة التى تليق بك . اتعرف على أية هيئة أتخيلها ؟ بجدائل محلولة ، وعينان صغيرتان وأنف مثل منقار طائر !

ميمى : كلا ، على الإطلاق. كانت فائقة الجمال .

صوفيا : دميمة ! كانت دميمة ! هذا الثوب يستحيل إن كانت ترتديه امرأة جميلة . الجميلات يرتدين ملابس من الدانتيلا متماوجة الأطراف . ولابد أنها كانت عجوزا . هية ؟ مائة عام !

ميمى : كنا من سن واحدة .

صوفيا : ها أنت تعترف ! صدقت عندما قلت إنها عجوز! ومخبولة ومجنونة وبخيلة ! أجل ، بخيلة . كانت بخيلة على الأخص ! ها ، ها ، ها ، ها ، ها ، (انتابتها حالة شبه هستيرية ، مضت تقفز حوله) يا للحياة السوداء التى كنتما تحيانها معا . لو كنت أعرفكما ما كنت سأضع قدمى فى بيتكما لزيارتكما . كنت سأتقزز حتى من القهوة التى كنتما ستقدمانها إلى . كانت الأقداح ستحمل عليها بصمات .

ميمى : كفى عن السخافات ! ماذا دهاك ؟

صوفيا : تغضب ، هية ؟ اسمع ، هل تريد أن نلعب لعبة ؟ نلعب كي يمضى الوقت ؟ سأتظاهر بأنى زوجتك . (تنكش شعرها ، وتلقى به على وجهها ، وتسير بخطوات متخبطة) وأنت زوجها . تعال قل لى ماذا كنتما تفعلان ، عندما كنتما معا ، ماذا كنتما تقولان ؟

ميمى : كفى ، أقول لك . هل جننت ؟

صوفيا : (ماسة) لماذا طلقتها ؟ قل لى ، قل لى . هل فاجأتها مع عشيق . أم فاجأتك هى ؟

ميـــمى : لا هذا ، ولا ذاك . كل مـا فى الأمر ، إننى مـا كنت أصلح للزواج . مـا كنت أصلح لشىء على الإطلاق - على الإطلاق وأنى لأكرر عليك القول ، كفى . ليست بى رغبة فى أن أتحدث عن ذلك . . .

صـوفيـا : ليـست بك رغـبة ، لأنه ليس لك مـصلحـة فى ذلك. ليس لك مصلحـة فى أن تقول ماذا كـان يدور بينكما . أكاد أراكـما أمـامى . لعلكمـا كنتمـا من أولئك الذين يتـبادلون الشـتائم طول النهـار . يتضـاربون ثم يرتدون أفضل ملابسـهم ويخرجون للنزهة . ولكن ذات يوم ، لم يعد أحدكما يحتمل، ورحل. أليس هذا ما حدث ؟ قل لى من منكما رحل أولا ؟

مـيـــمى : أنا الذى رحلت أولا. لكن لم يحدث شىء مما ذكرته . رحلت لأننى أردت أن أبقى وحـدى . فهمت ؟ عـشر سنوات فيها الكفاية .

صـوفيـا : تبقى وحـدك كى تتفـرغ لأعمالك الـقذرة ، وتجلب بلا قيد من تشاء من النساء إلى شقتك .

مـيـسمى : أنى لا أجلب إلى شقـتى أحدا . أنت أول أمرأة وطأت هذا البـيت منذ أن اسـتأجـرته، وكـان ذلك من شهـر مضى، ولم أحضرك من أجل هذا الذى تظنينه .

صـوفيـا : إذن ، لماذا ؟ (برهة صمت) لماذا دعوتنى لأنام هنا الليلة؟

مـيـسمى : لا أدرى . . لا أدرى . . لا تسـأليني . . ربما لأننى أشفقت عليك فجأة.

صوفيا : لا أصدقك .

ميمي : أنت محقة . ربما أردت أن أعرف كيف يكون الحال فى صحبة إنسان آخر . طوال هذا الوقت الذى أغلقت على نفسى فيه الباب ، لم أكن أرى مخلوقا .

صوفيا : (هامسة) لماذا اغلقت على نفسك الباب ؟ ما الذى دهاك؟ أتخشى من شيء ؟ فى لحظة خطر ببالى أنك ارتكبت جرما وتختفى بسببه .

ميمي : (ماضيا دون أن يعبرها اكتراثا) طوال شهر مضى ، كنت أفعل ما يروق لى .

منذ اللحظة الأولى ذاتها التى جئت فيها قلت لنفسى : ها أنا فى النهاية وحيد بين جدران أربعة ، دون أن يكون هناك من يطالبنى بحساب . تستطيع أن تتصرف كما يحلو لك ، مادمت وحيدا . تستطيع أن ترتكب حماقات ، أن تسير على أربع . ليس ثمة شهود على ما تفعل . ذات يوم تناولت طعامى جالسا على الأرض ، وفى يوم آخر أكلت بأصابعى دون شوكة أو سكين . وقد ضحكت من ذلك كثيرا .

صوفيا : يا لها من تصرفات بشعة ! ماعدت أطيق أن أسمعك . (تجول فى الغرفة يائسة) يا آلهى ، كم أنا سيئة الحظ على الدوام ، كم أنا سيئة الحظ ! لم ألتق قط بإنسان لائق ، سواء أكان رجلا أو امرأة .

ميمي : (يمضى خلفها) اسمعى . هيا ، اسمعينى . . .

صوفيا : (ماضية فيما كانت عليه) قمت بسفر طويل . يسمع الآخرون أني كنت بألمانيا ، فيقولون ما أجمل الحياة هناك ، أما أنا فقد ذقت فيها الأهوال . . .

ميمي : هل ستتركينني أكمل كلامي ؟ كانت زوجتي تعزف على البيان . كانت تحبه كثيرا . كانت مفتونة به . تجلس وتتدرب عليه ساعات طوال .

صوفيا : فلتفعل ما تشاء ، ما الذي يعنيني ؟

ميمي : وطوال إقامتنا في دار أبيها الذي كانت به غرف عديدة كان الوضع محتملا . كان بيتنا جميلا . من طابق واحد . لا يشاركنا فيه أحد . كان أبوها غنيا .

صوفيا : آه ، قل لي هذا ، كانت زوجتك غنية ! من أجل ثروتها تزوجتها .

ميمي : لكننا تشاجرنا مع أبويها العجوزين ، واستأجرنا شقة صغيرة في إحدى العمارات ، لأنه كان علينا أن نقتصد. لكن ذلك لم يكن سهلا .

صوفيا : آها ، طوال الوقت الذي كنتما تحلبان فيه حماك العجوز كانت تسير الأمور على ما يرام .

ميمي : لا تقاطعيني . ما كنت أقصد ذلك . السكان ، السكان الآخرون من حولنا اشتركوا في النهاية . ترين أن زوجتي أصبحت مضطرة بعد ترك بيت أبيها أن تقوم بكل الأعمال المنزلية وحدها . كان عليها أن تذهب إلى السوق ، وأن تطبخ . ولم يعد يبقى لها وقت بالنهار لأنها أيضا بطيئة في أداء الأعمال . ولهذا فقد كانت

تعزف بالليل . كانت تبدأ لنقل فى العاشرة وتنتهى فى الواحدة ، أو فى الثانية . . لكن الناس كانت تريد أن تنام ، وحتى لا يطردوننا ، ولم يكن الانتقال إلى بيت آخر بالأمر السهل ومعنا البيان ، قررت أن تعزف بالنهار، وتقوم بسائر الأعمال ليلا .

صوفيا : بكل تأكيد ، كانت زوجتك قد فقدت الصواب !

ميمى : أليس كذلك ؟ ضعى نفسك فى مكانى من فضلك . طوال النهار البيان يصدع رأسى ، قلت لك إن الشقة كانت صغيرة ، تقريبا بحجم هذه الغرفة ، ثم بعد ذلك فى الليل ، أوه يا إلهى ! جعل الليل كى يلقى المرء بنفسه على سريره وينام ، وهذه أحلى لحظات العمر ، ولكن كيف يغمض لى عين ، وأنا أحس بها تهيم مثل شبح من المطبخ إلى غرفة المائدة . ترفع وتضع صحوننا وحللا تفتح وتقفل صنابير الماء . ورائحة الطبيخ المحروق تخرق خياشيمى ؟

صوفيا : (تجلس مجهدة وتتنهد) هى تريد أن توهمنى بأنك رحلت عن البيت لأن زوجتك كانت تعزف على البيان !

ميمى : كلا ، بلاشك ، كلا ، ليس بسبب ذلك . كانت امرأة مثل عديدات غيرها . سوف كان بإمكانى أن أحتملها ، كما احتملت أموراً أخرى .

صوفيا : إذن ، لماذا ؟ لماذا ؟

(برهة صمت . يبتعد ميمى ويتناول قدحه من جديد) .

ميمي : (بلهجة هادئة) لأنه جاء . جاء ذلك الشاب . كان يجيء ويجيء . كان يعرف أين أقيم ، يعرف أين كان بإمكانه أن يجدني .

صوفيا : أي شاب هذا ؟ عمن تتكلم ، مرة أخرى ؟

ميمي : كان الوقت ليلا ، حوالي الثامنة - كنت قد عدت من عملي توا . جلست بجوار النافذة . أتابع الأولاد الذين يلعبون في الميدان . لم أكن أفكر في شيء . كنت أدخن . كنت أحس بالتعب ، بتعب شديد . كانت ساقاي تؤلماني عند المفاصل - وهي تؤلمني دائما كلما تغيرت الفصول . هنا ، تحت ، وعند الركبة . في لحظة دخلت زوجتي وأضاءت النور . كانت تحمل كومة من الثياب ، شرعت تطويها كي تكويها . وعندئذ ، دق الجرس . فجأة . نهضت . وذهبت أفتح . كان هو .

صوفيا : من ؟

ميمي : أقول لك هو . الشاب ! وقف عند الباب ، وقال لي : «إني قادم من عند أخيك في المصحة» قلت له «ليس لي أخ في المصحة . ليس لي أخوة على الإطلاق» قال لي «لكن كلا . ليست هذه هي الإجابة . كلمة السر ، تذكرها ، كلمة السر .»

صوفيا : أي كلمة سر ؟ أي إجابة ؟

ميمي : كانت الإجابة «مقهى القمر الجميل يسهر حتى الصباح».

صــوفيــا : لا أفهم شيئا .

مــيــمى : «لا أفهم شـيئا» هذا ما قلتـه آنذاك . وأردفت أقول «لابد أنك تبحث عن شخص آخـر» قال لى «ليس لدى وقت أضيعه . ميلتوس موجود هنا . ميلتوس . وهو يريدكم أنتم القدامى» أتسـمعين؟ «أنتم القدامى» أجبـته «اسمى ديمتـريوس كيـسوبـولوس . وهذه زوجتى . أعـمل فى دكان لبيع التحف القديمة ، وأتقاضى عمولة . لا أعرف ماذا تقـصد» فقـال لى وقد بدا عليـه الاضطراب «حسناً جداً . سوف أعـود . أفهم . لا تستطيع الآن ، ولكن تذكر أننى بعد قليل سأعود» .

صــوفيــا : (تنهض تمسك رأسها بيديها) أريد أن أضع لقمة فى فمى . إنى جائعة . وبدأ يحل بى النعاس .

مــيــمى : (يمضى ويقف خلفها) وعاد مرة أخرى . جاء إلى فى الدكان هذه المرة وبصحـبته مـاريا . كان شعـرها قد ابيض كله تقريبا . وكان الشاب يتـحدث من جديد عن ميلتوس . كان يقول «غاب ميلتوس عشـرين عاما . اختفى عشرين عاما . خسر عـشرين عاما ، ولكن الآن يجب أن يفعل شيـئا» وكانت مـاريا تثبت أنظارها فى عـينى .» وقلت «وماذا تعتقد أننى كسبت ؟ لم أضح سوى مستخدم فقير» وقـالت مـاريا «إننا لا نطالب بأعـبـاء» فـقلت «أمـا أنا فأطالبكم . زوجتى تعذبنى . مرة كل أسـبوع أصطحبها إلى السينمـا ، وفى أمسيـات الآحاد نتناول العـشاء فى

حانة قريبة . إنها تعانى من معدتها ، وتوقظنى بالليل لأحضر لها أقراصا من الصيدلية . أهذه حياة؟ أهى حياة هذه ؟ إنى أسألكم ؟ كلا ، إنها ليست حياة . إذن ، اتركونى هادئا» .

صوفيا : إنى جائعة . معدتى تشدنى .

ميمى : «سنمر غدا» كانت هذه هى الإجابة (بصوت مختنق) فقلت من داخلى سأرحل . سأرحل من البيت ومن الدكان ، ولن تجدونى فى أى مكان .

صوفيا : أحضر لى شيئا إذن . أو قل لى أين الطعام كى أعده بنفسى .

ميمى : (بضراوة) كفى !

صوفيا : قليل من اللبن ، على الأقل ، قليل من اللبن الدافىء وكسرة خبز .

ميمى : كفى ، قلت لك !

صوفيا : أبقيتنى هنا عنوة ، وتتركنى الآن جائعة . أحضر لى شيئاً آكله .

ميمى : (يمضى منكبا عليها) ماذا قلت ؟

صوفيا : أحضر لى شيئا آكله . (يتراجع) .

ميمى : أعيدى قول ذلك !

صوفيا : (جزعة) لماذا تنظر إلى هكذا ؟ لما أقل شيئا سيئا . (يتراجع) ماذا ستفعل بى هيه ؟ سأصرخ .

ميمى : إنى أنظر إليك .

صوفيا : سأصرخ .

ميمي : إنى أنظر إليك .

صوفيا : لماذا تنظر إلى ؟

ميمي : أريد أن أرى كيف يكون الحال عندما يوجد بجانبك إنسان من جديد ، يشاركك غرفتك ، ويرهقك بثرثراته الحمقاء . يحس بالبرد ، يتدفأ ، يريد أن يفتح النافذة ، يريد أن يذهب فى جولة ، يشعر بالجوع (يشرع فى التقدم نحوها) .

صوفيا : (تراجع) مجنون أنت ، أم سكران ؟

ميمي : فهمت الآن لماذا أحضرتك ؟ كى أراك ترحلين . قضينا ساعة معا . سنقضى ساعات أخرى حتى منتصف الليل. ثم ستنامين حتى الصباح . ستتجولين قليلا بالثوب المنزلى . ستدخلين الحمام . ستحدثين جلبة . ستسألين عشرات المرات ألا زالت السماء ألا زالت تمطر، أم توقف المطر ؟ ستسألين لماذا طلقت زوجتك ، لماذا تخليت عن دراسة الهندسة الكهربائية . .

صوفيا : لا تقترب منى !

ميمي : ماذا سنأكل اليوم ، ما هو المرتب الذى تتقاضاه ، كم تدفع من إيجار ، ماذا فعلت أثناء الاحتلال ، ما الذى فعلت طوال هذه السنين . ستسألين ، عن كل شيء ستسألين . ولكن فى النهاية ستأخذين حقيبتك وترحلين سأغلق الباب خلفك ، وستصبح هذه الغرفة ملكى من

جديد ، لن يحضر أحـد هنا . لن يعثر على أحد . لن يعثروا على أبدا . أبدا .

صـوفـيـا : لا تقترب منى ، أنت مجنون !

مـيـمـى : عشرون عاما ، شيء كثير . لن نبدأ منذ البداية من جديد .

صـوفـيـا : لا تتهور فتلمسنى . أنا قاصر .

مـيـمـى : أنت تعرفين الآن كل شيء .

صـوفـيـا : سأصرخ .

مـيـمـى : لا تصرخى . لن أفعل بك شيئا .

صـوفـيـا : النجدة !

مـيـمـى : (يرجها بعنف) لن أمسك بشيء .

صـوفـيـا : النجـ . . (يدق الجرس . يبقى الاثنان متسمرين) الجرس .

مـيـمـى : هل يعرف أحد أنك جئت هنا الليلة ؟

صـوفـيـا : كلا .

(يدق الجرس من جديد بإصرار . برهة صمت . يتبادلان النظرات . ثم يمضى إلى الباب باضطراب داخلى شديد . ولكن بثبات . تدخل العجوز وهى على الدوام حلوة هادئة وناعمة . كل ما فى الأمر أنها الآن لا تبتسم) .

العـجـوز : هل جرى شيء ؟ معذرة إذ اضايقكما فى مثل هذا الوقت . لكننى أرجوكما لا تحدثا جلبة (ينظر إليها ميمى وصوفيا محبطين من جراء المشهد السابق) . إنى وحيدة ، وأجزع. إنى وحيدة . نامت ابنتى مبكرة الليلة . أغلقت على نفسها باب غرفتها ونامت . أنها كما تعرفان تعسة جدا،

لا يحضر أحد لرؤيتها أبدا . ما من أحد يطلب منها أن تخرج معه . من الأفضل لها أن تنام . وإلا فإنها تجلس فى ركن مـن الأركـان وتبـكى . تبكى بلا انـقطاع . . ولهذا أرجوكما - لا تحدثنان جلبة ستوقظانها - هس. . هدوء . (تحنى رأسها إلى أسفل قليلا) طاب مساؤكما.

(تخرج) .

صــوفـيـا : (تغطى وجهـهـا فـجأة ، لكن دون بكاء) لا أطيق ، لا أطيق هذه المرأة تجوس هنا .

(يـستدير ميمى وينظر إليها ، كما لو كان يراها لأول مرة حقا) .

مـــيــمى : سأذهب لأعد لك شيئا تأكلينه .

صـوفـيـا : (تخفض يديها من على وجهها . تحاول أن تسترد هدوءها) ماعدت أشعر بالجوع .

(تنهض . تخطو بضع خطوات بلا هدف . يتابعها ميمى بنظراته) .

مـــيــمى : سترحلين أم ستبقين ؟

صـوفـيـا : لا أستطيع الرحيل . كـذبت عليك عندما قلت أن معى نقودا . أنى لا أحمل سوى تذكرتى إلى أثينا .

(صمت)

مـــيــمى : هل أنت متأكدة أنك لا تريدين طعاماً ؟

صـوفـيـا : بى رغبة شديدة إلى النوم . إنى متعبة من السفر .

مـــيــمى : حسنا ، إذن ، ها هو سريرك . سأعد لنفسى فراشا فى المطبخ .

صـوفـيـا : لعلك . . تفضل أن تنام هنا . سأذهب أنا إلى هناك .

مــــيـــــمى : كلا . . . طابت ليلتك .

(يخرج . تبقى صوفيا وحدها . تأخذ بحركات بطيئة فى إعداد الأريكة . وفجأة تخر على الأرض وتشرع فى البكاء بحرقة) .

ستار

لولا أناغنوستاكى

المدينـة

قدمت «المدينة» مع مسـرحيتي «لقاء في الليل» و «الاسـتعراض» أول مرة على «مسرح الفن» بأثينا في مـايو ١٩٦٥ من إخراج كارولوس كون ، وديكور ماريا روسو : اشترك بالتمثـيل : مايا لاميروبولو ويورغو لازانيس ونيكاتار فوتيريس .

وفي يناير ١٩٦٦ قدمها التليفزيون القبرصي من إخراج: جافرياليديس .

وفي أبريل ١٩٦٧ قدمـتها فرقـة «داي أوبردي» الإيطالية في بادوا من ترجمة : فيليبو ماريا بونتاني وإخراج : ن. تسينجاكو .

وفي يوليو ١٩٦٩ قـدمتها هيئـة الإذاعة البريطانية من تـرجمة جورج إنجيل ، ومارتن إسلن .

الشخصيات

كـيـمـون .
اليسافيت .
المصــــور .

(غرفة . الوقت مساء والظلمة تزحف سريعاً . فى هذه اللحظة يضىء الغرفة نور قليل وافد من النافذة . يجلس كيمون ساكتا فى العتمة غارقا فى مقعد عميق . وهو رجل فى الثلاثين من عمره ، طويل ، نحيف ، وسيم. برهة صمت. تعود اليسافيت من الخارج . تدير المفتاح فى الباب وتفتحه . تخطو داخله دون أن تتنبه إلى وجود كيمون . تضىء مصباحاً ذا حامل مسند إلى الأرض - وفجأة ......)

كيمون : اليسافيت !

اليسافيت : (جزعة) آه! (تضىء المصباح الثانى) أنت تجلس هنا ؟

كيمون : أجل . وأين أجلس غير هنا ؟

اليسافيت : تصورت أنك ستكون فى غرفة النوم .

كيمون : لم أدخل غرفة النوم قط .

اليسافيت : كنت تجلس هنا طول الوقت ؟

كيمون : أجل .

اليسافيت : لماذا لم تكلمنى ما إن دخلت ؟ أخفتنى . .

كيمون : معذرة . لم أكن أقصد .

اليسافيت : هذا الشغف بأن تعلن عن وجودك فجأة ، شىء لايطاق.

كيمون : قلت لك ، لم أكن أقصد .

اليسافيت : شىء لايطاق . لا أحتمله . أمس ، دخلت المطبخ ووقفت خلفى دون أن أتنبه إليك . كاد يغمى على عندما استدرت فرأيتك فجأة أمامى .

كيمون : أعتقد أنك سمعتنى . ما الذى يجعلنى أدخل إلى المطبخ خلسة ؟

اليسافيت : وما أدراني ؟

كيمون : ليس ثمة ما يحملني على أن أتسلل إلى المطبخ .

اليسافيت : حذاؤك لا يأتي صوتا .

كيمون : ألصقت به نعلا من المطاط . قلت لي إن الضوضاء يزعجك .

اليسافيت : الضوضاء .. الضوضاء .. أى ضوضاء يمكن أن يصدر عن رجل يمشي ؟ كنت أتكلم عن الضوضاء الشديدة .. عن الضوضاء التي تصدر عن طائرة .

كيمون : من هنا لا تمر طائرات .

اليسافيت : عن السيارات ، الموتوسيكلات ، الراديوهات .

كيمون : أنت التي اخترت هذه الشقة وسط البلد . لاحق لك في الشكوى ، إذن .

اليسافيت : لا أشكو . أريد أن أشعر بالناس من حولي . على الأقل من حولي . (تأتي إلى الشباك وتجذب الستار) يروق لي المقام هنا . هذا الميدان الذي تتوسطة النافورة ، دار السينما ، المحلات ذات الواجهات المضيئة - الكنيسة . وددت أن أقيم هنا إلى الأبد . في هذا البيت ، في هذه المدينة . مللت السفر المتواصل . مللت السكك الحديدية ، والفنادق ، والحقائب .

كيمون : الأفضل ألا نعود إلى هذا الموضوع . أرجوك .

اليسافيت : أجل ، الأفضل ألا نعود إليه . (برهة صمت) ماذا كنت تفعل طوال بعد الظهر ؟

كيمون : تصفحت كتبا ، ومجلات . .

اليسافيت : تعرف جيدا أنك لا يجب أن تقرأ . عيناك فى حالة سيئة .

كيمون : عيناى ليس بهما سوء على الإطلاق . إنهما على خير ما يرام .

اليسافيت : لو مضيت هكذا ستصاب بالعمى .

كيمون : أعجب كيف دخلت عقلك هذه الفكرة .

اليسافيت : الشمس تضايقك . نسمات الهواء تضايقك . يجدر أن نستدعى طبيبا . غدا ، سأحضر طبيبا يفحصك .

كيمون : إذا فعلت ذلك ، سأغادر البيت .

اليسافيت : من فضلك ، لماذا لاتريد أن تسمع كلامى؟ على الأقل، إرضاء لى ، توقف عن القراءة قليلا . لماذا لا تخرج فى نزهة ؟

كيمون : الجو لا يطاق . الريح تعصف والمطر ينهمر .

اليسافيت : كل يوم ، تتعلل بالأعذار ذاتها كى تبقى فى البيت .

كيمون : كل يوم ، الريح تعصف ، والمطر ينهمر . هل هذا كذب ؟

اليسافيت : مضى اليوم شهر على مجيئنا إلى هذه المدينة . ومامن مرة دفعك الفضول أن تخرج قليلاً وتتنزه. فى النهاية ، إنها مدينتى ! هنا كبرت . لو كنت تهتم بى أدنى اهتمام لحاولت أن تتعرف عليها .

كيمون : ولماذا أتعرف عليها ؟ المدن كلها متشابهة . وهذه المدينة أسوأ المدن جميعا . لا تحتجى . قلت لى ذلك بنفسك. قلت لى أن السماء تمطر أغلب الأوقات وتمتلىء الشوارع بالطين . ثم تطلع الشمس ، وتهب الريح فتذرو التراب الذى يعمى العيون ، ويصيبك بالسعال ، تلصق بك ذراته . تحسين باللزوجة على يديك ، وعلى شفتيك . تمضغين ترابا ، أليس هذا ما قلته ؟

اليسافيت : ليس هذا كل ما قلته .

كيمون : هذا ما أذكره أنا . فلنغير موضوع النقاش ، الآن قولى لى ماذا فعلت أنت طوال النهار ؟

اليسافيت : ماذا كنت تريدنى أنْ أفعل . خرجت – وتمشيت . . .

كيمون : تحت المطر ؟

اليسافيت : توقف المطر منذ وقت طويل .

كيمون : يجدر أن تتقى الرطوبة .

اليسافيت : (تنتابها قشعريرة) ألبس ملابس ثقيلة . دافئة . ثم أننى أحب التجول ، أيا كان الجو . ألم تلحظ ذلك؟

كيمون : أجل ، لاحظت ذلك الآن وأنت تشيرين إليه .

(برهة صمت قصيرة)

اليسافيت : (بهدوء) أتساءل إن كنت قد اهتممت بأمر من أمورى قط . إنك لا تعيرينى أى التفات . إذا حدث ذات يوم ولم أعد إلى البيت فلن يشغلك ذلك أبدا . ومع ذلك أعود دائما فى الثامنة . كم أبلغ من العمر ؟ إنك لا تعرف حتى سنى . لم تسألنى عنه قط .

كيمون : وددت أن تحكى لى كيف أمضيت وقتك .

اليسافيت : قلت لك . تجولت . صعدت حتى ميدان المحافظة . هل سمعت عنه ؟

كيمون : كلا . لم يسبق لك أن كلمتنى عن هذا الميدان .

اليسافيت : يسمونه باسمه هذا لأن مقر المحافظة كان هناك ، أما الآن فتوجد به دار البلدية . مبنى ضيق طويل رمادى اللون ذو نوافذ خضراء صغيرة مصفوفة. وأمامه ساحة ، يذهب الأولاد إليها ويلعبون . سنوات وسنوات يلعب الأولاد هناك . يقولون «هيا نذهب ونلعب عند المحافظة» إلا أننى عندما وصلت كانت ظلمة المساء قد زحفت على المكان .

كيمون : ومع ذلك فقد بدأ النهار يطول .

اليسافيت : لا يعجبنى أن أحوم وحيدة حول أماكن يلعب فيها أولاد عندما يبدأ الليل يرخى سدوله . هل تستطيع أن تفهم ذلك ؟ صيحاتهم فى الظلام تسحق قلبى. أسترجع أيام طفولتى . لا أريد أن أستعيد ذكريات .

كيمون : ولا أنا . كنت تتحدثين عن الميدان . . .

اليسافيت : أجل ، الميدان . إلى اليمين يوجد طريق صاعد . لم أطرقه منذ سنوات عديدة . لم يتغير كثيرا . عند الناصية دكان حلاق . . «البعث» هذا اسمه . إلى جواره ، ما أن تستدير ، عمارة ذات لون وردى .

كيمون : قلت لونا ورديا ؟ لا أعتقد أن ثمة بيوتا بهذا اللون ، هنا .

اليسافيت : وكيف لك أن تعرف ؟ أنك لم تخرج قط . تجلس طوال النهار بين الحيطان مغلقا عليك .

كيمون : (يشير من النافذة) وهذا المكان هناك ؟

اليسافيت : إنه الميدان الرئيسى . هذا كل ما فى الأمر .

كيمون : كى نأتى من الميناء إلى هنا اخترقنا المدينة كلها تقريبا . والعمائر التى لقيناها كانت رصاصية اللون أو سوداء .

اليسافيت : بدت كذلك بسبب الضباب . هناك عمائر ملونة ، صفراء وزرقاء وبيضاء ووردية . (برهة صمت . تستدير إلى كيمون) أتعرف ، فى تلك العمارة الوردية أقام رجل كان يحبنى آنذاك . . (برهة صمت) كنت أذهب إليه بعد ظهر كل يوم وألتقى به. كنت أقف مليا أمام دكان الحلاق ، وأنتظر أمه تنصرف . كانت أمه تخرج بعد الظهر فى ذات الساعة كل يوم . كنت أراها تنصرف . كانت تلبس على الدوام معطفا أسود وقبعة خضراء . هل تسمعنى ؟

كيمون : أسمعك .

اليسافيت : كنت أصعد الدرجات وأجتهد ألا أحدث جلبة حتى لا يسمعنى سائر السكان . لكن كان هناك من يفطن إلىّ على الدوام . رجل أرمنى يفتح بابه قليلا وبنظراته يتابعنى . كان صديقى يدخلنى شقته بسرعة . يقدم لى ملعقة من مربى السفرجل تصنعها جدته . كانت تضع فيها قرنفلا ولوزا مما يجعل طعمها لذيذًا . (برهة صمت)

كنا نجلس على أريكة عريضة مغطاة بإزار ذهبى ذى حواشى بنية اللون . كان يريد أن يأخذنى بين ذراعيه ، لكننى لم أكن أتركه يفعل ذلك . كنت ألهو بحواشى الأريكة وأعقدها ضفائر . كان يلومنى قائلا «أنت لا تحبيننى» ، «أنا أنتظرك . أحصى الساعات ، والدقائق . . .» هل تسمعنى؟

كيمون : أجل .

اليسافيت : يخيل إلى أنك ولاحتى تكترث بأن تسمعنى (برهة صمت) عندما كانت الدنيا تظلم تماماً كنا نصعد إلى السطح . كان يشير إلى بعيد ويرينى الأحياء القديمة والقلاع التى تحوطها . . هل رأيت هذه الحصون ؟

كيمون : إنها لا تبين من النافذة .

اليسافيت : كلا ، إنها لا تبين من النافذة ، بل من مكان عال ، عال جدا ، تبين فحسب ، تلك القلاع كانت فيما مضى حصون المدينة ، وأصبحت الآن سجونا .

كيمون : سجون ؟

اليسافيت : أجل ، سجون رطبة مظلمة .

كيمون : ماذا كنتما تفعلان على السطح ؟

اليسافيت : كنا ننظر إلى ما حولنا . يشير بأصبعه إلى نقطة ما ، ويقول لى «هناك» «هناك ، بعيدا ، عند طلوع الفجر ، يعدمون المحكوم عليهم بالموت رميا بالرصاص» لم أكن أفهم لماذا يصر على أن يقول لى ذلك كل ليلة ، مصوبا

أصبعه نحو الشمال . بعد ذلك تفرقت بيننا السبل وراح كل منا لحال سبيله . ثم إذا بى اقرأ ذات اسمه فى الجريدة. كان بدوره ضمن المحكوم عليهم بالموت ، وأعدم هو أيضا ذات يوم فى الفجر . أليس ذلك غريبا ؟

كيمون : ما هذا الذى تعتبرينه غريبا ؟

اليسافيت : إنك لا تتابعنى . طوال هذا الوقت أتحدث إليك ، وأنت لا تتابعنى . ما من أحد اكترث بى اكتراثا حقيقيا.

كيمون : اسمعى . . ما الذى تبغينه من تجوالك كل يوم فى الشوارع ؟ هذه النزهات تحطم أعصابك .

اليسافيت : ما من أحد اكترث بى اكتراثا حقيقيا . هل تريد أن أخبرك بما حدث لى عندما كنت صغيرة ؟ فى الثامنة من عمرى ؟

كيمون : من فضلك اهدئى . لست بحاجة أن تخبرينى بشىء . هذا فضلا عن أن وقت تناولنا الطعام قد أزف .

اليسافيت : (ماضية) عند عودتى من المدرسة كنت أجد غرفتى مرتبكة. سريرى غير مرتب كما تركته فى الصباح وأنا خارجه . ما من أحد ، ما من أحد على الإطلاق ، كان يعنى بترتيبه لى . كنت أخشى الرقاد والنوم بين الأغطية الجعدة . لأننى عثرت ذات مرة فى ثناياها على صرصارين ميتين دسهما أخى لأخافتى .

كيمون : وددت أن آكل شيئا .

اليسافيت : (يتزايد توترها) وعندما كنت فى العاشرة ، كان الجميع يخرجون بالليل ، ويتركوننى وحيدة . وفى البيت المقابل كان يسكن

بعض النسوة العجائز . لم أكن أعرف كيف أمضى وقتى ، فمضيت أرقبهن . أراقب العجائز . كانت هذه تسليتى .

كيمون : ماذا تحملين فى اللفافات ؟

اليسافيت : كانت إحداهن ذات بشرة صفراء وشعر أبيض طويل . مثل ساحرة تماماً . لم تكن تبتعد عن الشباك لحظة واحدة ، حتى خيل لى أنها مرسومة على الزجاج . ثم كانت تجيء عجوز أخرى وتوقد القنديل .

كيمون : كفى . . .

اليسافيت : وكان عندهم دولاب ذو مرآة . وكان هذا القنديل يلقى ظلالا فى المرآة، وظلالا فى كل مكان، ظلالا ضخمة، وكنت أشعر بالخوف . . .

كيمون : كفى ، كفى ، إذن ! (برهة صمت) .

اليسافيت : كنت تقول إنك جوعان . . .

كيمون : الساعة الثامنة والنصف .

اليسافيت : فى هذه اللفافة دجاجة باردة .

كيمون : همم م . . .

اليسافيت : وجمبرى بالمايونيز وسلطة سبرجس .

كيمون : سبرجس ؟

اليسافيت : وفى اللفافة الأخرى زجاجة شمبانيا .

كيمون : قلت شمبانيا ؟ وسبرجس ؟ ولماذا كل هذه الحفاوة ؟!. . . اليسافيت ؟ (يخطو نحوها ويواجهها) تخفين عنى شيئاً !

اليسافيت : سأذهب لأضع الزهور فى الماء .

كيمون : كيف ؟ اشتريت زهورا ؟

اليسافيت : هل تروق لك ؟

كيمون : رائحتها طيبة .

اليسافيت : ورد . أهداه لى المصور .

كيمون : المصور ؟

اليسافيت : بالطبع ، أنت تعرفه ، إنه ذلك الذى يمتلك دكان التصوير تحت ، عند مدخل العمارة . أنه يسألنى دائما عنك . ويقلقه أنه لا يراك أبدا . إنه على غاية من الأدب ، ويقولون إنه يلتقط صورا ممتازة .

كيمون : بهذه السرعة أمكنك أن . . . .

اليسافيت : يقولون إنه يستخدم خدعا مبتكرة فيحصل على نتائج باهرة .

كيمون : حماسك المفاجىء هذا . . .

اليسافيت : إذا أردت فلنتنزل ذات يوم إليه يلتقط لنا صورة .

كيمون : اليسافيت ، ثمة أمر تخفينه عنى . . (برهة صمت)

اليسافيت : (بهدوء) دعوته الليلة لتناول العشاء معنا .

كيمون : آه ، كلا ، كلا ، كلا ! أبدا هذا . (ينم صوته عن اليأس والأسى) .

اليسافيت : (بذات هدوئها) سيحضر بين لحظة وأخرى .

كيمون : لن نعيد الكرة . لا أحتمل أكثر من ذلك . الصيدلى ليلة أمس .

اليسافيت : وما ضيرك من ذلك ؟ ماذا فعل بك الصيدلى .

كيمون : مضيت ، تقولين إنه يذكرك بصديقك ، تعرفين من أقصد ، قاطن العمارة الوردية .

اليسافيت : أجل .. شيء ما في صوته .. وفي نظراته ...

كيمون : وليلة أول أمس صاحب المكتبة .. سأجن !

اليسافيت : آه ، أجل ، اندوني . مكتبته أكبر مكتبة هنا .

كيمون : أندوني ؟ قال لنا أن اسمه يورغو ..

اليسافيت : كلا ، كلا ، كان اسمه اندوني . اذكر جيدا . كنا لا نفترق نحن الثلاثة آنذاك . أنا وصديقي واندوني . تذكرته ما أن رأيته . سوف كنت ترى أنه سيتذكرني بدوره ، لكنك لم تترك له الفرصة . تصرفت ببشاعة تلك الليلة .

كيمون : (بعد برهة صمت) اليسافيت . تأكدي أن .. أن .. ما اسمه ؟ اندوني هذا

اليسافيت : (شاردة) أجل . أجل . اندوني . كان هذا اسمه . على الأقل كنا نعرفه بهذا الاسم آنذاك .

كيمون : أمس ، كانت أول مرة ترينه فيها ..

اليسافيت : اسمع . سيأتي المصور بين لحظة وأخرى .

كيمون : أقول لك ماعدت أحتمل .

اليسافيت : هذه المرة لن تكون مثل السابقة .

كيمون : لا أصدقك !

اليسافيت : سأفعل كل ماباستطاعتي من أجل ..

كيمون : تماما ، ستفعلين ما باستطاعتك ..

اليسافيت : أنبِّه عليك . . أريدك أن تتصرف معه بلباقة .

كيمون : مستحيل !

اليسافيت : (دامعة العينين) أستحلفك ، للمرة الأخيرة .

كيمون : أصبح هذا الأمر عذابا ! صارت حياتى عذابا !

اليسافيت : للمرة الأخيرة . .

كيمون : حسنا ، افتحى الباب .

اليسافيت : لكننى لم أسمع جرسا .

كيمون : قلت لك افتحى . إنه بالخارج . متى قلت له أن يأتى؟

اليسافيت : حوالى الثامنة والنصف .

كيمون : إنه بالخارج . يقف منتظرا أن تأتى الساعة الثامنة والنصف كى يدق الجرس . أعرف جيدا هذا الصنف من الناس .

اليسافيت : تسىء الكلام عن رجل لم تعرفه بعد .

كيمون : أعرفه جيدا . انقيم معا فى ذات البيت أم لا نقيم ؟

اليسافيت : لايفيد ذلك شيئا . إنك لم تره قط . هذا فضلا عن أننا لا نقيم فى ذات البيت . كل ما هناك أن دكانه عند مدخل العمارة .

كيمون : أقول لك ، أعرفه جيدا . أنه يقف الآن هناك وراء الباب يتسمع كل ما نقوله عنه .

اليسافيت : أوه ، يا إلهى ! بدات تنفعل من جديد دون سبب .

كيمون : الأجدر به أن يمضى منصرفا ، لكنه لن ينصرف . سينتظر حتى تأتى الساعة المحددة للزيارة . إنه عديم الحياء .

اليسافيت : كل مرة يجيء رجل هنا يتبدل حالك وتثور .

كيمون : سئمت تكرار الأمر ذاته كل مرة .

اليسافيت : ربما كان الذنب ذنب ذلك الداء اللعين الذى أصاب عينيك .

كيمون : عيناى سليمتان لاعيب فيهما . إننى أرى حتى فى الظلام أيضاً .

اليسافيت : (ملاطفة) أجل ، هذا هو الأمر ، أفهم جيدا الرعب الذى ينتابك .

كيمون : أى رعب هذا ؟ عن أى شيء تتحدثين ؟

اليسافيت : حبيبى ، تخاف أن . .

كيمون : أخاف أن . .

اليسافيت : لا أجسر على القول . أنه لأمر فظيع . .

كيمون : قولى إذن ! قولى !

اليسافيت : تخاف إنك ذات يوم ستريد أن تضيء النور . .

كيمون : حسنا ؟

اليسافيت : بينما سيكون النور مضاء . (صمت) .

كيمون : اليسافيت ؟

اليسافيت : أجل ، يا حبيبى ؟

كيمون : لماذا تصرين على هذه المهزلة ؟

اليسافيت : حبيبى ، أية مهزلة ؟

كيمون : عيناى (يدق الجرس) ليس بهما شيء على الإطلاق .

اليسافيت : الجرس ، يا حبيبى .

كيمون : لم أشعر يوما أنني أحسن حالا مما أنا عليه الآن .

اليسافيت : الأفضل أن تفتح له أنت . سيكون ذلك أكثر تشجيعا له .

كيمون : أنبه عليك مشددا أن تتركيني وشأني .

اليسافيت : (لاهثة) أرجوك ، أرجوك افتح له . ها هو يدق الباب من جديد . ها هو (يدق الجرس) كف عن تعذيبي . . (يتبادلان النظرات . ثم تخفض اليسافيت صوتها وتقول هامسة) إنني ذاهبة لأسقي الزهر . (يبقى كيمون وحيدا . يقف مترددا بضع ثوان . ثم يذهب ويفتح الباب . يدخل المصور) .

المصور : مساء الخير . عسى ألا أكون قد أخطأت الشقة ؟

كيمون : سيادتك المصور .

المصور : أجل .

كيمون : صاحب محل التصوير عند مدخل العمارة ؟

المصور : أجل ، عند مدخل العمارة .

كيمون : إذن ، تفضل . كنا في انتظارك .

المصور : أرجو ، ألا أسبب لكما مضايقة .

كيمون : كلا ، على الإطلاق . عندنا ضيوف على الدوام . اليسافيت وأنا نحب أن نستقبل الناس في بيتنا . اليسافيت ! ستحضر بعد لحظة . أعتقد أنها ذهبت تغير ملابسها . (يخفض صوته فجأة وقد دبت فيه المعاناة) هل أنت مصور حقا ؟ .

المصور : بالطبع !

كيمون : ألست طبيبا ؟

المصور : طبيب ؟ كيف خطرت ببالك هذه الفكرة ؟

كيمون : هكذا . الأطباء يروقون لى . هم قوم ظرفاء بسحنهم الجادة ، وستراتهم البيضاء الطويلة . كنت أحسدهم دائما . إذن ، لست ، فلنقل ، طبيبا باطنيا .

المصور : كلا ، بالطبع .

كيمون : طبيبا نفسيا ؟

المصور : لكننى أؤكد لك . . .

كيمون : طبيب عيون ؟ قل لى ، أرجوك . طبيب عيون ؟

المصور : لكن لماذا تصر على ذلك ؟

كيمون : غير ذى جدوى أن تخفى على . سأكتشف الأمر سريعاً.

المصور : بصراحة ، لا أفهم لماذا . . .

كيمون : حسنا . أصدقك . (يشتد ميله عليه) هل يمكنك أن تخفى سرا ؟

المصور : بالطبع . . .

كيمون : (مخفضا صوته) اليسافيت (يتلفت حوله) الأمر يتعلق باليسافيت . .

المصور : حسنا ؟ (تدخل اليسافيت) .

كيمون : (بذات الصوت الخفيض) فيما بعد ، سأقول لك . .

اليسافيت : أخيرا ! خشيت ألا تأتى .

المصور : لكننى لم أتجاوز الثامنة والنصف .

اليسافيت : أجل ، لكننى خشيت .

المصـــور : كيف كـان ممكنا ألا أجىء ؟ اغتبطت جـدا بالدعوة التى وجهتها إلى .

كيـمـون : كانت اليسافيت تنتظرك بصبر نافذ .

المصـــور : (خجلا - إلى اليسافيت) ما كنت أجرؤ على تصور أن . . . .

كيـمـون : تشجع ، يا صديقى ، تشجع .

المصـــور : إن امرأة مثلك . . .

كيـمـون : امرأة جميلة مثلك . . .

المصـــور : أجل ، قطعا ، امرأة جميلة ، سوف . . سوف تنتظرنى نافذة الصـبر . . . اننى اخشع وارتعد خـوفا ، على أى حال أن أخـيِّب ظنكما (يلتـفت إلى كيـمون) أنتمـا الاثنان. لست معتـادا على أداء الزيارات ، لأننى . . كيف أقول ذلك . . لا أُدعى كـثـيـرا . يضـجـر الناس عـادة من صحبتى .

كيـمـون : غير ممكن هذا . لابد أنك مخطىء .

المصـــور : ليتنى كنت مخطئا . لكن للأسف ، أصبحت متأكدا من ذلك . الإحســاس الوحيد الذى أبعثـه فى الآخرين هو عدم الاكتـراث والضجر . (بينما يتـحدث يلتفت تارة إلى كيـمون وتارة إلى اليسافيت . ولكن نظراته خـفيفه على الدوام) بعد دقيقتين ، أو خمس دقائق على الأكثر ، لا يكون لدى أحد الرغبة فى التـحـدث إلى . ينسـوننى ، كـمـا لو كنت غـيـر موجـود، وإذا جرؤت واقـتربت من أحـد وحادثتـه فإن

كلمـــاتى تتـــردى في الخـــواء . ولاشيء ، لاشيء ، يجـعلنى قادرا على أن أسـترعى الانتـباه من جـديد . وعنـدئـذ فإنـنى انهض وأنسحب منصرفـا بلا عودة ، بلا عودة لأنهم بطبيعة الحال لا يدعوننى مرة أخرى.

(صمت)

المصــــور : صدقانى ، أننى فى هذه اللحـظة أعانى . يبدو لى من المؤلم ألما غير معقول أن أقدم على مثل هذا النوع من الاعتراف ، لكن من الأفضل ، على الأخص وأنا معكما ، أن تعرفا الأمر ابتداء بـدلا من أن تكتشفاه وحدكـما رويدا رويدا لحظة فى أثر لحظة . ما كنت أحتـمل هذا ، فأنتما على غاية - كـيف أعبر عن ذلك - علـى غاية من الظرف . أنتـمـا الاثنان ، وهذه الغـرفـة (ينظر حوله) هذا الدفء المستحب ، ما أن دخلت تذكرت : الدفء المستحب و . . .

كيــمـون : (يلمس ذراعه) استمر . . . .

المصــــور : وتملكتنى الرغبة في أن أطلق لساقى العنان . أليس الأمر مضحكـا ؟ ها أنتم ترون . أليس كذلك ؟ بدأت أتكلم هراء . . . ثم . . . هنـاك سـبب آخـر يجـعل الناس يتحـاشوننى . . . وعلى الأخص ، فى الآونة الأخـيرة . . إلا أن هذا لا أجرؤ على أن أقـوله لكما . . . كـما أنه ليس بالأمر اللائق . أتكلم وأتكلم عن نفسى . منذ اللحظة التى دخلت فيها وأنا الذى أتكلم وحدى . (يقول فجاة لأليسابيث) هل أنت تتطايرين ، تتشاءمين؟

اليسافيت : أوه ، كلا . . . لم أعد كذلك . عندما كنت صغيرة كنت أخاف القطط السوداء . كانوا يقولون لى إنك إذا رأيت قطة سوداء تسير أمامك فهذا يعنى موتا ، أما الآن. فماعدت أعتقد في هذه الأشياء .

المصور : بالطبع ، كلا ، هذه سخافات ، كل هذا الذى يقولونه عن الرقم ١٣ ، وعن يوم الجمعة ، وعن المرور من تحت سلم . . مع ذلك هناك من يؤمن بأننى . . . بأننى أجلب نحسا . ينادوننى بالحانوتى ، لأننى أرتدى على الدوام بذلة سوداء . أليس هذا مضحكاً ؟ البعض يتشاءم من اللون الأسود . أما أنا فأحبه . كما أننى لست رشيق القوام ، ولا أستطيع أن أتصور نفسى فى غير هذا الملبس . لكن ليس هذا بصحيح . إننى لا أجلب نحسا . كيف يمكن أن يحدث ذلك ؟ أنا رجل بسيط . كل هذا أشاعه عنى منافسون لى فى المهنة . كان يجدر أن أوقفهم عند حدهم ، إلا أننى خائف . تنقصنى الجرأة . هذه الجرأة على وجه التحديد هو ما كان يعوزنى دائما فى حياتى . عندما فتحت محل التصوير . . . .

كيمون : حدثنا قليلا عن مهنتك .

المصور : كلا . فى الحقيقة ، تجاوزت حدود اللياقة وتماديت . . أنتما طيبان للغاية إذ تنصتان إلى كل هذا الوقت . .

كيمون : يروق لنا أن نسمعك .

المصـــور : تريدان حقا أن أحـدثكما عن مهنتى ؟ إذن ، أصـغيا . عندما فتحت محل التـصوير ، كنت أكسب قوت يومى فحـسب . كنت أمارس المهنة مـثل كل زملائى . كنت أصـور أطفـالا ، عـرسـانا حـديثى الزواج ، جنودا ، وكنت أستـخدم كخلفـية لتصـاويرى الديكورات المألوفة الزائفـة : حـدائق مـزدهرة ، مـلاهى ، أطلال أثرية ، حتى واتتنى ذات يوم الفرصة ، الفـرصة الكبيرة ، دقت بابى . دخل محلى شخص ما .

كـيـمـون : شخص ما ؟ أى صنف هو ؟

المصـــور : أوه ، رجل عـــادى جـدا ، فى حـوالـى الأربعين من عمره، بغير ما خصـيصه مميزة فى مظهره ، وقال لى : أريد أن تصورنى صورة غير مألوفة . عرضت عليه بعض الأفكار ، تداولنا فيها ، لكنه فى النهاية رفضها كلها .

كـيـمـون : حـدثتنى اليـسـافيت عن بـعض الخـدع المبـتكرة التى تستخدمها .

المصـــور : انتظر. عن هذا الأمر بـالضبط سوف أحـدثكما . كنت أقول إذن إن افكارى لم ترق له . ومضى يطالبنى بأفكار أخرى .

كـيـمـون : أفكار أخرى .

المصـــور : أجل ، كان يريد صورة تصوره ميتا بميتة بشعة . تداولنا فى أوضـاع مختلفـة . فضلنـا وضـعا يصـوره ضحيـة فى حادث سيارة . ماذا أقول لكمـا . بذلت جهدا كبيرا

فى ضبط المونتاج المعتاد وإتقان الرتوش ، لكن فى النهاية لقيت الصورة نجاحا كبيراً . على الأخص تلك الدماء التى لطخت الوجه ، وهاتان العينان الزجاجيتان ، واليد . . أحد اليدين قد تآكلت حتى الرسغ بينما أصابع الذراع ذاتها قد تشبثت بالتربة . . .

كيمون : ياله من أمر يثير الاهتمام !

المصور : حقا ؟ تحمس الرجل وفى اليوم التالى أرسل إلى أحد معارفه أراد أن أصوره مشنوقا .

كيمون : مشنوقاً ؟

المصور : أجل ؟ مشنوقا ، وقد تدلى لسانه . ثم أرسل إلىَّ المشنوق زبونا آخر ، وأرسل إلىَّ هذا الأخير آخر ، وحتى لا أطيل عليكما ، منذ ذلك الوقت الذى اشتهر عنى فيه أننى التقط هذا النوع من الصور ، إنهال علىَّ الزبائن فلم يعد لدى وقت حتى لطردهم . اكتظ محلى بعملاء يريدوننى أن أصورهم مشنوقين ، مخنوقين ، مطعونين ، محترقين ، مصلوبين ، لا أخفى عليكما أننى أبذل فى هذا المضمار جهدا كبيرا ، ولا أنكر أننى اخفق فى إرضاء زبائنى أحيانا ، فكثير منهم يبالغون فى طلباتهم . على سبيل المثال ، أول أمس جاءنى أحد الأمريكيين .

كيمون : عندك أمريكيون أيضاً ؟

المصور : أجل . جاءنى ذلك الأمريكى من أهويو . تصادف أن زار معتقل بوخينفالت فى ألمانيا ، لابد أنكما سمعتما عنه ،

كما شاهد فيلما تسجيليا عنه . فلم يضع وقتا . طلب مني أن أصوره وقد مات من الجوع وسوء التغذية، لكنه كان صاحب وجه صبياني ممتلىء لم يكن بإمكاني أن أغيره بطبيعة الحال . فكانت النتيجة مدعاة للضحك، بينما صوري أنا مأساوية وليس مضحكة .

كيمون : بوخينفالت ! أضحى الأمر مثيرا للغاية !

المصور : (بصوت مرتجف) هذا هو التعبير الصحيح ! مثير حقا مبلغ إقبال الناس على أن يصوروا في مثل هذه الأوضاع. اعتقد أن عهد الصورة العاطفية قد انقضى إلى غير رجعة. ودون أن اتباهى أقول إنني من وضع نهاية لها . أن محلي ، على الأقل الآن هو الوحيد الذي أنتج هذا النوع من الصور ، لأن لدي سر الصنعة الذي أحرص بشدة على كتمانه . لاحظا أن زبائني لا يتعبون في شيء أبدا . إنهم يجلسون هادئين وادعين على الكرسي ، كما لو كانوا يجلسون لاستخراج صورة لبطاقة شخصية ، أما الباقي فيجري كله في المعمل .

كيمون : إذن ، لابد إنك أثريت من هذه العملية .

المصور : (بحزن) كلا ، على الإطلاق . أنني اكسب ولاشك ، ولكن ليس بالقدر الذي كان يجدر أن أكسبه ، وذلك ، كي أعود إلى النقطة التي بدأت منها حديثي ، لأن الجرأة تنقصني. لا أقوى على أن أصل بعزيمتي إلى منتهاها ، لا اجرؤ أن أصير غنيا ، لا أجرؤ أن أصبح مشهورا ،

ولا أن أبرز أو أتميز عن الآخرين . تنقصنى الجرأة دائما. ماذا قلت لكما ؟ الجرأة . أنا جبان . . . من فضلكما ، هل أستطيع أن أشرب شيئا ؟ (برهة صمت . يمسح وجهه بمنديله - ينهض كيمون ويعد له شرابا) .

اليسافيت : استثرت اهتمامى . أريدك أن تصورنى صورة من هذا القبيل . أجل ، أريد ذلك . كيمون ! فلننزل يوما لنلتقط صورة معا .

كيمون : فكرة رائعة !

المصور : أستمحيكما عذرا ، ولكن . . .

كيمون : ولم لا ، سوف تكون صورة مدهشة . .

المصور : لكن ، من فضلكما ، اسمعانى .

كيمون : هل تمانع فى ذلك ؟

المصور : أجل ، أمانع . إنى إنسان بدورى .

كيمون : لا أفهمك . . .

المصور : هذه الصور تجعلنى أعانى . هل تعتقد أن الأمر على هذه البساطة ؟ ما أن أتعرف بإنسان أتصوره ميتا ، هيه ؟! فى النهاية ، يستحيل الأمر فكرة متسلطة . وها انتما الآن ، تطالبانى . . . وأنتما فى شرخ الشباب ، وعلى غاية من الرقة . . . أن . .

كيمون : هيا ، دعك من السخافات . . . (يروح ويجيء كما لو كان يستلهم فكرة) أقترح أن تصورنى ، صريعا على الفراش ، بينما تكون اليسافيت . . .

المصـــور : مستحيل !
كيـمـون : مقتولة وعارية .
المصـــور : عارية !
كيـمـون : أجل ، مقتولة . وملقاة على الأرض ، عارية .
المصـــور : لن أجرؤ على ذلك ابدا ! إن جسدها . . .
كيـمـون : ماذا ؟
المصـــور : الجسد المصور يجب أن يكون جسدها هى . . .
كيـمـون : وماذا في هذا ؟ لا أعتقد أنك تستحى ؟
المصـــور : من فضلك ، لا تصر . . . . .
كيـمـون : حسنا ، لن أصر ، عندى فكرة أفضل . . أنا على السرير رأس بلا جسد . . ورأس اليسافيت هذا الرائع ، بشعرها الأسود الطويل . . ملقى على الأرض ، كما لو كان قد قطع بمقصلة . . .
المصـــور : إنك تضعنى فى موقف صعب للغاية . .
كيـمـون : لماذا ؟ (يقترب من اليسافيت ، ويرفع وجهها) ألا ترى أنها رائعة ؟
المصـــور : بلاشك ، هى رائعة .
كيـمـون : هل رأيت من قبل بشرة أكثر بياضا من هذه . . .
كيـمـون : اقترب لحظة ، اقترب . . . مد يدك . . . تحسسها . . إنها ناعمة الملمس كالقطيفة . . . تحسسها ، لا تخف . . .

(يلمس المصور اليسافيت التى تنتفض واقفة . يضغط كيمون برفق على كتفيها ويدفعها إلى الجلوس من جديد) .

المصـــور : من فضلك هل لى قدح آخر من الشراب ؟

كيـمـون : بكل سرور . . سأشرب معك . (بينما يصب الشراب ، يتبادل المصور واليسافيت نظرات سرعان ما يسحبانها ، ويشيح كل منهما بعينيه عن الآخر) إنك تشـرب كثيرا . هل أنت غير سعيد فى حياتك؟

المصـــور : أنا ؟ يمكنني أن أقول ، كلا . . . لست سعيداً . . .

كيـمـون : تعس أنت ؟

المصـــور : ولا هذا . بكل تأكيد ولا هذا . . . (يجرع قدحه دفعة واحدة ، ويستجمع أنفاسه) أنا فى السابعة والأربعين . . غير متزوج أكسب ما فيه الكفاية ، على الأقل ، ما يكفى مطالبى. أعيش مع شقيقاتى ، وهما أكبر منى . إحداهما لم تتزوج ، والأخرى فقدت زوجها . أصيب فى حادث أيام الاحتلال . تفهمان ما أقصد . . . نقيم فى بيت خلوى . . كل شىء على ما يرام هناك . . هدوء . . لدينا حديقة جميلة أتعهدها بالرعاية . أزرع البانسيه وعباد الشمس ، وزهورا من أصناف أخرى متنوعة . زهرة المائة ورقة ، الفانجريانا ، الزهرة الصفراء ، والورد الوحشى . . أصحو فى الصباح مبكرا ، ساعة قبل شقيقتى . أنزل إلى الحديقة ، اجلس فى مقعدى ، اشرب القهوة ، وأدخن سيجارتى الوحيدة طول اليوم . هذا شىء يعنى الكثير بالنسبة لى . فى تلك اللحظات ، أجل ، أحس أننى سعيد (صمت) .

كيمون : اليسافيت ، أعتقد أنه يجب أن تجهزى شيئا للعشاء.
(تخرج اليسافيت)

المصور : إلا أننى . . .

كيمون : (يقاطعه) اسمع ، صرفتها حتى أختلى بك . أريد أن أطلب منك طلبا .

المصور : آه ، أجل ، كنت قد بدأت تحدثنى عن . . .

كيمون : (بصوت خفيض) تماما الأمر يتعلق باليسافيت . هل يمكنك أن تسدى إلى خدمة ؟

المصور : بكل سرور !

كيمون : (يلقى نظرة نحو الباب) أتحدث إليك كرجل يتحدث إلى رجل.

المصور : بكل تأكيد !
(يقترب منه منكبا ، بصوت خفيض وحازم)

كيمون : أعطها قليلا من السعادة . . .

المصور : (وقد بوغت) اعطيها . . ماذا قلت ؟!

كيمون : (يزداد اقترابا منه) اعتقد أنها واقعة فى غرامك .

المصور : أنا ؟ كيف يمكن هذا ؟

كيمون : (ماضيا) ألم تلاحظ أنها أرتعدت عندما لمستها ؟

المصور : كلا . لا أصدقك .

كيمون : انتفضت واقفة ، وأرادت أن تولى هاربة . لكننى لم أتركها . تذكر ذلك !

المصور : أجل ، هذا صحيح . أذكره .

كيمون : ها أنت بنفسك تسلم .

المصور : (مرتعشا) إسمع : أنا فى السابعة والأربعين ، دميم الخلقة . أعرف ذلك جيدا . تظن أننى لا أعرف نفسى؟ يداى . انظر إلى يدى المريضتين ، يتصبب العرق منهما، وأظافرهما متآكلة . هل يمكن أن أروق لامرأة وأنا بهاتين اليدين ؟ كلا ، أننى لا أصدقك . . إنك بمزاحك هذا تضمر لى شرا .

كيمون : (بعناء) ألفت نظرك . ليس لدى وقت أضيعه . إنها لن تلبث أن تعود أعطها قليلا من السعادة . إنها تعسة ، تتعذب . . .

المصور : تتعذب ؟ ما الذى يعذبها ؟

كيمون : أقول لك أنها تعسة . . بالليل تتنابها الكوابيس ، تصرخ فى نومها ، وبالنهار لا تستطيع أن تبقى فى البيت لحظة. تخرج ، وتسير وتسير بلا توقف . تهيم بلا هدف فى أرجاء المدينة ، لأنها تعتقد أنها المدينة التى ولدت فيها ، بينما لم تطأ قدمها هذه المدينة من قبل .

المصور : ماذا تقول ؟

كيمون : تعذبها أفكار مستحوذة عليها . تعتقد أن كل من يحبها يحكم عليه بالإعدام ، ويموت . يعزل ويرمى بالرصاص فى معسكر التنفيذ . إنها لا تدعنى ادخل غرفتها . تخشى واهمة أن أزيح الغطاء عن سريرها ، وأدس فيه صراصير ميتة . إنها عجوز تعسة . .

المصـور : عجوز ؟ أيه ، كلا ، إنهـا ليست عجوزا ، لا يمكن أن يقال عنها ذلك ؟

كيـمـون : كم تعتقد عمرها ؟

المصـور : إنها لا تكاد تبلغ الثلاثين . ماذا أقول ؟ إنها في الخامسة والعشرين ، على الأكثر .

كيـمـون : خـداع ! كل شيء خـداع . ألا تلاحظ الإضـاءة ؟ إننا نحيا في شبه ظلام دائم ، بسببها .

المصـور : هذا كذب ! اليسافيت أصبى من ذلك بكثير . . .

كيـمـون : بشرتهـا ، هذه البشرة الرائعة ، لوكنت تعـرف ، كيف تحافظ عليهـا . . . بدهانات بشعة مخربة تنفـذ إلى دمها وتسمـمها رويدا رويدا . . وشـعرها ، شعـرها الأسود الجميل . . .

المصـور : كلا ، لا أريد ! لن أسمع مزيدا . . .

كيـمـون : ليس هذا شعرها . شعر اليسافيت أبيض وقد تساقط عن أجزاء كثيرة من الرأس .

المصـور : يا للفظاعة ! . .

كيـمـون : والأدهى من ذلك . اسمع ما هو أدهى وأمر . لما كانت تخـشى أن أهـجـرها تريد أن تفـرض علـى فكرة أنني مصاب بعمى بطيء ، وأفقد البصر رويدا رويدا . .

المصـور : يا إلهي ! يا إلهي ! . .

كيـمـون : حذار أنها قادمة . لاتبد أنك قد عرفت شيئا . (يهرب من الباب الأيسر بينما تدخل اليسافيت) .

اليسافيت : معذرة . تركتك وحدك . أعددت المائدة . ثم خرجت قليلاً إلى الشرفة . . يحلو لى أن أخرج إلى الشرفة فى مثل هذا الوقت، وأُسَرِّى عن نفسى بمتابعة حركة المرور. شعور غريب ينتاب المرء عندما يعود إلى الأماكن التى عاش فيها سنوات من قبل . يخيل إليه أن ثمة شيئًا قد تغير . ثم لا يلبث أن يخيل إليه أيضًا أن ما من شىء قد تبدل . يشبه الأمر الأحلام قليلا . هاك مثلا على ذلك ، دار السينما هذه ، خيل إلى أنها كانت على الدوام قائمة هنا ، بينما اكتشفت أمس فقط أنه لم يمض على بنائها شهر واحد . عندئذ تذكرت أن هذا العقار كانت تشغله من قبل مدرسة . . للحظة ، عاد إلىَّ مخيلتى الشارع كما كان آنذاك على وجه التحديد . شريط الترام ، وعلى مبعدة مكتبة ، ثم فجأة لا شىء ، لا ترام ، ولا مكتبة ، بل عمارات جديدة ، ودار السينما . وهذا الميدان تتوسطه النافورة ومن حوله حانات ودور للهو . . إنى متأكدة من أنها لم يكن لها وجود فى ذلك الزمان . . . ومع ذلك ، تذكرنى النافورة بشىء ما . لكن ما هذا الشىء ؟ سأجده فى النهاية ، غير ممكن ألا أجده . . . (فى هذه الأثناء التى تمضى اليسافيت فى حديثها ، يكون المصور قد اقترب منها . يمد يده يبطء نحوها كما لو كان يريد أن يلمسها . ثم لا يلبث أن يسحب يده فجأة) .

المصــــور : كلا ، كلا ! مستحيل ! لا أصدق !

اليسافيت : (متعبة) لا تصدق ؟ ما الذى لا تصدقه ؟ أوه ، ذلك الذى قاله لك عنى ، بالطبع لا تصدق . . .

المصور : كنت تعرفين إذن ، ما كان سوف يقوله لى ؟

اليسافيت : كنت أعرفه . هكذا يتكلم عنى كيمون ، دائما ، إلى كل الناس . انظر إلىَّ . انظر إلىَّ جيدا (ترفع المصباح وتقربه من وجهها) كلا أننى لا أخاف الضوء .

المصور : يا لك من امرأة جميلة ! . .

اليسافيت : قال لك أن العتمة تروق لى ، وأننى أحب الضوء الخافت ، اليس كذلك ؟ قال لك أن شعرى هذا مستعار؟ خذه بين يديك ، إذن ، ها هو ، ها هو ، خذه . . (تحل جدائلها وتجذبها) .

المصور : كفى ! أصدقك . . لكن ، لماذا يفعل ذلك ؟

اليسافيت : لا أدرى . يروق له أن يذمنى . أعتقد أنها المتعة الوحيدة التى ينالها منى . شىء واحد مما قاله لك صدق فيه ، وهو أننى تعسة . . إننى فى الحق تعسة جدا . .

المصور : اليسافيت ، وحق السماء ، لا تبكى . . لا أحتمل أن أراك تبكين .

اليسافيت : أحال حياتى إلى جحيم ، وفى أعماقه لا يعيرنى التفاتا. هل تفهم ذلك ؟ هل يمكن لأحد أن يتصور كم يكرهنى؟ لكن ، كلا ، إنه ولا حتى يكْرهنى. إنه لا يكترث بى. أننى غير موجودة بالنسبة له . وإذا كان يعذبنى ، فكما لو كان يعذب قطة أو فأراً .

المصـــــور : لا تبكى ، أتوسل إليك !

اليسافيت : يقـول إننى أضايقـه ، ولهـذا اضطر إلى التغـيب طوال النهار عن البيت ، وبالليل يغلق على نفسه غرفته ويحرم على دخولها .

المصـــــور : هل يفعل ذلك بك ؟

اليسافيت : إنه يتجاهلنى . يحـتقر الحياة التى عشتـها حتى اليوم ، الفساتين التى ألبسهـا ، المدينة التى ولدت فيها ، الناس الذين عرفتهم . . .

المصـــــور : اليسافيت ، اصغى إلىّ ! . . .

اليسافيت : وعندمـا ينتابه الـضجـر ، يتفـتق ذهنه عن العـديد من الأفعال التى تبعث فى قلبى الذعر . يلبس فعلاً مطاطيا ويتسلل خلفى خلسة .

المصـــــور : إصغى إلىّ ، يجب أن أقول لك شيئا . . .

اليسافيت : وعن مـرض عينيـه ، مـاذا قال لك ؟ أننى أخـشى أنه سيصاب بالعمى ؟ أيه ، ألم يقل لك ذلك ؟

المصـــــور : أجل ، قال لى هذا . . .

اليسافيت : ومع ذلك ، إنها فكرته هو أن يتظاهر بضـعف البصر ، كى يبقى طول الوقت فى الـبيت معقـود الذراعين . أما أنا فأدعى أننى أصدقه حتى لا أضايقه .

المصـــــور : الذى لا أفـهـمه هو كـيف تواصلـين البقـاء إلى جـوار شخص مثله .

اليسافيت : أنى وحيدة ، لم يعد لى أحد . لا أعرف أين اذهب .

المصـــــور : كيف يمكن أن تقولى هذا ، بينما . . .
اليسافيت : لا أحد يريدنى . طردنى الجميع .
المصـــــور : ها أنا أمامك . .
اليسافيت : أعتقد أنك تريد أن تقول لى شيئا .
المصـــــور : أجل ، سأقوله . مـاعدت أحتمل الكتمـان . . أنا متيم بحبك . من أول لحظة رأيتك فيها ! . . .
اليسافيت : اسكت . ربما يسمعك .
المصـــــور : فليسمعنى . لا يهمنى . تعالى ، نرحل سويا .
اليسافيت : لا يمكننى أن أهجره .
المصـــــور : لماذا ؟ لماذا ؟ مادام لا يحبك ، لا يحـتاج إليك ، بينما أنا فى مسيس الحـاجة إليك . أنا بدورى تعس مثلك . فقط ، لو كنت تعرفين . . لو كنت تعـرفين ماذا حدث لى منذ أمس .
اليسافيت : ماذا حدث لك ؟
المصـــــور : لم يعد لى بيت . ولاعاد لى شىء ولا أحد فى الدنيا . شقيقتـاى ، كلا ، الأفضل أن أروى لك الأمر بالترتيب . . منذ قليل ، حدثتك عن حديقتى . أتذكرين ؟
اليسافيت : حديقة الورد ؟ أذكر ذلك . كنت تقول إن لديك العديد من أنواع الزهور .
المصـــــور : أجل . . .
اليسافيت : زهرة المائة ورقة ، زهرة الفانجـزيانا ، الزهرة الصفراء ، الورد الوحشى .

المصـــور : أجل .

اليسافيت : وأنك كنت تستيقظ مبكرا ساعة قبل الآخرين فى الصباح، وتشرب قهوتك . . .

المصـــور : أجل ، أجل ، أجل . . .

اليسافيت : إنك كنت تشعر بالسعادة ؟

المصـــور : ما عاد لشجيرات الورد وجود !

اليسافيت : ما عاد لها وجود ؟

المصـــور : اقتلعتها شقيقتاى ، ليلة أمس !

اليسافيت : شقيقتاك ؟

المصـــور : أجل . إنها قصة محزنة . تعتقد شقيقتاى أن فى الحديقة ، فى وسطها تماماً ، دفن أبوانا ، وأن شجيرات الورد تتغذى من رفاتهما . أن العزلة ، كما ترين ، العزلة . . . تجلب إلى الذهن أفكارا شاذة . وقد عاشت شقيقتاى دائما فى عزلة مريرة . كانا يكرهانى من أجل ذلك . كانا يسبانى . أحالا حياتى إلى جحيم . كثيرا ما كنت أعود من عملى فلا أجد طعاما ، كانا يتركانى جائعا . لكن ما كنت اتصور أنهما سيصلان إلى هذا الحد . إلى أن كانت ليلة أمس ، وكنت على وشك أن اهجع إلى فراشى ، سمعت جلبة فجريت إلى النافذة . ورأيت مشهدا لن أنساه طول حياتى . . .

اليسافيت : لابد أنه كان فظيعا !

المصـــــور : (مرتعدا) كانت أختـاى بقميص النوم الأبيض وقـد تهدل شعرهما الأبيض على الظهر ، يقـتلعان شجيرات الورد ويدوسانهـا بحقد شـديد . اندفعت إليهـما أمنعهـما . فرفعت صـغراهما ، الجاروف لتـضربنى . وليت هاربا كالمجنون . جريت فى الشوارع ، وقد قطعت انفاسى ، إلى أن وجدت نفسى فى الميناء . جلست على الرصيف وبكيت . لا أعرف كم من الوقت بكيت ، فأدخل ذلك السكينة إلى قلبى قليلا . بدأت شمـس الصباح تشرق، وأخذت طلائع العـمال تفد . عندئذ نهـضت ، وعدت إلى دكانى ، وفتـحته مثل كل يوم ، لكن عـقلى ماعاد يعمل . كان قد توقف .

اليسافـيت : (تربت على جبينه ملاطفة) .

المصـــــور : اليـسافـيت ، لو لم تجيـئى أنت ، وتقفين هناك أمـامى بوجهك الـوضاء ، وتوجهين إلى الدعـوة لزيارتك هذا المساء ، ما كنت أعرف مـاذا سيحدث لى (تواصل اليسافيت ملاطفتـه مواسية ، فتربت على وجهه . فـجأة يتعانقـان ويتبادلان قبلة عـاطفية متأججة . يدخل كيمون) .

كـيـمـون : شىء جمـيل . اليسافـيت ! اشرحى له الآن مـا حدث بالضبط ، (برهة صمت - يتبادلون النظرات) ماذا ؟ ألا تتكلمين ؟ لعلك تفضلين أن أتولى أنا الشرح ، هذه الليلة ؟ حسنا جدا . أنا واليسـافيت لا نعرف كيف نمضى أمـسياتنا ، لهـذا لدينا على الدوام زوار مدعـوون للعشـاء . أناس

ظرفاء تتعرف إليهم اليسافيت فى الشوارع ، والمحلات ، والأوتوبيسات . البعض يذكرها بمعارف قدامى مما يملأها شجنا . ندعهم يحكون لنا عن مشاكلهم وأحلامهم ، وإخفاقاتهم . نجعلهم يحسون كما لو كانوا فى بيوتهم . نقدم لهم دجاجا وجنبريا بالمايونيز ، واسبرجس ، وشمبانيا ، وتعاملهم اليسافيت والحق يقال بجودة بالغة ولكن تأتى اللحظة التى يجب أن نبقى فيها وحدنا ، وللضيافة حدودها . الوقت مر . طابت ليلتك ! (يحملق فيه المصور دون أن يحرك ساكنا) ألا تفهم؟ أقول لك بكل وضوح أن زيارتك انتهت . لا تلجئنى إلى أن ألقى بك خارجا .

اليسافيت : (بصوت خائر) طابت ليلتك .

المصور : كيف ؟ وأنت أيضاً ؟ هذا فظيع ! فظيع ! (ينظر إليهما كما لو كان يرى أمامه وحشين) إذن ، فقد اتيتما بى إلى هنا لتهزآ بى ؟ لتسخرا منى وتتسليا ؟ هذا ما كانت تهدف إليه دعوتكما ؟ كى تنفضا عن أمسيتكما الضجر على حسابى؟ على حسابى أنا الذى لم أعرف سعادة فى حياتى ؟

اليسافيت : من فضلك ، انصرف . . . .

المصور : (وقد صعدت غصة إلى حلقة) وأنت ؟ ألا تقولين شيئا ، أنت ؟ موافقة أنت ؟ تتركينى طوال هذا الوقت افتح لك قلبى . بحت من أجلك بأسرار شقيقتى وبيتى . شجيرات الورد لم يعد لها وجود . لم يعد لشىء وجود ! قلت لك كل شىء ، كل شىء ! أوه ، هذا فظيع ، فظيع .

(يندفع متخبطا ويهم بالانصراف)

اليسافيت : كلا ، لا ترحل !

(برهة صمت)

كيمون : ماذا حدث ، يا حبيبتى ؟

اليسافيت : ماعدت أحتمل أكثر من ذلك . ماعدت أحتمل .. قلت لك. ألم أقل أن الليلة سوف تكون الأخيرة ؟ (إلى المصور) خذنى معك . لا تتركنى هنا ، بعد الآن.

كيمون : اليسافيت ، هل جننت ؟

اليسافيت : لا أريد أن أبقى لحظة فى هذا البيت . انتهى كل شىء.. سأذهب معه .. إنه يحس بى . يحبنى . نحن من المدينة ذاتها ...

كيمون : دعك من السخافات . أنت لم تولدى هنا .

اليسافيت : يعرفنى وأعرفه . إنى راحلة . لا أطيق المزيد . لا أطيق.

كيمون : تجلدى ، إذن . سأفعل بدورى ما بقى لى (يندفع خارجا) .

اليسافيت : (ثائرة) دعك من التهديدات ! ماعدت تخيفنى ، سامع ؟ لا تستطيع إخافتى ! (تسمع طلقة نارية من الداخل . تطلق اليسافيت صرخة . تمسك خديها بكفيها) الطلق النارى! قال ونفذ ما قال ! الطلق النارى !

(تندفع إلى الداخل ، بينما يحاول المصور أن يمنعها) .

المصور : لا ! لا تذهبى !

(تخرج اليسافيت من اليمين . ثم تعود بعد بضع ثوان ، وقد اتخذت هيئة من يسير فى نومه) .

اليسافيت : قتل نفسه ! قتل نفسه بسببى . كان يقول لى ذلك دائما، ولم أكن أصدقه قال لى «لو فقدتك ، سينتهى كل شىء بطلق نارى» .

المصور : ربما كان مصابا فحسب .

اليسافيت : اخترقت الرصاصة قلبه . . . (يهم المصور بالدخول وقد أسقط فى يده ، لكن تند من اليسافيت صرخة) لا ! لا تدخل ! حذار أن تضع قدمك هناك !

المصور : اليسافيت ، ليس ما حدث ذنبك . لاتقع المسئولية عليك .

اليسافيت : (وقد شردت نظرتها) دماؤه سالت من فمه . دماؤه . . .

المصور : أقول لك ، ليس ما حدث ذنبك . هيا ، نخطر الشرطة . . ويعد ذلك ، سنرحل .

اليسافيت : ماذا ؟ ماذا قلت ؟

المصور : ستأتين معى . لن أتركك وحدك . أليس هذا ما كنت تريدين ؟

اليسافيت : (كما لو كانت لا تفهم) سآتى معك ؟

المصور : ستنسين كل شىء . . سترين . . .

اليسافيت : سآتى معك ؟ معك أنت ؟ معك أنت ؟ (تتبدل حالها فجأة . وتنفجر فيه ثائرة) اغرب عن وجهى ، أيها القذر المنفر !

المصور : ماذا ؟

اليسافيت : (ماضية) جرؤت أن تصدق شيئا مثل هذا ؟ أنا أرحل معك أنت ؟ أنا وأنت ؟! أنت دميم قبيح . ألم يقل لك

-ذلك أحد قط ؟ أنـت عجوز ، ألم يقل لـك ذلك أحد قط ؟ ، وذلك الرجل المسجى هناك كان شابا ووسيما ! أسنانك نخر فيها السوس . يداك تثيران تقززى . (تهجم عليه) امش ! عد إلى اختـيك المجنونتين ، عد إلى بيتك الكريه ، ولا تخط منه خـارجا ! هذا مـا تستـحق أنت وأمثالك ، أنتم يا من تأتون هنا وتفسدون علينا هدؤنا .
أخرج ! أخرج ! أخرج !

(يتراجع المصور مرتعبا ، ويخرج من ناحيـة اليسار . تبقى اليسـافيت وحدها . تبدو شاحبة مجهدة . تقتـرب من المرآة . تتفحص وجهها بآلية . ترتب شعرها . ثم تأتى إلى الباب فى ناحية اليمين وتقف فى مواجهة الجمهور .)

اليسـافـيت : (بصوت خال من كل عاطفة) تستطيع أن تخرج الآن .

كـيــمـون : (بدخل) انصرف ؟

اليسـافـيت : (بذات الصوت) أجل .

كـيــمـون : مثل الآخرين ؟

اليسـافـيت : أجل .

كـيــمـون : هل لقيت صعوبة فى طرده ؟

(تذهب اليسافيت ، وتجلس فى مقعد يواجه الجمهور) .

اليسـافـيت : كلا . انصرف دون أن يقول كلمة .

كـيــمـون : يداك ترتعشـان ، وأنت مهدمـة . يجب أن يتوقف كل هذا يوما ما .

اليسـافـيت : (كرجع الصدى) أنت محق . سيتوقف .

(برهة صمت)

كيــمــون : قلت لك ، لا أريد ضيوفا يتدخلون فى أمورنا .

اليسافيت : قلت لى ذلك .

كيــمــون : لسنا بحاجة إليهم .

اليسافيت : كلا .

كيــمــون : سوف تدخلين على ذات مرة وتجدين رصاصة حقيقية قد استقرت فى قلبى .

اليسافيت : (بلهجة ناعمة) يا حبيبى . لا توجد رصاصات حقيقية . تعرف ذلك .

كيــمــون : تقولين ذلك ، وتبدين حزينة .

اليسافيت : لست حزينة .

كيــمــون : غدا ، سنجمع أمتعتنا ، وسنرحل .

اليسافيت : (كرجع الصدى) سنرحل .

كيــمــون : عرفت الآن خطاك ؟ هـذه المدن تتشابه . اختلط عليك الأمر . . .

اليسافيت : أجل ، تتشابه . اختلط على الأمر . . .

كيــمــون : تسلمين بأنك لم يسبق لك المجىء إلى هنا ؟

اليسافيت : (بذات الصوت السابق) أسلم .

كيــمــون : مائدة العشاء جاهزة . هل أنتظرك ؟

اليسافيت : انتظرنى .

(يخرج كيمون من جهة اليمين . تبقى اليسافيت بضع لحظات بلا حراك . ثم تنهض . ترتب بعض الأشياء شاردة اللب . تجىء إلى الشباك وتتأهب لإسدال الستائر . تطل منه قليلا كما لو كان ثمة ما استرعى انتباهها) .

اليسافيت : المدينة ! (تطلق صرخة) المدينة ! المدينة تحترق ! (تولول) تحترق !

ستار

لولا أناغنوستاكى

الاستعراض

(غرفة حوائطها مكسوة بأوراق حائط عتيقة . باب ضيق مرتفع . الأثاث : سريران يذكران بتلك الأسرة الحديدية القديمة المحاطة بقضبان تحمى النائم من السقوط. أحد السريرين غير مرتب . مقعد هزاز ، ومقعد آخر خفيض . أرفف. دواليب مكدسة بالكتب. لاوجود لنافذة بالمعنى الدقيق ، إلا أن بأعلى الحائط شبه مطل من مطلات المناور ، لا تغطيه قضبان حديدية ، وله ضلفتان زجاجيتان ، تفتحان . وأسفل هذه النافذة صندوق مما يستخدم فى تعليب البضائع . على الأرض ، وعلى المنضدة ، وعلى المقعد الخفيض ، وعلى السرير غير المرتب ، سفن وطائرات كثيرة من الورق . كما يوجد كثير من الكتب والخرائط المبعثرة فى أرجاء المكان . ظلام . صمت. تبدأ دقات طبول منفردة تتصاعد فى الظلام. تعزف موسيقات عسكرية ، تارة معا ، وتارة متفرقة ، ويفد العزف من قريب أحيانا ، ومن بعيد أحيانا أخرى . صمت .

ضوء . ومع الضوء ، يسمع نفير بعيد ، كما لو كان العازف يجرب نفيره . وهناك أيضا من يتدرب على دق الطبول فى الخلفية البعيدة ذاتها . ترى زوى - وهى فى الثالثة والعشرين من عمرها - جالسة فى المقعد الهزاز ، وقد أولت الجمهور وجهها . تغزل ثوبا ، وتؤدى من أجل ذلك حركات منتظمة ، وتغنى بصوت خافت) .

زوى : من يتسلق الجبال
ويجلب لنا الوردة الصغيرة
من يدخل المغارة
وينزل البيارة
ويسأل عنها عجوزا
تجمع أعشاب البرارى .

(يدخل آرى – وهو فى السابعة عشر من عمره – مستغرقا فى التفكير ، يمسك فى يده سلسلة يلهو بها . يصعد على الصندوق ، ويلقى نظرة من النافذة . وعلى الدوام فى الخلفية يسمع الطبل والنفير . يقوم آرى بجولة فى أرجاء الغرفة لاهيا بالسلسلة . يلقى بها على المنضدة . يستلقى على الأرض ، ويشرع فى ترتيب سفنه الورقية . ويلعب بها مقلداً معركة بحرية . يرص السفن فى وضع قتال . يمسك فى يديه طائرتين ، يمررهما فوق الأسطول وهما تطلقان النار . وطوال هذا الوقت ، لاتكف زوى عن شغل الأبرة وعن الغناء ...)

زوى : من يشد الترحال إلى ديار الغربة
يحضر لنا الوردة الصغيرة
– كم يخجل القلب –
يا أيتها الأم المنكودة .
أى قلب يرثى الآن
لوردتنا الصغيرة المفقودة .
(دون أن تستدير إليه ، تواصل شغل الأبرة)
آرى ، هل نحن وحدنا ؟

آرى : (يقلد الطائرة) تززززززز . . أجل ! تززز . . .

زوى : رحل أبونا ؟

آرى : رحل . . . . تززززززز ، بوم ، بوم ، بوم ، بوم . . .
(يقلد مدفعا سريع الطلقات)

زوى : لم اسمع الباب يصطفق . ثم هناك ذلك الضجيج الوافد
من الميدان . أغلق النافذة .
ما هذه الأصوات ، أبواق ؟

آري : م م م . . . (ينهض متكاسلا ، ويغلق النافذة)

زوي : وطبول ، أيه ؟ من المؤكد ، أن ثمة استعراضا سيجرى أمام بيتنا . أبمناسبة عيد من الأعياد ؟

آري : لو كنت تكترثين بالقاء نظرة إلى النتيجة ، لتبينت أنه عيد من الأعياد السنوية . .

زوي : عيد قومى ، ترفع فيه الأعلام والبيارق ، وتمر المدارس تحت الشرفات . هل تجمعت جماهير فى الميدان ؟

آري : كلا ، لم يأت أحد بعد . (يلتقط من السرير غير المرتب ثلاث كرات صغيرة . يقذف بها إلى فوق وإلى تحت ، محاولا أن يقلد لاعبى السيرك) .

زوي : لا تروق لى الاستعراضات . أتذكر عندما كنت صغيرة ، وقفت وقتا طويلا تحت الشمس ، فأصبت بوجع فى الرأس ، وتقيأت ، وكدت أموت ؟

آري : لم يكن ذلك فى استعراض ، بل كنا نستحم فى البحر . .

زوي : هل تذكر ؟

آري : كلا . كنت صغيرا جداً . ربما لم أكن قد ولدت بعد . (يحاول التحكم فى الكرات ، فلا يفلح) . .

زوي : حسنا ، لا يهم ذلك . (برهة صمت وجيزة) أى ثياب ارتدى أبونا اليوم ؟

آري : سترته الزرقاء . .

زوى : تلك التى ارتداها أمس أيضـا ؟ ينقصهـا الزرار ! الثالث بالجزء الأسفل ، والبطانة مفكوكة الخياطة من الجوانب. كنت أنوى أن أرفـوها له مبـكرا هذا الصبـاح . . . فى الحق ، يبدو لى ، أنى رفوتها . أذكر ذلك . . .

آرى : (يجح فى النهاية أن يتقن الحركة البهلوانية) لم ترفها . كـان بسترته زراران فحسب .

زوى : وهل تركتـه يرحل هكذا ؟ هل ارتدى صدريته الصوفـية على الأقل ؟

آرى : ارتداها . .

زوى : الصفراء أم الرمادية ؟

آرى : الصفراء .

زوى : حسنا فـعل . . الصفراء أكـثر دفئـا . بدأ الجو يميل إلى البرودة في الخارج .

آرى : وكيف تعرفين ؟

زوى : كيف أعرف ؟ ماذا تقول ؟ (طوال الحوار لم تستدر نحو آرى) .

آرى : (بعد لعبة الكرات . يستند مجهدا إلى الحائط . يضع يديه فى جيبه) كم ساء الجو هذا المساء . . .

زوى : (ماضية فى شغل الابرة) أخبرنى بذلك أبونا ليلة أمس ، حين عودته . قال لى : «تدثرى بشالك الأسـود ، فقد أقبل الخريف» ثـم نفخ فى راحتـيه ، وقال «يجب أن نـشغل المدفأة بعد بضعة أيام» . إنه يشعر بالبرد كثيرا فى الآونة الأخيرة . طلب منى أغطيـة صوفية من الآن ، وكلفنى

أن أذهب إليه بشاى ساخن قبل رقاده بالليل ، ربما كان مريضا . وأنت ، ما رأيك ؟ أهو مريض ؟

آري : (يتسلق إلى النافذة ، ويفتح الزجاج) لا أعتقد ذلك .

زوى : ماذا يجرى فى الخارج ؟

آري : ليس هناك شىء بعد .. الميدان خال ..

زوى : الحوانيت مقفلة ؟

آري : مقفلة تماما . وقد أنزلت ستائرها الحديدية ..

زوى : هل يجلس أحد على الأرائك ؟

آري : أقول لك الميدان مقفر . لم يحضر أحد بعد ..

زوى : وهذه الموسيقات ، من أين تسمع ؟

آري : لابد أنها تفد من مكان بعيد .. لست قادراً أن أرى .. ولكن أينما كانوا فأنهم يقتربون .. إنى متأكد ، أن الاستعراض سيجرى هنا ، تحت .

زوى : وما الذى يجعلك متأكدا ؟

آري : (يغلق الزجاج ، لكنه لا ينزل من على الصندوق ، يستدير إلى زوى) نصبوا فى الميدان تمثالا . فى الوسط تماما . سوف يزيحون الستار - على ما يبدو - عن نصب لبطل من الأبطال فى هذه المناسبة .

زوى : أى بطل ؟ ألم تتبين الأمر ؟

آري : كلا ، إنه مغطى كله بقماش أبيض ، ولايبدو منه شىء ..

زوى : إذن ، كيف عرفت أنه تمثال ؟

آري : وأى شيء يمكن أن يكون غير ذلك ؟ لقد أقاموه على قاعدة عالية ، وشدوا حوله حبالا كى يقف خلفها الناس الذين سيأتون لحضور الاستعراض . (بفرحة مفاجئة) ضوء مشعل ، بعد قليل سيبدأون فى التوافد !

زوى : (تغنى) من يدخل المغارة .
ويتزل البيارة .
ويسأل عجوزا
تجمع أعشاب البرارى

آري : (يفتر حماسه . ينزل بخطى وئيدة ، ويقف وراء زوى) تغنين ؟

زوى : أجل . لم اتبين ذلك . كنت شاردة البال . .

آري : فيم كنت تفكرين ؟

زوى : لا أفكر - إنى أغزل . .

آري : ماذا تغزلين ؟ كلا ، لا تخبرينى . سوف أخمن ذلك وحدى . . تغزلين ثوبا لك ، شالا ؟

زوى : أخطأت التخمين .

آري : إذن ، سترة .

زوى : ولا سترة . غزلت واحدة الأسبوع الماضى .

آري : صدرية بغير أكمام .

زوى : كلا ، كلا ، كلا . فستانا بأكمله . ها هو النصف السفلى منه .

آري : على كل حال ، إنه ثوب لك . خمنت هذا على الأقل . .

زوى : خمنته ؟ أظن أنك سألتنى عنه أمس أيضا وأخبرتك . كيف ، أجل ! أنا التى أخبرتك . لم تكتشف الأمر وحدك . .

آرى : هل يمكن أن أراه ؟

زوى : (تريه اياه) أليس جميلا ؟

آرى : أنه رائع . نبيذى . بذلك يسمون هذا اللون . ولكنك تغزلين ثوبا ضيقا .

زوى : إننى نحيفة جدا . .

آرى : ضيقا وطويلا .

زوى : إنى طويلة ، سيكون على مقاسى تماماً .

آرى : أنت قصيرة القامة .

زوى : لا تدرى من أمرك شيئا . تقول ذلك كى تغيظنى . تريد على الدوام أن تغيظنى . .

آرى : قصيرة وبدينة .

زوى : أنت شرير . . لن أكلمك .

آرى : ليس فى البيت مرآة كبيرة . لذلك لم ترى هيئتك كاملة قط . قصيرة وبدينة ، هذه أنت ، دون أن تدرى ذلك (يقفز مرحا) لى أخت ممتلئة الجسم قصيرة . .

زوى : لن أكلمك مرة أخرى . أعطنى اياه (تهم باخذ قطعة الثوب المغزول . يقفز آرى بعيدا) .

آرى : (يغنى) قصيرة القوام ، بدينة الجسد . .
مثل سيقان الاخطبوط ساقاها .

زوى : (تطارده) كذاب ! كذاب ! أعده إلى بسرعة . .

آرى : (وهو يجرى) هذا ثوب ضيق جدا . . لا نفع منه . (يكوره، ويلقى به بعيدا وهو ماض فى الغناء) وأنفها مثل نجمة بذنب . .

(يطارد كل منهما الآخر . وفى كل مرة تفلح زوى فى الاقتراب من الفستان يكون آرى أسرع منها فى الإلقاء به بعيدا . يتدحرجان على الأرض فى النهاية . ينهض آرى ، ويدوسه بقدمه) .

زوى : اتركه ، اتركه ، اتركه .

(منذ أن شرعت تجرى وراءه مطاردة ، بدأت تسمع جلبه أناس ، وفرقة موسيقية تقترب . كما يتعالى الصخب عندئذ فى الخارج بشدة فيتنبه إليه آرى فجأة .. يتخلى عن الفستان ، ويهرع إلى النافذة بينما تنكفئ زوى على الأرض، وتنخرط فى البكاء) . .

آرى : ها هو الموكب . لقد جاءوا ! غص الميدان بهم - امتلأ تقريبا - أتسمعين ! يفدون من كل الأنحاء ، يتراصون وراء الحبال . ارتدى البعض أفضل ثيابهم . تزينوا كى يحضروا الاستعراض . على أن البعض يرتدون رث الثياب - كفى عن البكاء ، وتعالى شاهدى . أوف ! مثل طفل صغير تتصرفين . يبسطون مظلات لاتقاء الشمس . يبسطون مظلات المطر لاتقاء الشمس ، أليس ذلك مضحكا ؟ كفى عن البكاء ، إنك تثيرين أعصابى . آخرون يصنعون من ورق الصحف قبعات ، يغطون بها رؤوسهم . أما أولئك - أجل - فهم أنصح الجميع . بأربع عقد يطوون مناديلهم مثل قلنسوة ، فلا يخشون

أن تطيرها الريح . الميدان فى وسطه خـال . لم يحضر الجيش بعد ، ولا المدارس . حضر أولاد الملجأ فحسب . وهم الذين يعزفون الموسيقى . .

(يستدير ملتفتـا إلى زوى ، التى عادت للجلوس فى مكانها وتواصل شغل الأبرة عابسة الوجه . يغلق النافذة ببطء . ينزل من على الصندوق ويذهب إليها) .

آرى : هل غضبت ؟

(تجر زوى مقعدها فى دلال بعيدا عنه)

آرى : اسـمعى : سـوف أطلب من أبينا غـدا أن يشتـرى لك صوفا أزرق كى تغزلى فستانا آخر . هذا اللون قروى . ألا ترينه ؟ (صمت) حسنا ، على كل حـال ، فأنا لست عارفا لهذه الأمور . أنى رجل ، ولا أفهم فى الألوان . ولكن الحق أقول لك ، ستغزلين فـستانا أزرق . . بضعة خيوط ذهبية على الياقـة ، هيه ؟ سوف يكون جميلا . اعترفى بأن فكرتى عن الخيـوط الذهبية رائعة (صمت) لا تكلمـينى؟ حسنا وأنا بدورى سـأطبق فمـى يوما كـاملا (يعود إلى سفنه) أتسمعين ؟ يوما كـاملا . لن تخرج كلمة من شفتى . . تززز (يلعب) .

زوى : (بلهجة شريرة) عندما أجلس هنـا فى مقعـدى منكبة على إبرتى ، وتسألنى وتلح فى السـؤال فيم أفكر ، أتريد ان أن أقول لك فيم أفكر ؟

آرى : بوم ، بوم ، بوم . (يطلق النيران) .

زوى : (باللهجة ذاتها) افكركم كانت تصبح سعادتى كبيرة لو كانت لى أخت بدلا منك . لكن ليس لى أخت ، إنى سيئة الحظ للغاية . .

آرى : تزرز (انقضاض عمودى) .

زوى : هذه الغرفة فظيعة . لا أستطيع أن أراها . . سفنك وكراتك وخرائطك وكتبك ملقاة فى كل مكان . تنتابنى الرغبة فى أن أجمعها كلها وأحرقها . .

آرى : عندئذ سأشعل بدورى النار فى سلة أثوابك الصوفية . لن أحرقها تماما ، بل سأتركها مزقا محترقة ترينها وتغلين من الغيظ .

زوى : أعرفك جيدا . أنت أهل أن تفعل ذلك . أنت شرير وقذر . سريرك نتن . أنك لا ترتبه أبدا . أتعرف كيف كان سيبدو سرير أختى ؟

آرى : كرا ، كرا ، كرا . .

زوى : بأغطية من ريش ناعم ، وردية اللون ، ووسائد بيضاء ذات شرائط زرقاء . وسوف كنت أغزل لها سجادة سميكة صفراء كى تقف عليها ما أن تطأ قدماها الأرض. ما كنت سأسمح لأحد أن يدخل هنا . كنا سنظل سويا نحن الاثنان ولا ثالث لنا . كنا سنتحادث ونتحادث . . وأفضى لها بكل أسرارى .

آرى : ألديك أسرار ؟

زوى : بالطبع لدى أسرار . لكننى لن أبوح لك بها أبدا ، لأنك رجل .

آری : ولا حتى بأقل القليل منها ؟

زوی : (تهز رأسها علامة النفى) كلا .

(ينهض آرى . ويشرع فى الدوران حولها)

آری : إذن ، لن أخبرك أنا أيضًا بما لدى من أسرار . (ينظر إليها نظرة غامضة) وعلى سبيل المثال لن أقول لك شيئا عن المفتاح .

زوی : المفتاح ! أى مفتاح ؟

آری : (يذهب إلى الباب ، ويخلع مفتاحا من موضع مرتفع) هذا ! (يمده نحوها ، حتى يكاد يلامس وجهها) .

زوی : إنه مفتاح البيت .

آری : تماما . هو مفتاح البيت . ذات يوم ، سآخذه ، وسأخرج . (يتطلع إلى النافذة) سأمضى نازلا إلى الميناء .

زوی : وماذا ستفعل فى الميناء ؟

آری : سأشاهد السفن . سأختار يوما يأتى فيه الأسطول كى أتابع معركة بحرية حقيقية . .

زوی : كيف ستعرف اليوم الذى ستجرى فيه معركة بحرية ؟

آری : سأسمع دوى المدافع . إنها تسمع من هنا . ما أن أسمعها ، سأفهم ، وأخرج . وبعد ذلك ، ربما ذهبت أتريض فى المتنزه . .

زوی : ليس ثمة متنزه .

آری : من قال لك ذلك ؟

زوى : أنا أقول لك . حين جئنا نسكن هذا البيت - أذكر ذلك جيدا - اجتزنا المدينة كلها ، ولم نصادف فى طريقنا أى منتزه .

آرى : ربما . لا يعنى ذلك شيئا . على أى حال ، لم أخبرك بالأمر الأهم . .

زوى : الأمر الأهم ؟

آرى : (بخبث وانتصار) سأذهب إلى السينما ، خلف بيتنا . سأشترى تذكرة وأدخل .

زوى : كيف تعرف أنها سينما تلك التى خلفنا . لم تحدثنى عن هذا من قبل . خبرنى كيف عرفت ؟

آرى : عرفت ذلك ، وقد اكتشفته وحدى . (يمضى فى حديثه على نحو ما سبق) منذ أسبوع ، كل ليلة فى العاشرة ، وفى الثانية عشرة، يتدفق على الميدان أناس كثيرون، جماهير غفيرة. يمرون تحت نافذتنا ، ويتفرقون فى الشوارع المحيطة . كل هؤلاء لابد أنهم يخرجون من مكان ما . وبعد أن فكرت طويلا ، فهمت أنه لا يمكن إلا أن يخرج هؤلاء كلهم من إحدى دور السينما ، التى شيدت فى الآونة الأخيرة على مقربة من هنا . لو إنك لا تنامين فى الثامنة ، سوف كنت ترينهم بدورك . لكننى أحمق إذ اجلس وأخبرك بكل هذا ، منذ الآن لن أخاطبك بكلمة . .

زوى : (وقد اكتست مسحة غامضة) إذن ، لن أقول لك بدورى عما أنوى أن افعل . . لن أخبرك شيئا عن ذلك اليوم .

آرى : أى يوم ؟

زوى : اليوم ، الذى سيخلو فيه الميدان تماما ، ويقفز ، لأن ذلك اليوم سيكون الأحد والوقت صباحا . الحوانيت مقفلة ، ومن الليلة السابقة سوف يكون باعة الفاكهة وباعة الدجاج والغجر بسجاجيدهم وباعة السميط قد انصرفوا . وسيكون الجو باردا ، ولن يأتى أحد ليجلس على الأرائك .

آرى : وعندئذ ؟ وعندئذ ؟

زوى : وعندئذ ، ماذا ؟

آرى : قلت إن اليوم سيكون الأحد والوقت صباحا . .

زوى : (بلهجة بطيئة وحافلة بالغموض) عندئذ سأفتح الباب ، وأخرج . سأطوف بالميدان ، بالميدان كله (ببطء) سأدور حوله ، سأمر بالاقفاص وعربات الكارو والأرائك والكنيسة ، ومن أمام حوانيت المصنوعات النحاسية . قدور أباريق ، طاسات ، كل الأشياء من نحاس أحمر ، لامع مثل الذهب .

(صمت . يمضى آرى إلى النافذة غارقا فى التفكير) .

آرى : ماذا يفعلون حتى يطول تأخرهم إلى هذا الحد .

زوى : هل وصل الجيش ؟

آرى : كلا ، لم يصل بعد (يتناول كراته من جديد ، ويجرب حركته فى عصبية) .

زوى : آرى . .
آرى : أجل ؟
زوى : هذا الذى قلته لك الآن . .
آرى : أجل ؟
زوى : لن أفعله . (يتوقف آرى عن رمى الكرات) لأن الميدان لا يكون خاليا بما فيه الكفاية ابدا . . إسمع . حسبت كم من الوقت يلزمنى كى أطوف بالميدان كله . ربع ساعة على الأقل لوسرت بخطوات سريعة ، ونصف ساعة ، لو سرت بخطوات وئيدة . أجريت تقديراتى والساعة فى يدى . وعندئذ ففى أثناء الربع أو النصف ساعة سيوجد على الدوام من يمر من هنا ، حتى لوكنا يوم الأحد ، حتى لو كان البرد شديدا ، والجليد يكسو كل شيء .
آرى : ربما شاب حسابك خطأ . أتريدين أن نعاود الحساب معا من جديد ؟
زوى : كلا ، متأكدة أنا من أن حساباتى صحيحة . يوجد على الدوام من يمر من هنا . إلا إذا كان الوقت ليلا ، ولكن الظلام يخيم بالليل .
آرى : تخافين الظلام ؟
زوى : أشد الخوف . ألم تدرك ذلك ؟
آرى : بلى .
زوى : خفت الظلام منذ تلك المرة التى خرجت فيها مع أبينا .
آرى : أى مرة ؟ لا أذكر . لم تحدثينى من قبل عن ذلك .

زوي : أوه ، مضى على ذلك زمن طـويل ، طويل جداً ، ربما سنوات وسنوات . كـان ذلك في الأيام الأولى لمجيئنا إلى هنا . تركناك أنت نائـما . خـرجنا سويا . كـانت الريح تعصف ، والمطر ينهمر . كنا نسـير ونسير ، دون أن أعرف إلى أين نحن ذاهبـان . كل الشوارع بدت لي متشابهـة . لم أكن أميز شيئا . كان الظلام كثـيفا ، ما من ضوء في أي مكان، والبيوت كلها موصدة الأبواب، والنوافذ مغلقة دون بصيص من نور (تصدر منها تنهيدة، كما لو كانت تلتقط انفاسها . ثم تواصل الحديث) كان ابي يبـحث عن شخص مـا ، هذا ما فـهمت . طرقنا أبـواب أربعة أو خمـسة منازل ، لكن لم يفتح لنا أحـد . في النهاية ، وصلنا إلى بيـت مطفـأ الأنوار ، لم تكن بعـده بيـوت اخرى ولا أي شيء على الاطلاق . وقـفنا . قال الأب «هنا ، سننتـظره» ثم خـيل لي أن المكان زاد إظلامـا . ظلام دامس ، بحثت عن يده ، وجدتها وأمسكتها بشدة . لأنني كنت خائفة للغاية ، وفجأة (تمسك رقبتها) وفجأة ، خطر لي خـاطر مـخيف . مـاذا لو لم تكن اليـد التي أمسكها يد أبي . . بل . . يد شخص آخر ، مجهول ، وازداد خوفي كثـيرا ، ثم رحت أرتعد خشـية أن يضيء نور . وكان المطر ينـهمر ، ينهـمر . . (تخفي وجهها بين راحتيها) .

(برهة صمت قصيرة)

آري : لم تحدثيني عن هذا الأمر قط .

زوي : (ترفع يديها عن وجهها) كلا .

آري : (يخطو بضع خطوات) إذن ، يجب أن اخبرك أنني بدوري لن أفعل ما قلته .

زوي : لن تنزل إلى الميناء في طلب السفن ؟

آري : كلا .

زوي : والمعركة البحرية ؟

آري : كلا . ولا حتى إلى السينما سأذهب . أتعرفين لماذا ؟ لأنني في الليلة ذاتها التي فكرت في هذه الأمور أول مرة رأيت حلما .

زوي : حلم ؟ أنا لا أرى أحلاما أبدا ، لم أر حلما واحدا قط .

آري : رأيت أنني أخذت المفتاح . (يشير لها إلى المفتاح) وفتحت الباب . الباب الخارجي . (ايروي حلمه بالتفصيل وباشارات من يده) ولكن بعد خروجي من البيت لم أجد رصيفا ولا ميدانًا ، بل وجدت غرفة فسيحة مفروشة .

زوي : ما الأثاث الذي كان بها ؟

آري : كان بها مقصف ضخم ، عال ، يصل ارتفاعه إلى السقف . وفي الوسط منضدة ضيقة مستطيلة ، منضدة كبيرة جدا واثنا عشر كرسيا مرصوصة حولها . على المنضدة غطاء نبيذي اللون ، والكراسي أيضا كسيت بأغطية من ذات اللون تغطيها حتى الأرض . كما كانت هناك نافذة كبيرة تكاد تشغل الحائط بأكمله ، ويتدلى

أمامها ستار كبير نبيذى اللون . وفى أغوار الغرفة باب ذو مفتاح . ودون أن أعى كيف حدث ذلك ، فتحت هذا الباب و . . .

زوى : ويعد ؟

آري : وجدت نفسى فى غرفة أخرى تشبه الغرفة السابقة . وإن كانت الغرفة الجديدة أوسع من الأخرى بكثير ، وليس من بين أثاثها المقصف أما الحائط فكان عاريًا ومدهونًا بلون أبيض .

زوى : تعنى أن المنضدة الكبيرة والكراسى هى التى كانت موجودة فحسب .

آري : أجل ، والستار الكبير النبيذى اللون الذى كان يغطى النافذة كلها . وقبالتى هناك كان أيضا باب تدلى من قفله مفتاح .

زوى : وهل فتحته بدوره ؟

آري : فتحته ، فوجدت غرفة ثالثة ، أوسع بكثير جدا من الغرفتين السابقتين. وليس بها سوى المنضدة فى الوسط. وفى هذه المرة ، لم يكن للكراسى ذات الأغطية النبيذية وجود . كان الستار النبيذى الذى يغطى النافذة كلها فى مواجهتى وأيضا فى الأغوار الباب ، وقد دلى من قفله المفتاح. فتحته، كانت الغرفة الآن خالية ، خالية تماما ، وأوسع من الميدان مرتين . ماذا اقول ؟ بل ثلاث أو خمس مرات . لم يكن هناك سوى الستار المدلى على

النافـذة والباب ذو المفـتاح فى عمـق الغرفة - الـباب ، اتفهمين ؟

زوى : (منزعجة خائفة) كلا . . .

آرى : الا تفهـمين ؟ فى الغرفة التـالية سوف لا يكون للسـتار بدوره وجـود . ستكون النافـذة عـارية ، ومن خلفهـا سوف . . . صرخت ، واستـيقظت من نومى . تفهمين الآن ؟

زوى : كلا ، لم أفهم .

آرى : (يمسح وجهه بحركة لا إرادية) أجل . ربما كنت على حق . ليس هناك ما يرجى الفهم . . كان حلما غبيا . أجل ، الآن وأنا احكيه لك اتبين ذلك . كان مضحكا .

زوى : ولا أنت حدثتنى عن ذلك قط .

آرى : إننا لا نتبادل الحديث كثيرا ، هيه ؟ ومع ذلك ليس لكل منا سوى الآخر . لا وجود لغيرنا نحن الاثنين .

زوى : لسنا اثنين فـحسب . هناك ابونا أيضـا . نحن ثلاثة فى هذا البيت . (اخذت تحصى العقد فى مغزولها الصوفى) واحد ، اثنين ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة . . (تواصل العد وهى تتمتم) .

آرى : أجل ، ولكنه متغيب طوال النهار ، وعندما يعود يذهب توا لينام . فى بعـض الأحيـان يخـيل لى أننا نبـدو له غريبين عنه ، وأننا عبء عليه . ما رأيك ؟

زوى : خمس عـشـرة ، ست عشـرة ، سبع عشـرة ، ثمانى عشرة . . .

آري : ما رأيك ؟ إنى اسألك .

زوي : سبع وعشرين ، ثماني وعشرين - دعني الآن - إني مستغرقة في العد ، ألا ترى ؟

آري : كل ليلة ، أذهب إلى غرفته ، وأنظر إليه ، وهو يتأهب للرقاد في الفراش . أعرف أن ذلك يضايقه. آراه يحاول أن يسارع بالرقاد ، أما أنا فاتعمد ، أن أجلس وأتابعه وهو يخلع سترته ، وقميصه وسرواله . يطويها بعناية ، ثم يرتدى بيجامته . يستلقى على السرير ، ويجذب الغطاء حتى رقبته . أتابع كل شيء ، ولا أدع شيئا يفوتني . ثم يقول لي «اطفيء النور» فأطفئه واخرج . هذا كل ما في الأمر . إنه لا يتحدث إلى أبدا . لا يقول لي شيئا . ذات مرة وهو غائب ، استبدت بي فكرة ملحة ! شرعت أفتش غرفته . قلبتها رأسا على عقب . الادراج، الدواليب، الكومودينو ، المراتب ، الوسائد ، قلبت كل جيوبه ، حتى داخل حذائيه وخفيه المترليين رحت أنقب ، لكنني لم أجد شيئا . وهل كنت اعرف عما أبحث ؟ صورة فوتوغرافية فحسب ، احتفظت بها . لم أعدها إلى مكانها . لابد أنها صورة قديمة ؛ لأنها مصفرة الأطراف ، ويبدو فيها أبونا في بواكير شبابه . بلحية كثيفة جالسا على صخرة ، ينظر إلى البحر . (برهة صمت) خبريني . ألم يخطر ببالك أنه قد لا يكون أبانا ، هيه ! إنى أسألك . لما لا تجيبين ؟

(تواصل زوى العد الآن فى صمت وتتمتم شفتاها بذلك دون صوت)

آرى : هل خطرت ببالك هذه الفكرة ؟ أنا خطرت لى ، مرات عديدة ! تكلمى ، قولى شيئا . لماذا لا تتكلمين ؟ إنى أسألك (يصب فى اذنها كلامه . تحاول زوى أن تتجنبه وقد ضايقها صراخه) هيه ، إذن ، اتعرفين ما خطر ببالى أيضا ؟ حتى أنت لست أختى . ولماذا تكونين أختى؟ لايشبه أحدنا الآخر فى شىء . هل تريدين أن أحضر المرآة ونطل فيها معا؟ وفضلا عن ذلك ، انك تكبريننى بست سنوات ، وكان لابد أن أذكرك منذ زمن سابق بكثير على زمننا الحاضر ، لأن الصغار يذكرون الكبار ، فإننى لا أذكرك مع ذلك فى ماضٍ على الإطلاق . لا أذكرك وأنت فى العاشرة من عمرك ولا فى الثانية عشرة ، ولا فى الثامنة عشرة . لا أذكرك فى حياتى إلا بعد ذلك ، بعد ذلك بكثير . هل تسمعين ما أقول لك ؟ (يصيح) ألا تجيبين ؟ . . تكلمى ، تكلمى ، بالله تكلمى ! سيفقدنى عقلى هذا الصمت المخيم هنا . (يصيح بشدة ، مثل طرزان) أوآ . . (وقد وضع كفيه حول فمه مثل متوحشى الغابة . ثم يقفز فجأة نحو زوى ، ويمسك راسها) دعينى أرى ، هل كنت بنتا طيبة اليوم ؟ هل غسلت أذنيك ؟

زوى : (تجاهد للافلات من بين يديه) اتركنى !

آرى : دعينى أرى أظافرك .

زوى : احترس ! (يتعرض الثوب الذى تغزله للإفلات من يديها)

آري : حسنا ، خبريني عـما إذا كنت قد ذاكرت الواجب الذى كلفـتك به . . أيتهـا الكسـول . فلنر ماذا حـفظت من دروس الجغرافـيا . كم دولة فى أمريكا الجنوبيـة ؟ صفر وفى آسيا ؟ صـفر . ماذا تنتج شيلـى ؟ . . اجيبى . . صفر ، صفر ، صـفر . فلننتقل إلى مادة التاريخ . فى أى السنوات عاش نابليون الأكبر ، مـتى عاش روبسبير؟ كم كان عدد اللودفيكيين فى فرنسا ؟ من كان أول ملوك اليونـان ؟ من قتل ابراهام لينكولن ؟ صـفر ، صـفر ، صـفر . فلننتـقل إلى الرياضيـات . . (اثناء ذلك كله ، يدفع بكرسيهـا ، فيدور بها دورات متلاحقـة عنيفة) ما هو الجذر التربيعى لثمانية ؟ صفر . قـولى بسرعة كم حاصل ضرب ١٢٧ فى ٢١٣ بسرعة ، الازلت لا تعرفين النتـيجة ؟ صفر ، صفر ، صفر . .

زوي : (تنفجر وقد افلت زمامها) اتركنى ، إذن ، اتركنى ! رأسى ، رأسى الصغير يؤلمنى . . (تدفع آرى دفعة قوية ، فيقع على الأرض ، ثم ينهض واقفا) .

آري : سـأتركـك ، إذا وعـدتنى بالـوقـوف مـعى لمـشـاهدة الاستعراض .

زوي : (باصرار) كلا ! (تعود إلى الانشغال بما تغزله) .

آري : بعد قليل سيـبدأ . أنت الخاسرة . (يكون قد ذهب إلى النافذة) ياه ، ياه . كم من البشر تجـمعوا ! إنهم آتون ، آتون ، ولا آخر لهم . يتجمعون وراء الحبال وينتظرون . أعتقد

أن فرق الجيش والمدارس ستصل معا . سيفدون من كل الأنحاء . سيمتلىء الميدان . إذن ، هل ستقفين هنا تتفرجين معى ؟

زوى : (بلهجة قاطعة) لا تعجبنى الاستعراضات .

آرى : كم أنت عنيدة . أما أنا فتعجبنى . اعتقد أنها الشيء الوحيد الذى يعجبنى .

زوى : تدفعك الجماهير وتدوسك . اتذكر تلك المرة التى كادت الجماهير تدوسنى . هل تذكر ذلك ؟

آرى : لم يكن ذلك فى استعراض ، أيتها الحمقاء ! بل فى غارة . وكنا نجرى كى ندخل المخابئ . ثم هناك شيء آخر . كفى عن سؤالى فى كل وقت عما إذا كنت أذكر هذا، أو أذكر ذاك ، أنى لا أذكر شيئا . كنت صغيرا جدا . أخ ، فليبدأ الاستعراض فى النهاية ! فى المدرسة كان يوم الاستعراض أحلى أيامى . انتظرت بفارغ صبر أن أكبر وأصبح حامل علم . كنت أدعو بداخلى أن تطول قامتى ، وتصل إلى متر وثمانين ، حتى يقبلونى حاملا للعلم ، لكننى ظللت قصيرا . يا للخسارة ، أليس كذلك ؟ هيه . . انصتى ، انصتى إلى الطبول (ينظر) أنهم لازالوا بعيدين . لو كنت ذهبت إلى المدرسة الثانوية . ربما جعلوا منى قارع طبول . من يدرى . . لا يحتاج قارع الطبول قامة طويلة (يدق يديه بإيقاع على المنضدة ويصحبه بصوته) بارابا بام ، باراريابام ، بارارياباام . .

سأريك شيئا (يجرى إلى سريره . ينزع اغطيته ويركع ، يجلب من تحته صندوقا ، يخرج منه ضمن أشياء أخرى قبعة مدرسية ، ويبوقار يرتديه) قبعة !

زوى : أين وجدتها ؟

آرى : أحتفظ بها منذ عدة سنين . أرتديها فى الأعياد القومية .

زوى : لم أرها من قبل .

آرى : سبق أن رأيتها ، لكنك لا تذكرين . إنك لا تذكرين شيئا على الإطلاق . تذكرين فحسب ما يخصك أنت . (يدور مؤديا حركة عازلى الطبول) باراباباm ، باراباباm ، باراباباm. سرقتها عندما كنت فى المدرسة الابتدائية من أحد الكبار . . باباربابام. . زوى ، هل أبوح لك بسر ؟ (يقترب منها . ويكاد يركع) لو كنت تريدين ، لو كنت تكترثين بى حتى قليلا ، لأمكننى أن أبوح لك بكل أسرارى . اسمعى إذن ، ذاك الذى سرقت منه القبعة ، يقيم هنا قريبًا منا . رأيته أكثر من مرة مارا بالميدان . أعنى . . أننى أكاد أكون متأكدا من أنه هو . . تنتابنى الرغبة أحيانا أن أفتح النافذة وأناديه ، لكننى لا أعرف اسمه . إنى أسميه صديقى ، هكذا أسميه ، لأننى لا أعرف اسمه الحقيقى . لاشك أنه لن يعنى حتى بالالتفات إلى ، فهو أكبر منى بكثير ، ويسبقنى فى العمر بسنوات عديدة ، ربما كان فى الثامنة والعشرين الآن . وهو طويل القامة ، مائة وثمانون ، ربما مائة وخمسة وثمانون أيضاً ، سأريك إياه يوما من الأيام . سيعجبك . إنى متأكد من ذلك .

زوى : ما من رجل يعجبنى .

آرى : وستروقـين له أنت أيضا . أتعرفين ، لست دميـمة على الإطلاق . عنقك جميل ، لكنك لا تكشفين عنه أبدا . لو إنك ترفعين شعرك إلى أعلى ، سيكون ذلك أفضل. أتريدين أن نجرب تسـريحة شعر أخـرى ؟ سوف أمشط شعرك .

زوى : لا تتهور ، وتعبث بشعرى . .

آرى : لك عينان جميلتـان أيضا ، وجبين جميل . إذن ، هل تريدين أن أريك إياه مرة ؟

زوى : كلا .

آرى : (بغضب) يالك من عنيـده . عنيـدة وشـريرة ، وعـديمة الإحسـاس وصمـاء . أجل صمـاء . أتحدث إليـك فلا تجيبين . تشبهين أباك كل الشبه . أفعل كل ما فى وسعى كى أرضيكـما . صنعت لك حتـى الآن أربع سلال كى تضعى فـيها مغزولاتك الـصوفية ، وما من واحـد منها أعجبك . هل تعرفين كم هو صعب أن تجدلى سلالا ؟ أنها تدمى أصابعى . ومن أبى أعانى ذات العناء أيضا . مهمـا فعلت لا يعيرنى اهتمـاما . هل تريدين أن تعرفى ماذا حدث هذا الصباح ؟ دخلت غرفته . وقفت كعادتى وراءه ، ومضيت أرقبه وهو يتأهب للخروج . لم يكلمنى ، تظاهرت بأننى لم أكن موجـودا . وفى النهاية، قلت له «سوف يجرى استعـراض اليوم» لم ينبس بكلمة . اخذ

صدريتـه الصوفـية الصـفراء وارتداها. قلت لـه بصوت أعلى «سـيجرى هنا فـى الميدان» (صمت. ثم بصوت عـال) «أحـضروا التـمثـال!» ارتدى سـترته . بقـيت خطوتان ويخـرج من الـبـاب ، وعندئذ انتــابتنى دون أن أدرى السـبب نوبة من الـبكاء ، ورحت أولول ، جـرجـرت نفـسى على الأرض . صمت «سـيـجرى اسـتعـراض» صحت من جديد «سـيجرى استعـراض» ! . . ومضيت ازحف وازحـف نحـوه ، حتى سـمعت البـاب يغلق ، وخطواته تنزل السلم . .

زوى : يا للعـــار ، أن يبكـى رجل فى سنك . ويزحـف على الأرض . . إنك تملأنى تقززا .

آرى : أعرف ذلك . أنى أثيـر تقززك . . أنا مـثير للتـقزز . . لماذا أنا دميـم ، هيه ؟ (يتناول مرآة) أنا قصـير القـامة ، وأحمق . . غليظ الشفتين . . (يمسك بهما ، ويشدهما على نحو مضحك) غليظ الأنف . . (يأتى حركات بقسمات وجهه) ضيق العينين ، مسطح الشعر . .

(بينما يمضى فى التلاعب بقسمات وجهه أمام المرآة ، تفد نغمات مقطوعة موسيقية عسكرية (من أغوار المسرح وتشرع زوى فى الغناء) .

زوى : من يدخل المغارة
ويتزل البيارة
ويسأل عجوزا
تجمع أعشاب البرارى .

(تشتد نغمات الموسيقى ، فيرهف آرى سمعه)

من يشد الترحال إلى ديار الغربةِ
يحضر لنا الوردة الصغيرة

(يضيع البيت الأخير تحت وطأة الموسيقات القوية ، ويكون آرى قد اندفع إلى النافذة)

آرى : (فرحا ومتحمسا) زوى ، جاءوا ! هاهم ! امتلأ الميدان ، ألم أقل لك ؟ سنرى كل شيء من هنا . المدارس قادمة ! المدارس ! يرتدى التلاميذ قمصانا صفراء . الفتيان فى المقدمة والفتيات من خلفهم . . واحد ، اثنين ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، ثمانية ، عشرة ، اثنتى عشرة ! اثنتى عشرة يكونون تشكيلات من اثنى عشر فردا . والجيش ! (يقفز ، يرقص عند النافذة ، ينظر فى كل الاتجاهات) يا لمظاهر الأبهة التى يبدو عليها ! لم أر حللا جميلة مثل هذه قط ! . . . خضراء ، برتقالية ، سوداء ، زرقاء . . ها هى فرقة الحرس تأتى الآن . لاشك أنها فرقة الحرس ، يمتطى أفرادها جميعا جيادا سوداء ، وتلمع خوذاتهم فى الشمس ، فتبهر العيون . وفى المقدمة جوادٌ أبيض . يمسك راكبه سيفا مشرعا عاليا ، سيفا ضخما بمقبض أصفر ، أوه ، يا إلهى ، هل تبصر عيناى جيدا ، أنه صديقى ! أجل ، إنه هو ! لا يرتدى شيئا على رأسه وقد طال شعره ، وتدلى على قفاه . هذا ما جعلنى لا اتعرف عليه عند الوهلة الأولى .

أما الآن ، وقد مضى يتقدم موليا لى وجهه ، فإنى أتعرف عليه . أجل ، أنه هو يا زوى .. يا اختى الصغيرة الطيبة تعالى ، انظرى إليه ، أتوسل إليك .

(يفتح النافذة) هيه ، أيها الصديق ! (يلوح بيديه) .

(يتدفق الصخب إلى داخل الغرفة ، ويملأها)

زوى : (تصيح) أغلق النافذة ! تعرف أن الضجيج يضايقنى .

(لا يسمعها آرى . يتابع دقات الطبول)

آرى : تارابابام ، تارابابام . . .

زوى : (تسد اذنيها) اغلقها ! أغلقها .

(سكون مفاجىء . بينما يواصل آرى ترديد بارابابام فيتردى صوته فى الفراغ . يصمت بعد ذلك . تنزل زوى يديها من على أذنيها وتستدير دهشة)

زوى : ما عاد يسمع شيء . توقفوا عن العزف ؟

آرى : أجل .

زوى : ماذا يفعلون الآن ؟

آرى : تسمروا فجأة فى أماكنهم .

زوى : لماذا ؟

آرى : يبدو أن ثمة ما سيحدث . ربما سيزيحون الستار عن التمثال . حفل إزاحة الستار الذى حدثتك عنه . يطوى الناس مظلاتهم . يطوونها جميعا .

زوى : لم تعد الشمس طالعة ؟

آرى : بل هى طالعة . ولكن يبدو أنهم يريدون أن يدققوا النظر . انتظرى .

(يتحرك بضع خطوات إلى اليمين ملتصقا بالحائط . ويظل يسارا) شيء ما يجيء من ناحيـة الكنيسـة ، لأن الجـمـيع يتطلعـون ويحاولون المضى إلى هناك .. آخ ، لو كان بإمكانى أن أرى . لابد أن الأمـر على غاية مـن الأهميـة ، لأنهم يتدافعـون ، ويتعجل كل منم أن يرى قـبل الآخر . مر واحـد من تحت الحبـال . وآخـر ، وآخـر .. هاه ! يردونهم من حيث أتوا ، هؤلاء الاذكياء يفرضون عليهم أن يقفوا مع الآخرين . الكشافة - لاشك أنهم كشافة - يدفـعـون بـهم إلى الوراء - لم أكن قـد تنـبـهت إلى وجودهم من قبل (بفرحة منبهرة) زوى ! إنهم فتيان الكشافة بعصيهم وسراويلهم القصيرة . . .

زوى : كشافة مثل أولئك الذين يخرجون يوم الجمعة الحزينة ؟

آرى : مثلهم تماما !

زوى : هل يمسك كل منهم بيد الآخر فى شكل سلسلة ممتدة ؟

آرى : بالضبط هذا مـا يفعلون ، كى يمنعوا الناس من اخـتراق الحبـال . لا يتحـرك أحد من جـديد . إنهم يحملـقون فحسب ، يحـملقون .. (بانفعال شديد) ولكن بالله ماذا يرقبون . (وقد استبدت به الدهشة) يا إلهى ! كلاب .

زوى : كلاب ؟

آرى : أجل .. مـا الذى جـاءوا بالـكلاب من أجلـه فى الاستعراض ؟ يتزايد عددها بلا نهاية . بلغت المائة على الأقل . يجـرونـهـا إلى وسط الميـدان . ويرصـونهـا

متلاصـقة ، بعضها إلى جـوار بعض . . لم أر من قبل شيئاً من هذا القبيل قط! (إلى اخته) بالله تعالى وانظرى . . دعى شغل الأبرة ولو مـرة: وتعالى شاهدى بنفسك شـيئا . . إنها تلهث ، وقـد تدلت السنتهـا خارج أشداقـها. (يقلد كلبا يلهث) أتعرفين ماذا تشبه الـكلاب وهى متلاصقة هكذا؟ كرة رقطاء ضخمـة . مازال الناس يتطلعون نحو الكنيسة . ترى ما الذى سيبين؟ . . انتظرى . . .

زوى : ما الخطب ؟ ماذا ترى ؟

آري : لا أتبين المشهد جيداً . . إنهم يحضرون شيئاً من جديد . يشـبه عربـة كارو (غير واثق مما يقول) عربـة كارو مـسورة بقضبان خشبية تحتل جوانبها الأربعة وسقفها . بدا طرف من العربة فحسب ، ثم أوقفوها .

(يسمع وقع حوافر جياد مكتوم)

زوى : ماذا كان هذا ؟

آري : فـرقة الحـرس . يتقـدمون بجـيادهم نحـو هناك . هذا بالطبع إذا كانوا الحـراس فعلا . . مـاعدت متـأكدا من شيء . لا أميِّز ستراتهم . .

(تعود حوافر الجياد إلى إيقاعاتها)

زوى : (بصوت تشوبه بعض الغرابة) قل ، ما الذى يجرى الآن؟

آري : انتظرى . . من جـديد يتـدافع هؤلاء الناس ويريدون أن يتـسللوا من تحت الحبـال . . مهلا - مهـلا . . هـيه ، أنت ، يا سـيد ، يا من تلبس سـترة من جلد المـاعز ،

أين تذهب . ارجع ، ارجع . وأنت أيتها البدينة التى تريدين أن تقفى فى الصدارة . وأنت ، وأنت أيضا ، هيا . بسرعة عودا إلى مكانيكما . . هاه! إن فتيان الكشافة يعرفون عملهم . بدأت عربة الكارو تتدحرج . على عجلاتها ، وتتقدم ببطء . ظهرت كاملة - لا أرى جيدا - يعوقنى أولئك الذين على الجياد عن الرؤية . إنها ليست عربة كارو ! . . (يستدير نحو اخته وقد استبدت به الدهشة) زوى ! أنه قفص ، قفص مستطيل ضيق مثبت على عجل ، ولابد أن ما بداخله حيوانات ، لأنها تتقافز وتتشبث بالقضبان . . (تثور إعصابه) مرة أخرى هؤلاء الخيالة ! أنها ، أنها ، بشرا ! زوى ! أنهم يحملون بشرا فى القفص!

زوى : (تتسلق إلى النافذة . تطل بدورها إلى الخارج الآن) يا للجماهير الغفيرة التى احتشدت !

آرى : هناك ! هناك حيث أشير إليك . .

زوى : يتوافد الناس إلى الميدان . . الكلاب . . أرنى الكلاب .

آرى : رأيت القفص؟

زوى : أين ؟ أين ؟ لا أراه . .

آرى : هناك ، هناك ، وسط الجياد .

زوى : جياد سوداء ! هل أحصيتها ؟

آرى : (غاضبا) شاهدى ما أريك . ما الذى ترينه وسط الجياد؟

زوى : قفصا . وبداخله بشر .

آري : هل رأيت مثل هذا قط ؟
زوي : أنهم عراة .. الكلاب .. أريد أن أرى الكلاب ..
آري : أناس مسنون .
زوي : بشعور مسترسلة .
آري : يتسلقون القضبان .
زوي : يحاولون القفز خارجه .
آري : هزيلون مثل هياكل عظمية .
زوي : إنهم مجانين ، مجانين . يجلبون مجانين إلى الميدان.
آري : حذار .. حذار .. كفى عن المشاهدة !

(تجاهد زوي للافلات منه)

زوي : دعني . أريد أن أرى (يمنعها آري) ما الخطب ؟ ما الخطب؟ .
آري : هذا فظيع ! .. ألم تلاحظي شيئاً ؟
زوي : كلا ! خبرني سريعاً ، خبرني ..
آري : أولئك داخل القفص كلهم مشوهون، مبتورة أطرافهم ، مقطعة أعضاؤهم البعض بلا ساقين ، والبعض بلا ذراعين .. وواحد بلا رأس ، يا إلهي ! لا أخطىء ، إنه بلا رأس .. ومع ذلك فإن رقبته تتلوى ..
زوي : (بخوف طاغ) اغلق النافذة ، بسرعة ، أغلقها !
آري : ليسوا كلهم شيوخاً ، هناك أطفال بينهم .. ها هو من يحمل طفلا ، ويرفعه عاليا .. آه ! ...
زوي : ماذا ؟ ماذا جرى ؟
آري : وجهه مشوه ، محروق ...

(يتعالى ضجيج الجماهير)

زوى : (تصم اذنيها) أغلق النافذة .. أغلقها ! ..

(لا يحرك آرى ساكنا . يطبق السكون . ثم لا يلبث سريعا أن يعلو الصخب هادرا) .

زوى : (بلهجة بطيئة ، خائفة ، ولكن لا تخلو من فضول سقيم) ماذا كان هذا الصخب ؟

آرى : هجم الناس ومزقوا الحبال، وتدفقوا على الميدان .. لكنهم لا يتركون لشأنهم .. إنهم يدفعون إلى الوراء ، ويضربون ، يضربهم الكشافة بالحبال الممزقة ، كما ترجل الخيالة من على جيادهم ، وراحوا يهوون عليهم بهرواتهم .يمسك أحدهم بامرأة من شعرها . يلقى بها أرضا ، ويركلها فى وجهها .. (يكاد يبكى) .

زوى : (بخوف طاغ) ابتعد عن النافذة .. ابتعد بسرعة .. (برهة صمت) قل ، ماذا ترى؟

آرى : (يختنق نحيبه ، ويقول بصوت فاتر) عاد الهدوء من جديد . عاد الجميع إلى أماكنهم . خلا الميدان فى وسطه . لم يبق هناك سوى الكلاب والتمثال . وحتى اولئك الذين بداخل القفص لا يحركون ساكنا .. صد .. صديقى .. ذلك .. ذلك الذى قلت لك أنه ترك شعره مرسلا ، يقترب من التمثال . يصفق بيديه .. يلتفت الجميع من جديد نحو الكنيسة . يحضرون شخصاً . يجرونه من يديه ، لأنه غير قادر على السير بمفرده ، فهو لا يرى (يعاود الاندماج فى

الوصف ، ويمتلىء صوته بالمعاناة) وجهه مغطى بقطعة من القماش ، ولهذا فإنهم يقودونه ، يتعثر فى كل خطوة ، ويصوب الجميع أنظارهم إليه .

(يطلق صرخة)

زوى : ما الخطب ؟ ماذا رأيت ؟

آرى : إنى خائف . .

زوى : (ترتعد بصوت خافت) مم تخاف ؟

آرى : هذا الرجل . .

زوى : أفصح ، أفصح . .

آرى : يرتدى سترة زرقاء ومن تحتها صدرية صوفية صفراء . .

(تتسلق زوى)

زوى : إفتح النافذة . أريد أن أتبين الأمر . .

آرى : انتظرى . .

(يتبادلان النظرات)

زوى : (تسأله بصوت خافت) أهو أبونا ؟

آرى : وما شأنه بما يجرى فى الميدان ؟

زوى : لم يخبرنا بأنه سيحضر الاستعراض .

(برهة صمت . يعود آرى بخطوات بطيئة إلى النافذة)

آرى : الآن ، يزيحون النقاب عن وجهه !

(صمت طويل ، بينما يمضيان فى التطلع إلى الخارج معا)

زوى : ليس هو . . .

آرى : إنه غريب ! التبس علينا الأمر بسبب ثيابه .

زوى : هل تعرفه ؟

آرى : كلا . أراه لأول مرة .

زوى : ياللشحوب البادى عليه . وجهه أشد بياضا من قطعة القماش التى كانت تغطيه .

آرى : انظر ! إنه مغلول اليدين . .

زوى : والقدمين أيضا !

آرى : هذا ما يجعله يتخبط فى مشيته هكذا . . ماذا سيفعلون به؟

زوى : ها هم يزيحون النقاب عن التمثال ! يزيحون عنه النقاب!

آرى : ليس تمثالا !

زوى : كلا ، ليس تمثالا . . ما هو ؟ خبرنى ما هو ؟

آرى : إنها مشنقة . . كلا ، ليست مشنقة . أنها مقصلة . مثل تلك التى عرفتها الثورة الفرنسية . أتذكرين ذلك فى كتاب التاريخ . . (ينزل ينتزع كتابا ، ويقلب صفحاته بحثا عن الصورة ، كى يتأكد مما يقول)

زوى : آرى . هذا ، هذا الرجل ذو الشعر المرسل ، يمسك به. ويضعه هناك . هناك ، يا آرى ! سوف يعدمونه . . جعلوه يركع حتى يقطعوا رأسه . . (يهجم آرى على النافذة) ولا يقول الناس شيئا . . افتح النافذة ، صح ، أفعل شيئا . . .

(يفتح آرى النافذة ، تائها ، يتدفق الصخب إلى الغرفة)

آرى : هيه ، أنتم يا من هناك ! .. أيه ! ..

زوى : لا يسمعون !

آرى : ينصرفـون .. يتركـون الميدان ويختـبئون . ألا ترين ؟ يطاردونهم على الجياد ، يطلقـون عليهم النار .. هيه ، لا تنصرفوا ! سوف يقتلونه !

(يكاد يبكى ، بينما يسمع صخب ووقع سنابك الجياد)

آرى : وجهه ملطخ بالدماء !

زوى : آرى ، الكلاب ! إنهم يطلقـون عليه الكلاب ، الكلاب كلها انقضت عليه ، تمزقه أربا أربا ...

آرى : ماعدت أرى شيئا .. لا أميز الأشياء.

زوى : إنها تفترسه !

آرى : ماعدت أرى شيئا . لا أميز الأشياء .

زوى : آرى ، ابتعـد ! ابتعـد من النافـذة .. ذلك الرجـل ذو الشعر المرسل ينظر إلينا ..

آرى : أجل . ينظر إلينا . رآنا ...

زوى : يشيـر للآخرين .. سـيأتون إلى هنا ، سيأتون ! ينظر الآخـرون إلينا بدورهم ! إنهم قادمـون .. آرى ، إنهم قادمون .. لا تصعدوا ، لا ... (تتراجع) . (آرى ، كما لو كان يفيق إلى نفسه ، ينظر فيما حوله)

زوى : يصعدون السلم .. سـيحطمون الباب .. (تتراجع) أنهم قادمون .. قادمون .. قادمون ...

آري : (يهجم على الباب . يسند إليها ظهره ، يصرخ مولولا) كلا ، كلا ، كلا !

زوي : (ماضية في التراجع كما لو كانت دمية آلية ، مادة ذراعيها أمامها كما لو كانت بذلك تحمي نفسها) .

زوي : كلا ، كلا ، كلا !

(تعلو موسيقات عسكرية منتصرة على صخب الجموع ، إلى أن تغطيها تماما . ولحظة أن تصل الموسيقى إلى أعلى قممها تنقطع فجأة . ويعم الظلام) .

ستار

انجلوس تيرزاكيس

السيد المطاع

الشخصيات

- لامبروس بيليكاس
- مارينا
- مانوس
- زمارو
- صوت براكاس

* في ضيعة بيليكاس
* الوقت الحاضـــــر

(غرفـة نوم. رحيبة ، ثمينة الأثاث . يبدو عليها ذلك الرخاء الـذى تميزت به بيوت أثـرياء الأقاليم فـيما مـضى . السرير إلى اليـمين عريـض ومزدوج . إلى اليسـار المدفأة ثم بـاب وفى الأغوار نافـذة عريضة وإلـى جوارها باب شـرفة . الضلفتان الخشبيتان مغلقـتان . الوقت ليل . ومن فتحات النافـذة وباب الشرفة يتسلل ضوء القمر . المسرح معتم وخال .

تمضى بضع لحظات . ثم يسمع قفل الباب الصـدىء يئن بصعوبة . يفتح الباب ببطء وتردد، ومع حـركة الانفـتاح يسـقط على خشـبة المسـرح ضوء مـصباح أصفر. نرى الآن غرفة ظلت مغلقة منذ أمد ، ربما سنوات عديدة، التراب يغطى الارجاء والساعة الموضوعة على منضدة صـغيرة قد توقفت عقاربها . كل ذلك يظهر أن الغرفة قد ظلت مـهجورة . ومع ذلك فكل شىء على غاية من النظام . كل قطعة من الأثاث فى مكانها والسرير مرتب الغطاء .

تدخل زمارو ، الخادمة العـجوز ، ممسكة بالمصباح عالياً ، ويدخل مـعها مانوس وهو شـاب فى العشـرين من عمـره تقريبـاً ، هزيل وتبدو عليـه دلائل المرض . يسيران على أطراف أصابعهما وقد كتمـا أنفاسهما . يتوقفان ما أن يخطوا إلى الداخل بضع خطوات .)

مـــانوس : (هامسـا ، وقد تغشـاه خوف مبهم وانتابه حزن ورعـشة) إذن . . . هى هنا .

زمـــارو : (بذات اللهجة تقريبا) هى هنا . (برهة صمت)

مـــانوس : (وقد جال ببصره فيما حوله) أجل . . . أذكره . . . السرير . . الدولاب . . . الساعة . . . متوقفة . أليس كذلك ؟

زمـــارو : متوقفه . لم يدخل أحد هنا منذ أحد عشر عاما .

مـــانوس : متوقفة . وعلى أى وقت ؟ . . . الشانية عشرة الا ربعا (يزداد صوته انخفاضا ، وبعناء) أكان هذا هو الوقت ؟

زمـــارو : أى وقت ؟

مـــانوس : عندما . . . لفظت أنفاسها .

زمـــارو : كـلا . كان الوقت يقـتـرب من الحـادية عشـرة . لكن الساعة مضت تعمل بعد ذلك .

مـــانوس : هاهى . . هاهى . . المرآة ! إنى اذكرهـا واقفة أمامـها، تمشط شعرها . أكانت فارعة القامة ، أيه ؟

زمـــارو : هم . . . كلا ، متوسطة .

مـــانوس : أذكرها طويلة . كنت صغيرا . لكن . . كان لها ذراعان أبيضـان ، ناصعـا البياض ، وشـعرها أسـود ، حالك السواد .

زمـــارو : أجل ، هكذا كانت . وأنت كم تشبهها !

مـــانوس : كلا ، كانت جميلة. أذكر ذلك . (برهة صمت قصيرة) آه ، هاهى الشرفـة ! منهـا كنت أشاهـد الحقـول . كانت بعد أن تفـرغ من إلباسى ثيابـى ، تطلب منى أن أخرج إلى الشـرفة حـتى ترتب شـعرها هى الأخـرى . كنت أجرى وأرى حبات الزيتـون ، وسنابل القمح ، والجبال البعيدة . .

زمـــارو : هيه ، فلننصرف الآن ، بسلام .

مـــانوس : كنت اسمعـها تغنى فى الغرفة بصوت خـفيض . كانت تغنى دائما بصوت خفيض وهى تمشط شعرها .

زمـــــارو : كيف تذكرها وقد مضى كل ذلك الوقت الطويل! (تجفف دمعة وهى تمضى منصرفة).

مـــــانوس : (يتقدم إلى الأمام خطوة، ويجيل ببصره حوله فى نشوة روحية. يهمس بصوت خفيض يكاد لا يسمعه غيره) أماه ! . . . .

زمـــــارو : فلننصرف الآن . ضوءالصباح يبين من ثنايا خشب النافذة ، مهما كان خفيضا . ولورآنا السيد . . .

مـــــانوس : (الذى لم يسمع ما قيل. بعاطفة متأججة) تعالى ، نفتح باب الشرفة يازمارو!

زمـــــارو : (وقد استبد بها الخوف) باب الشرفة؟! أتمزح يا مهجة قلبى؟! السيد يجلس تحت فى الفناء مع زوجى. هل تريد أن يشنقنا، أنا وهو؟

مـــــانوس : (وقد انتابه انزعاج مفاجىء) هل أبى تحت؟

زمـــــارو : بالطبع هو تحت، يسوى الحساب مع زوجى. أن براكاس يقدم له تقريرا عما أصاب الزيتون من جفاف . كان المحصول هذا العام ضئيلاً ، ومنذ أيام يخشى زوجى هذه اللحظة .

مـــــانوس : (يرهف السمع) أجل . . . أصواتهما مسموعة .

زمـــــارو : السيد صارم . لا يتقبل أعذارا. أنت تعرفه .

مـــــانوس : خفِّضى ضوء المصباح أكثر من ذلك . (يخفضه بنفسه)

زمـــــارو : لن يجدى ذلك شيئا. أقول لك من الأفضل أن ننصرف. هل تصورت ما الذى سيصيبنى ، أنا المرأة المسكينة ، لو دار بخلد أبيك أننى قد فتحت لك هذه

الغرفـة ؟ هل تعرف ماذا يعنى أحـد عشر عامـاً ؟ أحد عشر عـاماً كاملة لم يأت بك إلى الضيعـة ، بينما كنتم ذات يوم تقضون هنا الصيف كله . . . هل تعرف لماذا ؟

مـــانوس : لماذا ؟

زمـــارو : حتى لا تطلب أن تدخل هذه الغـرفة . ها أن أقول لك السبب ، طالما أنك لا تعرفه !

مـــانوس : إذن . . . كان من الأفضل أن يبيع البيت . فما الجدوى أن يكون ملكنا ولا نجيء إليه ؟

زمـــارو : ليس السيد من أولئك الذين يبيعون أملاكهـم . إنه يعشق ملكية الضياع .

مـــانوس : ها هو صوته ، صوته يعلو .

زمـــارو : يالكارثتى وخراب بيتى ! (تهم بالمضى إلى الباب)

مـــانوس : انتظرى ، فقد سكت .

زمـــارو : فلننصرف ، بربك ! فلننصرف .

مـــانوس : (متوسلا) لم العجلة . . طالما أقول لك أنه قد سكت ؟! ثم من يدرى ، لو كنت سأرى هذه الغرفة مرة أخرى ، ومـتى ؟! . تعـرفين أننى جئـت وليس فى قلبى طوال الطريق سوى هذه اللهفة الخفية ؟

زمـــارو : أعرف ذلك . أنت إنسان مختلف عنه ، يا مهجة قلبى . أنت تشبه المرحومة .

مـــانوس : تعتقدين ذلك ؟

زمـــــارو : اجل . أذكرها - طيب الله ثـراها - واذكركم بكت عند ما قرر السيد أن يزوجنى إلى ناظر عزبته براكاس .

مـــــانوس : لم تكن تريدينه ، أنت ؟

زمـــــارو : كلا ، يا مهجة قلبى . لا أنكر أنه رجل شريف ، لكنه نزق شديد الغـضب عنيد . كيف أعـبر لك عن ذلك ؟ وهو قاس ، قلبه مثل الصخر أيضا .

مـــــانوس : لكن ماذا كان موقف أبى من زواجك ؟

زمـــــارو : قال «فلتكف الدموع» «لقد قررت» هذا ما قاله .

مـــــانوس : إذن . . (يتنهد) فلننصرف . (نظرة أخيرة على ما حوله) السرير . . . الدولاب . . . الساعة . . . لن تـدور الساعة أبدا . . . فلننصرف ، الا زال بالدولاب شىء من فساتينها ؟

زمـــــارو : لابد أن به فساتينها . فلم يفتحه أحد منذ ذلك الحين .

مـــــانوس : هذا أحسن ، أحسن . . .

زمـــــارو : فلننصرف الآن . حان وقت العشاء .

مـــــانوس : (وقد مضى يجيل بصره فيما حوله) آخ ! لازال الوقت مبكراً . . .

زمـــــارو : كلا ، كلا . أقول لـك فلننصرف . ربما أتى إليكم بعد العشاء ضيف أيضا .

مـــــانوس : ضيف ، هنا ، فى الريف ؟

زمـــــارو : بجوارنا . السيدة مارينا فتـحت بيتها منذ بضعة أيام . أنها على الدوام أول من يحضر إلى هنا . .

مـــــانوس : مارينا . . . أجل . . . أذكر هذا الاسم . صـبية حسناء مع أمها العجوز . . .

زمــــــارو : الأم مــاتت . أما مــارينا فلم تنــل السنين من جــمالهــا كثيرا.

مــــانوس : كانت تنــاديني أحيانا ، فى الــصباح ، من شــرفتــها . وكانت تضحك ، دائما تضحك . لابد أنها قد تزوجت الآن ، أية ؟ . . . بعد أحد عشر عاماً ! . . .

زمــــــارو : كلا . ظلت دون زواج . هيا بنا .

مــــانوس : هيا .

لامبروس بيليكاس : (داخلا على حين غرة) لحظة واحدة !

زمــــــارو : يا أيها السيد المسيح ! (يكاد المصباح أن يقع من يدها)

بيــليـكاس : (بابتسامة رضاء) مهلك . . . انتبهى إلى المصباح !

(صمت جليدى . بيليكاس رجل فى العقد الخامس من عمره ، شعره وخطه الشيب . يتقدم على المسرح ثم يقف دون أن يتلفت حوله . يستدير إلى ابنه الذى لا يرفع عينيه نحوه)

زمــــــارو : (وضعت المصباح جانبا وشبكت أصابعها) سامحنى أيها السيد !

بيــليـكاس : (إلى ابنه ، مشير إليها) أناس مخلصون ! . . . وكنت أقول أن عندى أناسا مخلصين ! (يبتسم ، ولكن سورة غضبه بادية) .

زمــــــارو : سـيـدى، أذنبت . . . ليس الذنــب ذنب الولد . . . أنا الذى فتحت له .

مــــانوس : أبى ! . . .

بيــليـكاس : اسكت ! (إلى زمارو) اخرجى . . انزلى وقــابلى براكاس وقولى له : (فتحت لابن السيد الغرفة المغلقة . الغرفة التى كان قد حرمها علينا) قولى له هذا ، وهو يعرف ماذا سيفعل .

زمـــــارو : (مرتعشة) لزوجي ؟ أقول ذلك لزوجى ؟!

بيـليـكاس : أجــل ، براكاس مخلص . وهــو أيضا رجــل ، يعرف ما يجب أن يفعل . اذهبى .

زمـــــارو : (ترسم علامة الصليب) يا أيها السيد المسيح! (تنصرف منهارة) .

بيـليـكاس : (بعد برهة صمت ، ينظر إلى ابنه مبتسما . هادىء الصوت) إذن ، كنت تريد أن تراها .

مـــانوس : (بصوت خائر) أجل .

بيـليـكاس : (يستجوبه بصوت خال من التأثر ، وقد بدا عليه عدم الاكتراث) هل انتابتك هذه الرغبة فجــأة ، أم كنت مـن الأصــل تريد ذلك ؟

مـــانوس : من الأصل كنت أريد ذلك .

بيـليـكاس : هل مضى وقت طويل على دخولكما الغرفة ؟

مـــانوس : كلا .

بيـليـكاس : و . . . كيف وجدتها ؟ أكنت تذكرها ؟

مـــانوس : كنت أذكرها .

بيـليـكاس : (يجلس) يهـمنى أن أعـرف انطبـاعك : مـا الذى كنت تذكره ، كيف كانت تبدو لك فى أحلامك - إنك كنت تحلم بها ولاشك . . .

مـــانوس : أجل ، كنت أحلم بها .

بيـليـكاس : فى أحلامك ، هل كـانت تبدو لك أفضل مما وجـدتها عليه ، أم أسوأ ؟ أكبر أم أصغر ؟

مـــانوس : (جائلا النظر فيما حوله) اكبر . . ولكن ليس بهذا الجمال.

بيليكاس : (مقطبا) آه . . .

مانوس : اقصد . . . لم أكن أتصورها حية إلى هذا الحد .

بيليكاس : (ساخرا) حية . . أهكذا تصف غرفة امرأة ميتة !

مانوس : بالنسبة لى ، هى ليست ميتة .

بيليكاس : (فجأة ، يخبط بيده ، رافعا صوته) كلام سخيف ! سخيف ! إذ يصدر من ابن بيليكاس .

مانوس : صدقنى ، لم أعرف أننى سأغضبك .

بيليكاس : (الذى يخطو بضع خطوات . بهدوء ولكنه هدوء متكلف) حسنا ، حسنا ، لم تغضبنى . . أسأت الفهم فحسب . أجلس (يضع يديه على كتفيه) .

مانوس : (منزعجا) أجلس ؟

بيليكاس : أجل .

مانوس : هنا ، فى هذه الغرفة ؟

بيليكاس : ولم لا ؟ أنها غرفة مثل سائر الغرف الأخرى . وأريد أن نتكلم .

مانوس : نحن الاثنان ؟

بيليكاس : (ابتسامة مضيئة) نحن ، طبعا ! السنا أبا وابنا ؟

مانوس : نحن كذلك .

بيليكاس : وماعدت أعتبرك صبيا الآن . يجب أن تعرف ذلك . لقد تجاوزت العشرين . إذن ، فأنت رجل !

مانوس : (يجلس)

بيليكاس : هكذا ، حسنا . لكن الضوء هنا جد معتم . ولا تعجبنى الأضواء المعتمة . كما أن هذا المصباح يتصاعد منه الدخان . (يصلحه) الأفضل أن أفتح الضلفة الخشبية . هناك قمر بالخارج . (يذرع المسرح ويفتح النافذة) حسنا ، انظر هذا الضوء ! كأننا بالنهار . (يفتح باب الشرفة أيضا) ليلة صافية ، وضاءة النجوم . هذا أفضل . سيكون الجو غدا جميلا للصيد . (من باب الشرفة ، يطل مناديا) براكاس !

صوت رجل: (من الخارج) أجل ، يا سيدى .

بيليكاس : لاتنس أن توقظنى قبيل الفجر .

الصوت : حسنا ، يا سيدى .

بيليكاس : ونظف البنادق . لا أريد أن تطيش منى طلقة واحدة ! سأكون رائق المزاج غدا .

الصوت : إنى أنظفها ، يا سيدى .

بيليكاس : (تاركا باب الشرفة مفتوحا ، إلى مانوس) فليدخل هنا بعض الهواء حتى ينقى الجو . (نازلا) سوف تأتى غدا معى ، للصيد ؟

مانوس : لا أعرف .

بيليكاس : لا تقل لا أعرف . إما أجل وإما لا . هكذا يجيب الرجال .

مانوس : إذن ، كلا .

بيليكاس : (مبتسما) أفزعتك مرة أخرى ، أراهن على ذلك . لكن هذه طبيعة صوتى. فلا يجب أن تفزع . (برقة) والآن ، هل أصارحك بشىء ؟ وددت كثيرا أن تأتى غدا إلى الصيد .

مـــــانوس : ماذا أفعل ، يا أبى . ليس الذنب ذنبى .

بيـليـكاس : ماذا يعنى هذا الكلام ؟

مـــــانوس : لا يعجبنى الصيد . هذا هو الأمر .

بيـليـكاس : (غير راض . بجفاء) حسنا . فلننتقل إلى موضوع آخر . (برهة من الارتباك . ثم يقول) قلت لك من قبل أننـى سأتكلم إليك كـرجـل يتكلم إلى رجل . إذن ، بـاخـتـصـار : إن مستقبلك يقلقنى .

مـــــانوس : مستقبلى ؟

بيـليـكاس : لم تفكر فى الأمر بعـد . وإنى لأعجب من ذلك . ربما كنت تتـغـافل ، أو ربما كنت تعـتـمـد على الثـروة التى سأخلفها لك مستقبلا .

مـــــانوس : لم تدر بخلدى أفكار من هذا القبيل قط ؟

بيـليـكاس : ومع ذلك يجب أن تفكر فى الأمر ! هذه هى المشكلة . ما دام لا يفكر المرء فى أمر ، فهذا يعنى أن هذا الأمر لا يشغله . أنت تعرف أنك ستـجد ثروة بانتظارك ، ولهذا فـإنك لا تفكر فى شىء . ومع ذلك ، فـقد جـاهدت بكل الطرق منذ أن كنت صغـيرا، كى أفسـد عليك مثل هذا التفكير . أردتك رجلا مقـداما مكافحا فى الحياة ، تبنى وحـدك دعـائمك ، مـثلمـا كنت أنا . أردتك أن تكون ابنا لبيليكاس حقا .

مـــــانوس : إنى سأعمل .

بيليكاس : ستعمل ، ستعمل ! أعرفك أنك ستعمل . لكن المسألة هي كيف . أن النملة بدورها تعمل . لكنى لا أريدك نملة. هل رأيتنى ؟ أنى أشدد قبضتى فيشعر بى الجميع . أمضى فى المقدمة فيتبعنى الآخرون . هذا هو السر فى الحياة : ألا تكون واحدا من كثيرين ، بل أن تكون الواحد المتفرد .

مانوس : هذا . . . ليس بإمكان أى واحد .

بيليكاس : (بحماس) لكن أنت لست أى واحد ! لا أريد أن تكون أى واحد . أنت ابن لامبروس بيليكاس . إفهم ذلك جيداً !

مانوس : سأبذل قصارى جهدى .

بيليكاس : (يطبق قبضتيه) إننى إزاء كلامك هذا وفتورك ، كأننى أسمع أمك .

مانوس : (يجيل النظر فيما حوله) أمى ! . . .

بيليكاس : هذا الطبع بالنسبة لأمك كان يناسبها ، فقد كانت امرأة . وربما كان هذا خصلتها الحميدة الوحيدة . ولكن أنت ، أنت ابنى! . . . (يضعه خطوات) حسنا. ربما كان الجو هنا فى هذه الغرفة هو الذى لا يناسبك . أراك تنظر فيما حولك مرتعبا ، وتخفض صوتك (ابتسامة ساخرة) غرفة امرأة ميتة ، أيه ؟ لكننى كنت أريدك حتى هنا فى هذه الغرفة رجلا ، بل وهنا على الأخص . وإنى تعمدت أن أبقيك هنا . أردت أن أشفيك من مخافك .

ولو كان بإمكانى لأخذتك أيضا إلى المقابر لتمضى الليل فيها . إن تنفتح جراحك وينزف منها الدم الأسود ، ويتخفف قلبك . ويصبح طائرا خفاق الجناحين مثل قلبى !

مانوس : أبى . . . ربما حان الوقت لأن ننزل العشاء سيبرد .

بيليكاس : أهذا ما لديك أن تقوله لى ؟ حسنا . إنى إلى الرعد أتكلم . دائما كنت أخشى هذا . أنت روح نسائية . ياللعنة ! . . . (يمضى بضع خطوات . وأمام باب الشرفة يقف . يطل إلى تحت) : يا براكاس ! مع من تتحدث ؟

صوت براكاس: جاء إليك ضيوف ، يا سيدى .

بيليكاس : ضيوف ؟ من ؟

صوت براكاس: السيدة مارينا ، جارتنا .

بيليكاس : (مغتبطا) مارينا ؟ حسنا . سأنزل (يعود إلى الداخل) هيا بنا الآن . مرة أخرى ، سنعاود الحديث فى الموضوع .

مانوس : (ينهض ، بينما يمضى أبوه إلى الباب ويهم بالخروج) لحظة واحدة ، يا أبى .

بيليكاس : ماذا تريد ؟

مانوس : هل . . . يضايقك أن أطلب منك طلبا ؟

بيليكاس : أى طلب ؟

مانوس : هناك فى ذلك الدولاب، لازالت توجد على ما أعتقد بعض الأشياء المتعلقة بأمى . . .

بيليكاس : لا أعرف . وماذا تطلب إذن ؟

مانوس : هل . . . تستاء لو . . . أخذت شيئا من متعلقاتها ؟

بيليكاس : وماذا ستفعل بما تأخذ ؟
مانوس : لاشيء . . سأحتفظ به تذكاراً !
بيليكاس : (بينما يدقق النظر فيه جيداً) إيه ، ياللعقل المريض ، وكم من سخافات تصدر عنه ! تذكار ، إيه ، أهنتك يا فتى ، كبر جسمك ، وصرت رجلا ، ولازلت على أفكارك الصبيانية ! . . .
مانوس : (مخفضا عينيه) لا أعرف . . لا أستطيع أن أقول لك . . ليس بمقدروك أن تفهم .
بيليكاس : (يقترب منه . وجها لوجه) أن أفهم ؟ ما الذى يجب على أن أفهمه ، ياولد ! أتعتقد أننى لا أعرف ماذا تحيك من أفكار بداخلك ؟ تقول لنفسك «أعرف كيف أحب ، أما أنت فلا تعرف . أنت لم تحب أمى قط» .
مانوس : لم أقل هذا .
بيليكاس : وهذا هو السيء فى الأمر ! لم تقله ! لو كنت قد قلته لكنت رجلا ابن رجل ، لكنت ابنى . ولكنك تفكر ، وتدع الفكرة تغلى بداخلك ، فحسب . وهذا ما أتقزز منه !
مانوس : سامحنى .
بيليكاس : كلا . إنى لا أسامحك . لا أسامحك ، لأننى كنت أود أن تجاهر بافكارك ، وعندئذ كنت سأقول لك بدورى إنك مخطىء إذ تعتقد أننى لم أحب أمك . أحببتها قدر ما أعرف كيف أحب ، دون نحيب ودون ثرثرة ،

أحبـبتها كـرجل ! أحبيـتها كـما يجب أن يحب الرجل امرأة : أحببتها مدركا لقوتي محوطا إياها برعايتي !

مـــانوس : ربما كنت تشفق عليها فحسب .

بيـليـكاس : هراء ! كنت أشفق عليـها بطبيعة الحـال . المرأة مخلوق ضعيف . ويجب أن تكون مـخلوقا ضعيفـا . وإلاً فما المعنى من وجود الرجل ؟ ولا يجـدر أن تقف في حياته عقبة ، حيـة كانت أو ميتة ! (ضحكة مارينا في الخارج تخترق الليل وتتدحرج صافية رقراقة) .

مـــانوس : لم تقف أمي عقبة في طريقك .

بيـليـكاس : ولهذا أحببتها . هيا بنا !

مـــانوس : وثمة شيء آخر . . .

بيـليـكاس : ما هو أيضا ؟

مـــانوس : إلى هذه الغـرفة ، هنا ، لم تأت بي زمـارو . أنا الذي أكرهتها على ذلك .

بيـليـكاس : لا يعنيني هذا .

مـــانوس : كـلا ، يجب أن أقـول لك . . . إنهـا لـم تكن تريد . اضطررتها إلى المجيء ، رغمًا عنها .

بيـليـكاس : قلت لك ، لا يعنيني هذا .

مـــانوس : لا يجب أن تعاقبها ، يا أبي .

(طلقة في البستان ، وصرخة)

مـــانوس : (وقد سرت البرودة في عظامه) ما هذا ؟

بيليكاس : (وقد بدا عليه قليل من الاضطراب) طلقة بندقية . لابد أن براكاس يجرب البندقية المزدوجة الطلقات (يمضى إلى باب الشرفة ويطل منها) . ماذا يجرى هناك ؟

صوت براكاس : لاشىء ، لا شىء ، يا سيدى . مجرد خطأ .

بيليكاس : هل أصيب أحد ؟

صوت براكاس : كلا .

مانوس : (مرتعشا) ثمة من يبكى . . .

بيليكاس : (صوب الخارج) من الذى يبكى؟

صوت براكاس : لا أحد . أنها زمارو .

بيليكاس : ولماذا تبكى ؟

صوت براكاس: فزعت . مسها رشاش من طلقات البندقية .

مانوس : آخ ، إنه أصابها !

بيليكاس : اسكت . كفى هراء .

مانوس : (يطل خارجا) زمارو ! كلمينى ! . . . هل أصبت ؟

صوت زمارو : (منتحبة) كلا ، يا سيدى . مجرد جرح فى الساق .

صوت براكاس : خدش . مجرد خدش (يقهقه ضاحكا)

مانوس : يا إلهى ، يا إلهى . سأذهب لأراها . (يندفع خارجا من جهة اليسار) .

بيليكاس : (ينظر إليه وهو يمضى خارجا . يهز رأسه . ثم يدخل بخطى وئيدة ، يغلق الضلف الخشبية لباب الشرفة . يضىء المسرح الآن نور المصباح والقمر الوافد من النافذة . فى هذه الأثناء تدخل من اليسار بلاجلية امرأة تقف بالقرب من الباب وتمضى ناظرة إلى بيليكاس . يستدير فيراها . بشراسة :) من هناك؟ (صمت . يدقق النظر إليها . ويقترب منها خطوة) من هناك ؟

مـــــارينـا : (تلقى الوشاح من على رأسها) .
بيـليـكاس : (وقد أضاء وجهه) مارينا ! . . .
مـــــارينـا : أجل ، أنا . لم تتعرف على ، من أول نظرة .
بيـليـكاس : كانت عيناى مبهورتين بضوء القمر . ثم إن الانتقال إلى هذه الظلمة هنا فجأة . . .
مـــــارينـا : الظلمة وفوات السنين .
بيـليـكاس : السنين . . كلا ! ماذا تعنى ثمانى أو عشر سنوات !
مـــــارينـا : إنها إحدى عشرة سنة .
بيـليـكاس : فتلكن إحدى عشرة ! من كان مثلك لا يصبح عجوزا ، يا مارينا . ولا من كان مثلى . . لكن كيف صعدت إلى هنا؟ ليس هذا بالمكان المناسب . فلننزل .
مـــــارينـا : صعدت لأقول لك عن زمارو . أصابها براكاس بجراح .
بيـليـكاس : أصابها ؟ هذه دعابة ! منذ هنيهة سألتها ، فقالت . . .
مـــــارينـا : أصابها فى ساقها .
بيـليـكاس : خطأ . كـان يجرب البندقـية ذات الطلقـات المزدوجة . أتعرفين ؟ أريد أن أخرج غـدا للصيد ، لأستعـيد قليلا من الأيام الخوالى .
مـــــارينـا : أنت ، تستعد الأيام الخوالى ؟ . . .
بيـليـكاس : (ضاحكا) أجل . لماذا ؟ يبدو لك الأمر غريبا ؟
مـــــارينـا : رأيت ابنك .
بيـليـكاس : (مكتئبا) آه !
مـــــارينـا : أنه لا يشبهك .

بيليكاس : (مجفلا) وكيف تعرفين ذلك ؟

مارينا : أريد أن أقول ملامح وجهه لا تشبه ملامحك .

بيليكاس : ملامح الوجه لا تعنينى ، كثيراً ، كما تعرفين . ولكن متى سنحت لك فرصة رؤيته ؟ . . . إنه كان هنا فى هذه الغرفة منذ لحظة .

مارينا : التقينا عند الباب الخارجى . بينما كنت قادمة كان هو يمضى خارجا . رأيته برهة فى ضوء القمر . كان أشعث الشعر مضطربا ، نظرته معتمة ، وكان يجرى .

بيليكاس : أجل ، سمع طلقة البندقية وتملكه الجزع من أجل زمارو. إنه عاطفى بعض الشىء . وهذا لا يعجبنى .

مارينا : رأيته برهة قصيرة ، وخيل لى أننى أرى هيلينى .

بيليكاس : على اسوأ الفروض ، ربما تشبه ملامحه ملامح أمه أيضا. ولكن ليس لهذا الأمر أهمية .

مارينا : كان لقاؤه مفاجأة لى ، حتى أننى بقيت - صدقنى - لحظة فاقدة النطق ، كما لو كنت أرى هيلينى عند باب غرفة المائدة . اتذكر ؟

بيليكاس : (بجفاء) هيا ، هيا !

مارينا : ارتسم على وجهه ذات التعبير . . تعبير الهلع والألم . . .

بيليكاس : أوف ، حسنا !

مارينا : الذى ارتسم على وجه هيلينى عندما فتحت الباب فجأة وبغتت بوجودى بين ذراعيك .

(صمت)

بيليكاس : (الذى جال فى ارجاء الغرفة دورة أودورتين) حسنا . دعك من ذلك الآن . أنى لأدهش من تلذذك باسترجاع مثل هذه الذكريات ! . . .

مارينا : آه ، تعرف ، أننى لا أحب أبدا أن أتذكر الماضى . لست من تلك النسوة اللاتى يعشقن ذلك . . لكن فى بعض الأحيان ، رغما عن إرادة المرء . . . ثم لا تنظر إلى نفسك . أنت سافرت وغيرت أجواء وبيئات ومعارف وطرائق حياة . أما أنا فبقيت هنا وانحصرت فى إطار الحياة ذاتها التى كنت أعيشها من قبل . أحد عشر عاما وحياتى على وتيرة واحدة .

بيليكاس : (سائرا) فى النهاية ، وحدك أردت ذلك . كان باستطاعتك أن تتزوجى أفضل زواج .

مارينا : (تنظر إليه بطرف عينها وإن كان صوتها قد أحكم كى ينم عن عدم الاكتراث). أجل ، هذا يجب أن يقال .

بيليكاس : (متوقفا عن السير) إذن ، ماذا تقولين ؟ هل ننزل الآن ؟

مارينا : ننزل ؟ هل ثمة ما يدعوك إلى العجلة ؟

بيليكاس : كلا . ولكن . . هل تجدين هذا المكان جميلا لنتجاذب فيه أطراف الحديث ؟

مارينا : (تثبت نظراتها فى عينيه) هل تجده أنت قبيحا ؟

بيليكاس : يعنى . . . (مقطبا جبينه فجأة) ماذا تقصدين ؟ هل مر بخاطرك . . أننى خائف ؟ (ضحكة عالية) .

مارينا : لم أقل ذلك . . .

بيليكاس : من المضحك على أى حال أن تكونى قد فكرت فى ذلك . لا أنكر أن أحد عشر عامـا شىء لا يستهان به ، ولكنها ليست بالكافية أن ينسى لامبروس بيليكاس أحداً ! إيه ، مـارينا ! . . . لم يرهب بيليكاس الأحياء قط ، فـهل يخاف الآن من الأشباح ؟!

مـارينا : وهل تستطيع أن تصارع الأشباح ، أنت ؟ باستطاعتك أن تتصرف مع الرجل الحى التصرف الذى يناسب المقام، وأن تحمله على الركوع لك .

بيليكاس : (يقف امامها) كما لو كنت لا أعرفك ، يا مارينا . كما لو كنت قد تغيرت عن ذلك قبل .

مـارينا : تعتقد ذلك؟

بيليكاس : لست متأكدا .

مـارينا : وددت أن تفكر ، مـن الأقـوى منا نحـن الاثنين ؟ أنت الذى رحلت ، أم أنا التى بقيت ؟

بيليكاس : إنى لم أرحل هاربا - أعرف مـاذا تريدين أن تقولى ! - رحلت لأن ثمة حياة أكثر رحـابة كانت تدعونى إليها . كانت لدى طاقات جيـاشة بداخلى ، رسالة على الوفاء بها ، نداء يشـدنى إليه . كان على أن أحـقق ما خلقت من أجله .

مـارينا : أن تصبح قويا ، يشار إليك بالبنان ، مـسموع الكلمة . . أن تظفـر بالثراء والسلطة . . هذا هو النداء الـذى شدك إليه .

بيليكاس : هل تذكرين ؟ كانت هذه مبادئى . كنت أنت أيضا تحبينها وتدفعيننى إلى تحقيقها .

مارينا : وبقيت أنا أجتر الماضى .

بيليكاس : سوف يكون غريبا أن تتهميننى الآن . لم تكن مصائرنا معقودة بعضها ببعض . كان لك طريقك ، وكان لى طريقى . ولم يكن الطريقان يسيران متحاذيين .

مارينا : لقد أردتهما أنت غير متحاذيين !

بيليكاس : (بحمية) ذات الشىء من جديد ؟ ذات الشىء من جديد ؟ تكلمنا فى هذا الأمر العديد من المرات ، مللت من تكرار ما قلته لك . مضت أحد عشر عاما ، لكننى لم أنس ما قلت . رفيقة لروحى أحس بك يا مارينا ، لأنك تشبهيننى . إن روحك قد انتشت بنفسها ، مثل روحى التى انتشت بنفسها أيضا . رفيقة لحياتى أحس بك ! أنت تشبهيننى أكثر مما كان يجب .

مارينا : هل كان ذلك شعورك منذ أن كنت أعزب ؟

بيليكاس : منذ ذلك الحين ، ولاشك .

مارينا : ولم يجعلك الزواج تغير من رأيك ؟

بيليكاس : كلا .

مارينا : ولهذا أيضًا فقد ظللت رفيقة روحك حتى بعد زواجك . رفيقة وفية ، ألم أكن يالامبروس ؟ لم أحمل لك ضغنا من أجل إقصائك لى .

بيليكاس : أى إقصاء لك ! طالما شرحت لك الأمر ، شرحته لك برجولة . هل تنسين ذلك الآن ؟

مارينا : كلا ، إننى لا أنسى أبدا . وها هو الدليل على ذلك !

بيليكاس : ماذا ؟

مارينا : ها أنا ذا . هل تزحزحت قيد أنملة ؟ هل خطوت خطوة أبعد من مصيرى الذى شققته لى ؟ بقيت وفية ليس لصحبتك فحسب بل ولذكراك أيضا . لم أتزوج.

بيليكاس : (يساوره الشك) أمن أجل ذلك لم تتزوجى ؟

مارينا : (ساخرة) ألم تكن تعرف ؟!

بيليكاس : كلا ، ولكننى . . . كنت أقول . . .

مارينا : أنه لم يكن باستطاعتى ذلك !

بيليكاس : لم أقل شيئا مثل هذا . بالطبع كنت تستطيعين . ولكن أقول لك الحق ، كنت أعرف طبعك . . كنت على الدوام صعبة الإرضاء ، امرأة - كيف يمكن أن نقول ذلك - صعبة المراس ! . . .

مارينا : متعبة .

بيليكاس : (ضاحكا) قليلا . . . (صمت)

مارينا : (تجلس) إذن ، فهذا ما كنت تعتقده . . . وإنى فى الحق مشوقة لأن أعرف : هل لازلت تعتقد ذلك فى ، إلى الآن ؟

بيليكاس : لا أعرف . لم أفكر فى الأمر .

مـــــارينـا : بالطبع ، سوف كان الأمر يبدو غريبا لو كنت قد فكرت. أكانت ثمة أشياء كثيـرة استحوذت على اهتمامك ، وأنت فى زحمة صعودك إلى القمة ، يا لامبروس ؟

بيـليـكاس : أجل ، أعـترف بأنه كـان ثمـة أشيـاء كـثيـرة . طوال سنوات، خـمس، أو ست ، أو ربما سبع ، عـشت فى حالة من الحمى المتصلة .

مـــــارينـا : أنت قوى واسع الثراء.

بيـليـكاس : واسع الثراء ، وعلىَّ أن أفى ، بصـلاحياتى . لست نكرة من النكرات بل متفـرد الشخصيـة أنا . أفرض سيطرتى فيحس الجميع بوجودى . وإن تصادف أن تخلفت افتقدوا مكانى . ألا تعتقدين أن هذا شيئ جدير بالاعتبار؟

مـــــارينـا : بالطبع هذا على الأخص حلمك . وهو ليس بالأمر القليل .

بيـليـكاس : ماذا يعنى ذلك ؟

مـــــارينـا : أن يحقق كل امرىء حلمه .

بيـليـكاس : أصبت القول .

مـــــانوس : (داخلا من اليسار) أبى . . . (يرى مارينا) أوه ! معذرة . . .

بيـليـكاس : (بكياسة) تعال ، تـعال ، ماذا تريد ؟ لا تـخجل ، ألا تذكر السيدة ؟

مـــــارينـا : (تنهض مرحبة به) أنا مارينا . عندما كنت صغيرا كنت أومئ إليك من شرفـتى كل صباح . وكنت تأتى إلى بسـتانى لتأكـل الفراولة . أنك لا تذكـر بالطبع ، ليس بإمكانك أن تذكر .

مـــانوس : كيف ! أذكر .

مـــارينـا : حقا ؟

بيـليـكاس : والآن ، فيما كنت تريدنى ؟

مـــانوس : أرجو معذرتى ، فلم أكن أعرف .. رأيت أنك تأخرت فى النزول فجئت أسألك .

بيـليـكاس : حسنا ، اذهب .. سأحضر حالا ..

(يخرج مانوس . تتابعه مارينا بنظراتها)

مـــارينـا : حقا ، إنه يشبهها .

بيـليـكاس : (باصرار) لا أعرف ، هذا ما سوف نرى .

مـــارينـا : آه ..

بيـليـكاس : (مكتئبا) لم أفقد كل أمل بعد . سأواصل جهادى . وربما فى النهاية ، كسبته .

مـــارينـا : معنى هذا أنك لست واثقا تماماً ...

بيـليـكاس : بل أنى لكذلك ، يجب أن أكون كذلك ! ألا تعتقدين ؟ أليس صحيحا أن الابن يشب على شاكلة أبيه ؟ إنه ولى عهدى الطبيعى .

مـــارينـا : مهما يكن ...

بيـليـكاس : إن به بعض نقاط الضعف ، ربما بسبب السن ، لا أنكر ذلك . (وقد ثارت ثائرته) اسمعى ! أتعرفين ماذا جاء يفعل الآن هنا ؟

مـــارينـا : ماذا ؟

بيليكاس : جاء يرى الغرفة من جديد ، غرفة أمه . كما لو كان ثمة ما يشده إليها !

مارينا : آه !

بيليكاس : لكن مهلك ، فقد عملت لكل شيء حسابا . أحد عشر عاما كاملة أقصيته بعيدا عن كل ما يذكره بها . طوال أحد عشر عاما لم آت به إلى هذا البيت .

مارينا : آه ، هذا هو السبب .

بيليكاس : أجل ، غيرنا من محل إقامتنا ، ومن الناس المحيطين بنا ، ومن عاداتنا . فى أثينا حيث عاش ، كانت الحياة أكثر رحابة وجرأة ، وليس لها زخم حياة الأقاليم المغلقة .

مارينا : ربما ، وجب ألا تأتى به إلى هنا ابدا .

بيليكاس : هذا ما كنت سأفعله ! ولكن صحته التى اعتلت . . .

مارينا : آه . . .

بيليكاس : أجل . ليس الأمر جد جسيم ، لحسن الحظ . مجرد خلل صغير فى الغدد . أوصى الأطباء بالإقامة فى الريف .

مارينا : أيه ، وهل اقتصر الريف على هنا ؟

بيليكاس : آه ، حقا ، ولكن مهلك . سوف ترين . فقد عملت على أن أجمع بين «المتعة والفائدة» وقد كان أسلوبى على الدوام ألا أترك شيئا يضيع ، فقررت فجأة أن آتى به إلى هنا كى أنتهى .

مارينا : وما الذى أردت أن تنتهى منه ؟

بيليكاس : أن أنتهى من ذكراه عن أمه . كنت أخشى وأرتاب من أننى كلما أقصيته عنها تماماً ، كلما كمن فى قلبه شىء مثل شجن ، أو أمنية غير متحققة ، أو ربما أيضا مجرد فضول يتحول مع الوقت إلى حنين .

مارينا : وبناء على ذلك ؟

بيليكاس : لم أكن مخطئا . فبداخله اختبأ ضعف من هذا القبيل. كنت قد أوصيت براكاس أن يغلق هذه الغرفة . ولكن الشيطان أراد أن يكون المفتاح فى حوزة زوجة براكاس. وهى التى فتحت له ، وإن كان الفتى والحق يقال قد لجأ بنفسه إلى إكراهها على ذلك .

مارينا : أيه ، هذا أفضل إذن ! هكذا ستعجل بالانتهاء من الأمر .

بيليكاس : (بقلق) أجل . لا أعرف .. ! أرجو ذلك .. لكن موقفه هذه الليلة لم يعجبنى، أعترف بذلك .

مارينا : خل عنك! إن ذكرى أمه بعيدة، حلم من أحلام الصبا. أما صورة الأب ، فعلى العكس من ذلك تماماً ، هى صورته الحية ، الماثلة أمامه يوميًا ، والتى ستملأه إعجابًا بها ، لأنه ولاشك معجب بك ومفتون .

بيليكاس : (متشائما) لست أدرى . . .

مارينا : (بحيوية) مستحيل ! لا تقل ذلك لأننى لا أسلم به . كيف لم تجبره على الإعجاب بك ؟

بيليكاس : أجبره ؟ وهل تعتقدين أن الإعجاب من تلك الأشياء التى يمكن أن تسقى بالقطارة ؟

مـــــارينـا : هذا ممكن بالنسبة للإعجاب . إن الحب وحده هو الشيء الذى لا يحمل عليه المرء جبرا .

بيـليـكاس : (بعنف ومصبية) آه ، هذه هى المسألة ! إننى لا أريد ابنى أن يعجب بى فحسب ، بل أريده أن يحبنى أيضا!

مـــــارينـا : (تنهض، بوقار) إذن ، انفض يدك من الأمـر ياالامبـروس بيليكاس . إنك خسرت اللعبة .

بيـليـكاس : (دهشا، ينهض واقفا) لماذا ؟

مـــــارينـا : لأن الحب ليس تحت إمرتك .

بيـليـكاس : (يضحك ضحكا أجوف) ليس حقا ؟

مـــــارينـا : كلا .

بيـليـكاس : أنت تقولين ذلك ؟

مـــــارينـا : أنا التى أعرف ذلك جيدا ، أعرفه أكثر من أى شيء آخر .

بيـليـكاس : معنى ذلك . . إنك تتعارضين مع نفسك . .

مـــــارينـا : ليس ثمـة تعـارض مع نفـسى . هـل خـيل إليك أننى أحبك؟

بيـليـكاس : أنت لا تحبيننى الآن ، ولكن فيما مضى .

مـــــارينـا : ولا فيما مضى .

بيـليـكاس : كيف ! (فجأة وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة) أعرف . . إنها ضغائنك القديمة . لقد ندمت على مافات .

مـــــارينـا : على الاطلاق . كنت فى التاسعة والعـشرين من عمرى أقرأ كتـاب نفسى جيدا ، وذلك قدر مـا أقرأه الآن وقد بلغت الأربعين . . إننى لم أحبك قط . لم أحبك قط !

بيليكاس : قط ، ومع ذلك فعلت كل ما بوسعك لتفرّقى بينى وبين هيلينى ، ومن أجلى بقيت عانسا.

مارينا : أنت تقول ذلك ، أما أنا فلا أقوله . وهل تعتقد أن المرأة تجاهد لتظفر برجل ؛ لأنها تحبه فحسب ؟

بيليكاس : كلا ، بالطبع . إنها تصارع أيضا اغتناما لفرصة ، لكن أنت أرفع من ذلك .

مارينا : إنها تجاهد من أجل متعة النصر أيضا . لقد أشرت أنت إلى ذلك منذ قليل، عندما قلت: «إن روحك يا مارينا ، متتشية بنفسها» .

بيليكاس : (شاحبا) آه . .

مارينا : أرأيت أنك كنت على حق عندما قلت ذلك ؟ إننا متشابهان نحن الاثنان ، أكثر مما يجب .

بيليكاس : هيه . . . (يبتسم ساخرا) ولماذا بقيت عانسا ؟ . .

مارينا : لأنه لم تعد بى رغبة فى الزواج . ملأتنى الحياة بالتقزز.

بيليكاس : أرأيت ؟ أرأيت ؟

مارينا : لقد حطمتنى الهزيمة . لابد أنك تفهم ، أنت ، ماذا تعنى «الهزيمة» ، أنت يا من تشبهنى .

بيليكاس : (يجلس مجهدا) لأول مرة ، أسمع هذا .

مارينا : لو كنت جديرا بأن تحب ، ما كنت لتنتظر حتى تسمع ذلك ، سوف كنت تشعر به فى داخلك .

بيليكاس : (مفكرا) حسنا ، ولماذا . . . إذن حتى بعد زواجى . . .

مـــــارينـا : تقصـد لماذا بقيـت عشيـقة لك : أليس هذا مـا تريد أن تقـول ؟ إن هذا بالضـبط مـا كـان يـجب أن يجـعلك تتشكك فى الأمر . بقيـت لأننى لم أكن قد فقدت كل أمل بعد . كنت لازلت أعتقـد أننى سأظفر بك . كنت أعتقد ذلك بإصرار .

بيـليـكاس : إلى هذا الحد كنت تعتبرينه نصرا مبينا أن تستحوذى على . . .

مـــــارينـا : كنت أعتبره نـصرا مبينا لذاتيتى ، وترضيـة قيمة لأُنوثتى الشخصية .

بيـليـكاس : (ينظر إليها مذعورا) آه ، يالك من امرأة مخيفة ، يا مارينا ! الآن ، أشعر بك . . تبعثين الرعب فى أعماقى.

مـــــارينـا : خسرت تلك المعركة آنذاك ، لكن يبدو أننى أعوض الآن بعض ما خـسرت . (تشهق بعمق) هذه اللحظة انتظرتهـا أحد عشر عاما !

(صمت)

بيـليـكاس : (ينهض) فليكن ، مـاحدث قـد حـدث . لست ، كمـا تعـرفين ، من أولئك الذين يقـفون أمـام أشبـاح أو من أولئك الذين ينظرون إلى الخلف . فلننزل . (يمضى متجها نحو الباب . فجأة بإصـرار وعصبية) ولكن حب ابنى ، لن يقوى أحـد أن يزلزل منه . لن يقوى أحـد على ذلك ، فمـا بالك بامرأة ميتة ؟ سترين أننى سأظفر به !

مـــــارينـا : إنه أملك الأخير ، لا أستطيع أن أقول شيئاً .

بيليكاس : (مرتابا) ولماذا هو «أملي الأخير» ؟

مارينا : لأنك بلغت ، يالامبروس ، السن التي تضحى فيه القوة غير كافية . أخذ يستيقظ فى أعماقك حنين إلى الحب ، ويتغشاك الضعف الإنسانى بدورك . آن الأوان لذلك .

بيليكاس : فليكن هذا هو الوضع .

مارينا : آه ، أجل ! أن لم تكسب هذا الحب ، ضعت . جرداء ستكون شيخوختك ، ولن يكون لديك ما يدفىء ذكرياتك .

بيليكاس : أنت مخطئة . أنانيتك قد ضللتك : تعرفين جيداً أن هناك من أحبنى .

مارينا : من ؟

بيليكاس : (مشيرا إلى الفراش) صاحبة هذا الفراش .

مارينا : (مبتسمة) تعنى أنك كنت سيدها المطاع .

بيليكاس : اطاعتنى باختيارها ، لأنها أحبت ذلك . كانت امرأة بحق . إنه شىء ليس بإمكانك أن تحسيه .

مارينا : ويكفيك هذا ؟

بيليكاس : ولم لا ؟ إن ذكراها تدخل الراحة إلى قلبى . كرست نفسها من أجلى ، وظلت وفية لى . لا أدرى ، يقولون أيضا إن إخلاصها لى قد زاد عن الحد ، بل وإنها قد ضحت بنفسها من أجلى . صارت عشبا عند مواطىء قدمى .

مارينا : وقد كان هذا هو السبب أيضا الذى جعلك تختارها زوجة لك . . .

بيليكاس : أجل ، كان نكران الذات أبرز خصالها .

مارينا : وقد ظلت صامتة ، منسحقة تحت ثقل طموحك الجامح.

بيليكاس : أعتقد إلى حد نسيان ذاتها .

مارينا : ولكن كياننا النسائى المهمل ينتقم لنفسه إن عاجلا أو آجلا.

بيليكاس : ماذا تريدين أن تقولى ؟

مارينا : أن هيلينى دفعت فى النهاية ثمن اختناقها هذا تحت وطأتك .

بيليكاس : وكيف ذلك ؟

مارينا : دفعت الثمن من راحة بالها . لم يطل بها العمر على أى حال حتى تتنبه أنت إلى الأمر ، ثم إنك كنت آنذاك غائبا منذ شهور فى اثينا . ولكن لو كانت امتدت بها الأيام قليلا . لو كانت مضت تحت وطأة الخيانة . . .

بيليكاس : (متفضا) الخيانة ؟! . .

مارينا : أجل ، لأن هذا الأمر على أقل تقدير يعتبر خيانة .

بيليكاس : (يستدير نحوها . ويقترب منها كما لو لم يكن يسمع جيدا) هل تعنين ما تقولين ، أم إنك فقدت صوابك ؟

مارينا : أفهم بطبيعة الحال أن الأمر يثير عواطفك ، ولكن بعد كل هذه السنين .

بيليكاس : (يمسك برسغيها) عن أية خيانة تتحدثين ؟ هل تقدرين ما تنطقين به ؟ . . . أرجوك انتبهى إلى ما تقولين !

مارينا : (تتراجع بضع خطوات وتنظر إليه) عجبا ، وما الذى يجعلك تتأثر بقولى إلى هذا الحد ؟

بيليكاس : اسمعى ! لا أريد مزاحا . قلت قولا جسيما ، لا أعرف ما إذا كنت قد نطقت به عمدا أم زل لسانك . لكننى أصر على أن تقدمى لى إيضاحا . وإنى لفى الانتظار .

مارينا : ها أنت قد اكتسيت من جديد بطابع السيد الذى يصدر الأوامر فيطاع ! . .

بيليكاس : أجل . تكلمى !

مارينا : ما كنت أتصور ، أصدقك القول ، إن الأمر كان سيضايقك إلى هذا الحد . أعتقد أنك أسمى من هذه الصغائر .

بيليكاس : تكلمى ! تكلمى !

مارينا : أيه ، ماذا تريدنى أن أقول لك ؟ هل تعتقد أن فتح القبور شيئاً جميلاً ؟

بيليكاس : (ثائراً) إذا كانت تخفى سرا وبيلا فأننى على استعداد أن افتحها بأظافرى ! تكلمى !

مارينا : إنك تلوى يدى ، ألا تحس ذلك ؟

بيليكاس : لا أدرى . (يتركها فجأة) إذن ، عجلى بما عندك قبل أن ينفد صبرى . (يشبك يديه . صمت . ينظر إليها محملقا) والآن ! (فجأة ، يطلق ضحكة شرسة) هيا ، تكلمى ، أفصحى عن أكذوبتك الحمقاء ، انفثى سمك الثعبانى ! لأنك وأنت فى صوابك لا تصدقين بطبيعة الحال أن لامبروس

بيليكاس سيتردى فى شباك غيرتك ووشايتك الدنيئة التى تفح بها شهوة الانتقام فى أذنيك . لا يمكن لصوابك أن يصدق أننى سأضحى لعبة بين يديك ! تكلمى . سألهو كثيرا وأنا استمع إليك .

مـــــارينـا : (رابطة الجأش) كنت أنتظر هذا ، وكنت مترددة ، أنت ترى ذلك . ليس من الســهل أن تصـدقنى ، وقـد جـاءت الأمـور على ما جـاءت عليـه . . . ولكن هذا شىء لا يهمنى أيضا . ليس ثمة مـا أكسبه فى هذه المسألة . . . فلننصرف .

بيـليـكاس : (يقطع عليها الطريق بشراسة) كلا ! قول مثل هذا يلقى به فى وجه لامـبروس بيليكاس ، لايبـقى قائله بغـير أن يدفع الثمن . هل ستفسرين ما قلت ، أم تدفعين الثمن ؟

مـــــارينـا : دعك من الكلام الطنان ، فهو لا يعنى شيئا . وكفى ما وصلنا إليه . فلننصرف من هنا ، أقول لك .

بيـليـكاس : (يقبض على يدها) للمرة الأخيرة ، أقول لك : تكلمى !

(وجها لوجه . يحملق كل منهما فى الآخر)

مـــــارينـا : (ببطء ، وبدهشة) عجبا . . . لم أكن أتصور . . .

بيـليـكاس : (مهددا) ماعدت أستطيع الانتظار !

مـــــارينـا : (مكملة فكرتها) أجل ، هذا هو الأمـــر . . . لا يمكن أن يكون غـير ذلك . . . جـرحت أنانيتك ، ولهـذا فقـد ثارت ثائرتك .

بيـليـكاس : هل ستتكلمين ؟

مــــــارينـا : (تطلق ضحكة عصبية) حقا ، سوف يكون باعثا على الجنون أن يتـصـور المرء الأمـر الآخـــر . . . سنين عـديدة ، وزوجتك على قيد الحياة ، لم تحبـها . أهملتها ، ملقيا بها فى أحد الأركان ، ناسيـا ما إذا كان لها وجود ، لم تنظر إليها قط كإنسان حى . كـانت شيئا من ممتلكاتك . والآن ، فـجأة ، تظهـر كل هذا الاهتـمام بهـا ! . . . ولكن الذى يعنيك بطبيعـة الحال هو شرف الاسم . . . إنهـا ، على أسوأ الأحـوال ، كانت زوجـة لامبـروس بيليكاس ! . . .

بيـليـكاس : اللعنة عليك ! (يلوى يدها . تطلق صرخة وينحنى جسدها رغما عنها . تنتفض واقفة بحركة ضارية) .

مــــــارينـا : آه ، هذا هو الأمـر إذن ! عنـوة ! . . . حـسنا ، أنت الذى أردت ذلك . . . (كـما لو كـانت تبصق الكلام فى وجهه) اعلم ، إذن ، مادمت تتعطش إلى معرفته . اعلم بالأمر بعد ثمانية عشر عاما : إن زوجتك قد خدعتك .

بيـليـكاس : (ينتفض كما لو كان قد صفع) كفى !

مــــــارينـا : كلا ! لن أكف الآن . سوف أتكلم . سوف أصيح بما أريد أن أقول . إنه حقى أنا ! لا يمكنـك ابدا أن تنتزعه منى . لقد دفأته فى صدرى وربيته ثمـانية عشر عاما كاملة ، كى أستطيع أن أقذف به فى وجهك عملاقا ، كى يسحقك ! أنه ابنى أنا هذا السر ، أرضعـته لبنى . ما الذى كنت تظنه ، يا بـيليكـاس ، أنه ليس لـى أنا بدورى ابن ؟ لـى وهو

أقوى من أبيه ، طالما أنه يقتله . آه ، هنا ! انظر إليه ! إنه يزنك بنظرته ، يدينك بلا رحمة ويطعنك فى القلب طعنة نجلاء . هكذا الأبناء ، وهو ابنك أنت !

بيليكاس : (يمسك بكتفيها ، ويصوت مختنق) كفى ، لا تصيحى !

مارينا : كنت فى العشرين من عمرى ، يا بيليكاس ، وانقضت ثمانية عشر عاما أخرى ، الآن . ثمانية عشرعاما كنت أنت تسود مطاعا ، أما أنا فكنت أنتظر . كم هو عذب أن تنتظر .

بيليكاس : (يجلسها على الكرسى عنوة . يغلق الباب ويعود . وقد كز على ناجزيه . بصوت اخرس) تكلمى الآن .

مارينا : ماذا أقول ؟

بيليكاس : (بقسوة) التفاصيل .

مارينا : لست مدينة لك بذلك . يمكننى أن أحتفظ بها لنفسى ، وأستمتع بعذابك المؤبد . وهذا يكفينى الآن .

بيليكاس : أيتها الشيطانة !

مارينا : أرأيت أن ثمة من هو أقوى منك أيضا .

بيليكاس : لن تخرجى من هنا حية !

مارينا : وأنت ماذا ستكسب من ذلك ؟ هل ستزيد معرفتك شيئا؟ ثم يجب أن تعرف أن الحياة بالنسبة لى قد انتهت. كانت بانتظار هذه اللحظة فحسب كى تصل إلى ختامها. سعدت بالخطوة الأخيرة . بلغت أعلى مراتب الفرحة التى لم يبلغها سوى قلة . ومن أجل ذلك ، فأنى اشكر الله الذى خلقنى .

بيليكاس : عليك اللعنة ! سأرغمك على الكلام . . .

مارينا : كيف ؟ بآلة التعذيب ؟ وددت أن تجرب هذا حتى يكون لى الحق أيضا فى أن أشفق عليك .

بيليكاس : هيا ، إننى أتركك ، تكلمى فحسب .

مارينا : ماذا ؟ هل تطلب التفاهم ؟

بيليكاس : أجل ، التفاهم ، ما تريدينه ، فحسب عجلى بما عندك .

مارينا : كنت دائما واثقة من أنك ستنهار يوما . يكفى أن تهب فى وجهك قوة أخرى ، أشد بأسا . هذا ما كان يستهوينى ، كى ألعب معك لعبة الحب . ويقولون إن الحب كراهية عذبة . إنك لم تمنحنى قط لحظة حب أشهى من هذه اللحظة .

بيليكاس : (يجلس ويمسك رأسه بين يديه) اللعنة ، كم سيطول تعذيبك لى !

مارينا : يكفينى هذا ، لى أنا أيضا كبريائى . والآن ، قلت إنك تريد التفاصيل ، خذها ، وهى على أى حال ليست بالكثيرة . . .

بيليكاس : (يهب واقفا) انتظرى ! كلمة واحدة ، قبل كل شىء ، أعطنى اسمه . من هو ؟

مارينا : (تنظر إليه وقد استغرقها التفكير) من هو ؟ . . .

بيليكاس : أجل ، من ؟ خبرينى بسرعة !

مارينا : وماذا يجدى ذلك ؟

بيليكاس : آه ! تتوهمين ذلك ؟

مـــارينـا : آخ ، يالك من طفل صغيـر ، يابيليكاس ! كنت أعرف على الدوام إنك فى أعـماقك طفل ، طفل قـاس غيـر مروض . هل تعتقد أن الانتقام يشفى غليلا ؟

بيـليـكاس : هذا شأنى أنا .

مـــارينـا : وماذا سـتكسب من هذا ؟ ما الذى سـتطفئـه ، يا شقى الحظ ؟ أهى الفـحمـة التى كانت تحـرق قلبك ، قلبك الذى مزقه الجرح ؟

بيـليـكاس : (يصم اذنيه) ياللعنة ، فقط لو لم أكن قد سمعت .

مـــارينـا : إذن ، لا تسألنى .

بيـليـكاس : وحق أى اله تعبدين ، خبريـنى . هل تعتقدين أن الأمر بهذه السهـولة ؟ ألا ترين أننى أهوى لحظة بعد أخرى . خبرينى ، إذن ، خبرينى !

مـــارينـا : بماذا أبدأ ؟

بيـليـكاس : باسم الرجل !

مـــارينـا : كى تأمر بـراكاس بأن يقتلـه ، إيه ؟ فات الأوان الآن . أنه قد مات .

بيـليـكاس : (مستاء) هو بدوره ؟

مـــارينـا : هو بدوره .

بيـليـكاس : (منهارا) إذن . من كان ؟

مـــارينـا : مضى على الأمر ثمـانية عشر عـاما . . حدث ذلك فى هذا المكان ذاته . . فى بيتك هذا . . جئت بعد زواجك لتقضى الصـيف بصحبة هيلينى . ولكن فجـأة جرفتك

إحدى حماقتك المعتادة . هجرتها وسافرت إلى اثينا . غبت مدة طويلة ، الصيف بأسره تقريبا . . .

بيليكاس : أجل ، دعانى إلى هناك عمل جليل . ارسيت آنذاك الدعائم الأولى لثرائى . اشتريت سفينتين وبجسارة أرسلتهما إلى البحر يمخران عبابه . كنا فى الحرب العالمية.

مارينا : كنا فى الحرب العالمية . بعد بضعة أيام من سفرك ، عاد ابن عمى ناسوس من الجبهة مصابا ، يعانى المرض . . .

بيليكاس : (ينظر إليها متألما .. بصوت اجوف) آه . . .

مارينا : لم تكن إصابته خطيرة ، لكن مرضه كان أشد . كان يعانى من داء الصدر .

(صمت)

بيليكاس : (بصوت مبحوح) وبعد ؟

مارينا : جاء يقيم فى الريف ، هنا فى بيتنا . التأم جرحه رويدا رويدا كما أخذ يشفى من مرضه . كنا نضع له مقعدا ليجلس فى الشرفة وقت الظهيرة . كان يقرأ ويتطلع إلى الحقول ويحلم . كان ناسوس روحا حالمة ، وفتى وسيما . . .

بيليكاس : (ينهض على مهل . مرتعشا) إذن . . . كان هو ؟!

مارينا : بطبيعة الحال ، بدأ الأمر بالشفقة ، وبمشاعر رقيقة مبهمة . كان هو يكتب أشعارا وكانت هيلينى مغرمة بالأغانى ، فكانت تطلب منه أن يقرأها لها ، وكانا يقرآنها معا . .

بيليكاس : (متخبط الخطى، يصم اذنيه) اسكتى ! . . اسكتى !

مارينا : هكذا بدا الأمر . وبعد ذلك . . بعد ذلك دون أن يتبين الاثنان الأمر ، وجدا نفسيهما ينزلان المنحدر العذب .

بيليكاس : (يهوى فجاة بقبضته على المنضدة) يا للعنة !

مارينا : إنى امرأة ، وأشعر ذات الشعور . أهملتها ، ولم تمنحها لحظة حب واحدة ! أن الأرواح التى تنتظر ، يجب أن تعلم ذلك ، اكثر عطشا من غيرها .

بيليكاس : (وقد اطبق قبضتيه) يا أيها القدر الأسود ! لم أعرف بالأمر إلا الآن ! . .

مارينا : أجل ، الآن . . لحسن الحظ ، إنك لم تعرف به إلا الآن .

بيليكاس : «لحسن الحظ» تقولين «لحسن الحظ» ! ياربى وإلهى ! والآن ، أين أضرب ضربتى ؟ هرب الاثنان . اختبأ الرعديدان تحت بلاط القبر مثل الديدان . لا حدود لسورة غضبى وتقززى ! . . «لحسن الحظ» تقولين «لحسن الحظ» تنحازين إلى صفهما . . (فجاة ، متوحشا) ايتها الغول ! أنت التى دفعتهما إلى ذلك . الآن . . . الآن يتضح لى كل شيء : فعلت ذلك ، من أجل عقابى . . من أجل الانتقام منى . أين كانت عيناى حتى الآن ! . . لك ، إذن أنا مدين !

مارينا : كذب هذا !

بيليكاس : (يهجم عليها ، ثائرا) لا تقولى لى شيئا ! لا تتكلمى ! لا تنبسي ببنت شفة ! . . إنى أتعرف عليك فى هذه الفعلة السوداء ، الشيطانية . كنت تحفرين لى الهوة ، تنخرين فى دعائمى ، بينما كنت أصارع هناك بعيدا صاعدا حر الروح منتشيا . ايتها الساحرة الشريرة سأغرقك فى دمائك واخنقك ! (يمسك بها . يتصارعون برهة) .

مارينا : أجننت ؟ . . ياالامبروس ! ثب إلى رشدك . . إنك تكتم انفاسى . . . (دقات على الباب . يتركها) .

بيليكاس : (بصوت مبحوح) من بالباب ؟

مانوس : (من الخارج) أنا . .

بيليكاس : ليس الآن !

(تنهض مارينا بعناء من على الأرض . بخطوات متخبطة يجوب بيليكاس ارجاء المسرح مثل حيوان ضرب على رأسه . بدا الآن تائها وصار صوته مكتئبا) مهما بحثت عنهما . . لن أجدهما مهما بحثت . . أفلتا منى . من بين يدى أفلتا . . اختبآ تحت التراب . . (يتنهد بحرقة) آه ! (يضع يده على عينيه) هكذا عميت عيناى . . . (يجول ببصره فى ارجاء الغرفة ثم فجأة) وربما كان ما حدث قد حدث هنا . . فى هذه الغرفة ! . . هذا رائع!

مارينا : (برباطة جاش ورنة احتقار خفيفة) اعتقدت أنك على قدر أكبر من رجاحة العقل .

بيليكاس : (يتوقف . ويستدير) ألا زلت هنا ؟

مارينا : (ثابتة الجنان) أنت بحاجة إلى الآن .

بيـليـكاس : بحاجة إليك ؟

مـــــارينـا : منذ الآن فصاعدا أنت بحاجة إلى عون ، ياالامبروس . لأول مرة في حياتك يتألم جسمك . لقد جرحت .

بيـليـكاس : (مهـدما ، يمضى بخطواته المتخبطة ويـلقى بنفسه على كرسى ، وقـد اغرورقت عيناه بالدموع) هكذا اذن . . . هكذا . . . ظننت أننى القوى المتفرد بينما الآخرون كانوا يضحكون من حولى .

مـــــارينـا : كلا . أخذ الاثنان سـرهما إلى القبر . وأنا الثـالثة التى أعرفه ، لم أتكلم .

بيـليـكاس : آه . . . (متألما من جديد) ولكن ما الجدوى ! . . الوحشة باقية . . (كما لو كان يحادث نفسـه) إذن حتى هى لم تحبنى . . .

مـــــارينـا : حتى هى .

بيـليـكاس : لا أحد . (بعد هنيهـة ، يعود إلى دائرة عذاباته المعنوية) اللعنة . . . ومن رجل مريض !

مـــــارينـا : لا أعرف ما لو كانت قـادرة أن تحب زوجا عجوزا . إن غرامـها المذكور قد تولد عن الشـفقة ، وهذا ما جـعلها تزل . أعتقد أنها ما كانت تريد أن تخونك . .

بيـليـكاس : (كمـا لو كان لا يفـهم) آه . . . (يجيل النظر حـوله من جديد) كيف بدأت هذه الغرفة تكتسب لنفسها روحا ، وأخذت تدب فيهـا الحياة ! . . (إلى مارينا دون أن ينظر إليـها) قلت أنه كان رجلا حالما . . .

مـــــارينـا : أجل ، من يدرى ، ربماكان ذلـك أيضاً لإحسـاسه بدنو الموت .

بيليكاس : وكان فتى وسيما .. ومريضا ..

مارينا : أجل ، كان كذلك .

بيليكاس : (فجأة، تزداد حيويته) و ... كم من السنوات ، تقولين أنها ، قد مضت ؟

مارينا : ثمانية عشر أو عشرون عاماً .

بيليكاس : ابنى .. هل تذكرين .. هل كان آنذاك ، وقد ولد ؟

مارينا : (قلقة) الولد ، كلا !

بيليكاس : (يتنهد بارتياح) هذا أفضل .. على الأقل لم تصب الابن خيانتها .

مارينا : كلا ، لم يكن الابن .. قد ولد بعد !

بيليكاس : مضت إذن ثمانية عشر أو عشرون عاما ... (تدب فيه حيوية مفاجئة .. ينظر إليها) ثمانية عشر أم عشرون عاما؟

مارينا : لا أعرف على وجه التحديد ...

بيليكاس : (محاولا أن يقدح زناد فكره) سأحاول أن أتذكر .. مضت عشرون عاما.

مارينا : وما الجدوى من ذلك ؟

بيليكاس : اسكتى ! أريد أن أعرف كل شيء . مضت .. أجل ، عشرون عاما ... عند عودتى من أثينا سمعتها تعلننى بالنبأ السار . (متهكما) ياله من شيء رائع شرف المرأة! إنها أوضحت لى على وجه التحديد . الوقت الذى تلقت منى بذرة ابنى .

مارينا : (صاخبة) أوه ! هيا ، دعك من هذا .

بيليكاس : (يتزايد انفعالا ، رويدا رويدا) في تلك الآونة تماماً ، أفهمت ؟ ما من شيء جعلها تحجم ، ما من شيء جعلها تتردد . ولا حتى خفقات الوليد الجديدالذي كان يتشكل في أحشائها .

مارينا : وما ادراك . ربما لم تكن قد أحست به بعد . . .

بيليكاس : كيف ؟ أتظنين هذا ؟ عدت إلى هنا من أثينا وقد دخل الخريف . ربما كان ذلك في سبتمبر . ومانوس ولد في يونيه . .

مارينا : (وقد استبد بها القلق) حسنا ! حسنا ، ليس لهذه الأمور من معنى . . .

بيليكاس : (فجاة ، يقفز كما لو كان قد أكل نباتا حريفا) أوه ! . . . (يمسك برأسه) يا إلهي !

مارينا : ماذا ؟

بيليكاس : اسكتي ! . . انتظري ! . . (يتهدم) ياللخاطر الذي ومض في عقلي ! . . . لكن ، كلا . . . مستحيل ! (ينقض عليها ويمسك بكتفيها) قولي لي إنه كذب !

مارينا : عما تتكلم . . يالامبروس ! . . . هل جننت ؟

بيليكاس : (يزلزل كيانها ، ثم يتخلى عنها) أجل . . . أجل . . إنني في طريقي إلى الجنون . . أحس بعقلي يتخبط . . . كلا ، كلا ، يا الهي . .

مارينا : (مقتربة منه) ثب إلى رشدك . . اجلس . . إنني لا أفهمك .

بيليكاس : (بعنف شديد) تفهمين ! ولكنك تضحكين على . تضحكين على الآن أيضا كما كنت تضحكين قديما . كلكم ضحكتم على . أنت والـلذان ماتا ، وابنـ . . . آخ ! (يضع يده على فمه) أواه ، يا إلهى الرحمة ، اجبنى ! . . .

مارينا : كفى ، ياالامبروس ، اسكت ! سوف يسمعونك .

بيليكاس : (بألم شديد ، جائلا فى ارجاء المكان متخبطا) من أسأل ؟ أين لى أن أعرف ؟ لكننى سأعرف ، يجب أن أعرف ! وإلا فالحياة تضحى مستحيلة . . . (امامها) أواه ، أيتها الغول ! لقد حطمتنى .

مارينا : وما الذى قلت لك ؟ لم أقل شيئا .

بيليكاس : لم تقولى لى . لكن يجب أن تقولى لى . ستقولين لى. مثل هذا العذاب لا يجب أن تتركيه فى فؤادى . منذا الذى أسأل أن لم أسألك أنت ! . . من ! (يطبق قبضتيه وينظر فيما حوله) من ؟ تلك التى رحلت ، هناك ؟ الميتة ؟ آخ ! لو كنت أقدر فحسب . . (تعلق نظرته بالدولاب ، فيهجم عليه . يمسك بمقبضه الصغير ويجذبه بقوة عمياء . ويفتح الدولاب ، يتلف القفل . ضحكة خشنة) ها ! . . . ها هى ! ها هى بأكملها ! . . إنى أمسك بها (يدس يديه ويحتضن فساتينها المعلقة . ينتزعها خارجا . يحتضنها بوله ثم يلقى بها ارضا ويدوسها بقدميه) انها هنا ! . . . جسدها الدافىء . . رائحته الفواحة . . . وإنى أدوس عليه ! أدوس عليه ! . . . (يطأ الفساتين المبعثرة على الأرض بخطوات رقصة متخبطة شرسة) .

مـــــارينـا : انتظر بربك انتظر ! إصغ إلى . . .

بيـليـكاس : أجل ،أجل ، هـا أنا أصــغى إليـك . هذا مــا أريده بدورى! وما الذى أطلب أكثر من ذلك ؟ قولى لى .

مـــــارينـا : ماذا تريد أن أقول لك ، مادمت لا أعرف .

بيـليـكاس : (يمسك بها من جديد) قولى لى ، قولى لى !

مـــــارينـا : لا أعرف ، أقول لك !

بيـليـكاس : أليس لك قلب ؟ إليس فى عـروقك دمـاء ! أليس لك جـسـد ؟ أى ثعـبان كـنت أضم العـديد من المرات إلى صدرى ؟ ماذا تطلبين أكثـر من ذلك كى تشفقى على ؟ فليقف انتقامك عن هذا الحد . تكلمى .

مـــــارينـا : أحس بمعـاناتك ، يالامـبـروس ، وأتعـاطف مـعك . ولكنى لا أعرف شيئا عن ذلك الذى تسأل عنه ! . . .

بيـليـكاس : (يخر راكعا على قدميه) هيا ، هيا . . أرجوك ، إنى أتوسل إليك ، وأقـبل قدميك . . . مـا الذى تريدين أكـثر من ذلك ! انظرى إلى : كنت لامبروس بيليكاس ! أما الآن فلست شيئا ، مجرد مخلوق تعس ، لست الآن شيئا . إنى أستجـدى سكينتى الذليلة البائسة . كل مـخلوقات هذا الوجود تنعم بسكينـتها ، أما أنا فلن يعـرف جفناى طعم النوم بعد الآن ، لن أذوق لقمـة هنيئة ، لن أسند رأسى إلى وسادتى خلى البال . أبدا . أنظرى إلى. آخ ! إنسان خرب ، هذا أنا . موحش وحشة مريرة.

مـــــارينـا : انهض ، انهض . أقـسم بروحى المقدسـة أننى لم أكن أريد ذلك !

بيـليـكاس : (ينهض بعناء ، وقد اثقلت الشيخوخة كاهله) لم تكن تريدينه لكنه حدث . . وبفـعلك حدث . انـهار الصرح الـشامخ . وداعا أيتها الآمـال والأحلام الذهبية . كنت أرفع رأسى عاليـا ، في كبرياء ، والسـحب وتداعب جبـينى . أما الآن فقد مُـرِّغت فى التراب . آخ ! التراب أليم ، وفى إصرار يحتفظ بسره المخيف . . .

مـــــارينـا : أشفق عليك ، يالامبـروس بيليكاس . أقسم بالله الذى بدأت أومن به أننى أشفق عليك .

بيـليـكاس : آخ ! إنك لا تشفقين على بما فيه الكفاية .

مـــــارينـا : إشفـاقى عليك كـبير ، فـقد ضـاع منك وقت الحب ، وفات الأوان كثيرا .

بيـليـكاس : إنك لا تشفـقين على . لو كنت تشفـقين ، لتكلمت ، وقلت لى .

مـــــارينـا : لا أعرف أن أقول عن ذلك شيـئا . ما من أحد فى هذا العالم بإمكانه أن يجيبك على كل ما تسأل .

بيـليـكاس : (يجر قدميه) وهل يجب إذن أن امضى حـاملا هذا العناء طوال مـا بقى من حيـاتى ؟ . . . (يقف أمام السرير . يميل ويجلس عليـه . ويمسك فى رفق بالوسادة . ويمتلىء صوته برقة الاستجداء) أصغى إلى أنت ، أنت يا من جُرْتُ عليك ، وظلمتك . . ماعدت اضمـر لك ضغنا . أنصتى إلى . . . ترين أننى فى مسيس الحاجـة إلى هذا الابن لأتكأ عليه سنوات عمرى

الباقيات ، سنوات الشيخوخة الموحشة . أنصتى إلى .
إنى لا أريد أن أنتزعه منك . ما من أحد بقادر على ذلك .
ولكن أنا ؟ هل أبقى بلا ولد ؟ أترضين أنت بذلك ؟ . . .

مـــــارينـا : كف عن ذلك ، أستحلفك بالله ! كف .

بيـليـكاس : أوه ! شفاه القبر هذه الرخامية الباردة ، أين أجد حرارة تجعلها تلين فتتحرك ناطقة بالكلمة الوحيدة ! . . .

مـــــارينـا : (متراجعة ، وقد استبدت بها دهشة عميقة) هذا . . هذا لم أكن قد تصورته ! . . .

بيـليـكاس : (يمضى فى ملاطفة الوسادة بحنان) خبرينى ، إذن . . . ألا تريدين ؟ . . . كلا ؟ . . . ألم تغفرى لى بعد ؟ . . . ألم تغفرى لى ؟ . . . كنت ذات قلب طيب . . عامر بالحنان . . وكان حبى لك فى محله .

مـــــارينـا : (تراجعت إلى الباب ، وقد استبدت بها الدهشة العميقة) هذه إذن ما انتهت إليه الأمور ! . . . (تأخذ المصباح . وعلى مهل وبلاجلبة ، وقد تسمرت عيناها على السرير ، تخرج) .

بيـليـكاس : انظرى ! أصبحنا وحدنا . الآن ؟ . . . الآن ، ستخبرينى ؟ . . تعالى ، ارقدى إلى جوارى . . . فلنضطجع لنستريح ، كلانا . قطعنا طريقا طويلا ، اتكئى إلى ذراعى . . . أوه ! ما أعذب الإحساس بثقلك . لم أشعر به من قبل قط . . . والقمر ! . . . انظرى إلى القمر ! . . . كنت تحبينه . (بكاء عميق) لماذا لم تعلمينى أن أحبه أنا أيضا .

ستار

اندرياس اندونياديس

آدم وفانيسا

الشخصيات

آدم
فانيسا
رجل مجهول

زمن المسرحية : اليوم

المشهد : « حجرة فى شقة صغيرة . تستخدم كصالة ومكتب . فى أحد أركان الحجرة عدة وسائد وبيك - آب . وفى ركن آخر منضدة مرتفعة تستخدم كمكتب بكل لوازمه المألوفة . الحائط الذى يربط ركنى الحجرة حاجز زجاجى . ثمة باب يؤدى إلى حجرة النوم ، وبجواره باب آخر يقود إلى المطبخ . أمام الباب المؤدى إلى حجرة النوم اثنتان أو ثلاث سلال مما يستخدم فى الرحلات ، وشبكة بها زجاجات .

ترتدى فانيسا ملابس مناسبة للرحلات . وتجلس على أحد الوسائد تستمع إلى مقطوعة موسيقية هادئة ، وتشخص ببصرها إلى الخارج . تفد جلبة خطوات ويسمع صوت مفتاح يدار فى الباب . ثم يدخل آدم . يقرئ فانيسا سلاما مقتضبا ، وينشغل بنفض المطر عن معطفه . تتطلع اليه فانيسا بنظرات مفعمة بالحب دون أن تجيب» .

آدم : سلام . لماذا لا تجيبين ؟

فانيسا : أهلا . كنت منشغله بالمطر .

آدم : (يخلع معطفه) أجل . . أفسد المطر ما خططناه ! .

فانيسا : فكرنا كثيرا فى هذه الرحلة (تنهض وتأخذ معطفه وكوفيته) أليس كذلك ؟

آدم : حقا . كنت تقولين لى أن نكف عن أخذ الأمر مأخذ الجد ، وكنت أسخر من قولك هذا .

فانيسا : (تحاول الابتسام) أجل . كنت تسخف بى . ولكن ها هو الجو يمطر ، فلا نخرج إلى الرحلة .

(تخرج حاملة معطف آدم وكوفيته)

آدم : (يبحث عن سجائر . ينادى) فانيسا ، هلا أحضرت لى السجائر ، من فضلك . إنها فى معطفى .

(يقترب من البيك - آب ، ويوقف الاسطوانه . تدخل فانيسا)

فانيسا : هل غيرت نوع سجائرك ؟

آدم : كلا . لم أجد السجائر التى آلفها فى المنطقة ، فاشتريت غيرها .

فانيسا : إذا كنت تريد من سجائرك فلدى منها . . . .

آدم : لا يهم . تعالى خذى واحدة من هذه .

(يشعل كل منها سجارة واقفين . تنظر إليه فانيسا) هل جرى شىء ؟

فانيسا : ولكن هذا التغيير يقلقنى . . . .

آدم : (مرحا) سندبر الأمور ، أليس كذلك ؟ سأساعدك فى إعداد شىء للغذاء وسنستمع إلى موسيقى . وسوف . .

فانيسا : ياله من جو سىء .

آدم : متى تجمعت كل هذه الغيوم ؟ هل تعتقدين أن . . . .

فانيسا : أن الجو تعمد أن يفسد يومنا ؟ لماذا أوقفت البيك-آب ؟

آدم : كانت الأنغام شجنية للغاية .

فانيسا : ما الذى تفضله (تعود إلى أبيك - اب ، وبلهجة تداخلها بعض السخرية) بالتأكيد ، شىء لا يثير الشجن . .

آدم : شىء ما يجرى من ناحيتك . يخيل للمرء أنك على وشك البكاء .

فـــانيـــســـا : دعك من الهزل . . . . .

آدم : بالعكس . إننى ، بكل بســاطة ، أحاول أن أشــخص حالتك . . .

فـــانيـــســـا : ليست حالتي بحاجة إلى ذلك . .

آدم : لماذا ؟ إنى أعتقد العكس . لا أرى سببا كى تكونى فى هذه الحالة . كناقـد أعددنا رحلة إلى الريف . بالأمس فحسب ، كنا نتـحدث عن الطريق إلى هناك والقـرية التى سنـزل بهـا . . . . . الشطــائر والمشـــروبات التى سنأخـــذها مـعنـا ، والـيـوم المريح الذى كنا ســنتعم بقضــائه . . والآن ؟

فـــانيـــســـا : أنت على حق . كنا سنقـضى يوما مخـتلفا عن ايامنا الرتيبــة . وخارجا عــن . . أنت تعرف ، يا آدم ، أن كلينا بحاجـة ملحة إلى الراحة . توترت أعـصابنا إلى حد سيء . ألم تتنبه إلى ذلك ؟ كم من مـرة تشاجرنا هذه الآونة الأخـيرة ؟ بالطبع كـان يدب الشجـار بيننا لأسباب واهية ومع ذلك كان كل منا يناول الآخر كلاما غير لائق . أعتقد أن هذا بدوره سبب من أسباب توتر اعصــابنا ، واضحينا نتـصيد الفـرص للتناحر . اليس الأمـــر كـذلك ؟ الا تـوافقنى علـى مـا أقول ، يا آدم؟ والآن ، ينهــمر المطر . ضاعــت هذه الفرصــة أيضا ،

ونحن نتحدث عن الرحلة . كنت تقول إننا لن نفوتها مهما كانت الأسباب (بسخرية) نسينا وعود الآحاد . ومع ذلك . كان الجو يبشر بيوم من أيام الصيف . آدم . . لماذا لا تتكلم ؟

آدم : استمع إليك . أنت على حق فى بعض الأشياء . . .

فانيسا : بل فى كل شىء . . . .

آدم : دعك من الإصرار والتشبث بالرأى . . . .

فانيسا : لماذا ؟ فيما لا توافقنى عليه ؟

آدم : فى مسألة السأم . تحدثت عن أسباب لعدم التوافق . وعرضت واحداً من هذه الاسباب . السأم من الحياة اليومية . تململك من حياة كل يوم . هذا موضوع السأم . . . .

فانيسا : (بعد تفكير) أجل . . . .

آدم : حقا ، لا أعتقد أن الأمر يقتصر على السأم . . .

فانيسا : إذن ، ما الذى يجعل عدم التوافق يدب بيننا غير ذلك ؟

آدم : نحن .

فانيسا : ماذا تعنى ؟

آدم : شىء التوى بداخلنا ، منذ قرابة شهرين . . . .

فانيسا : منذ قرابة شهرين !

آدم : أجـل . . . بالطـبع مـررنا بمرحلة صـعـبـة ، تركت بصماتها . . .

فـانيـسـا : و . . . . ؟

آدم : يخيل لى أن الجراح لم تلتئم . نستخدم من أجل ذلك شتى الحيل . نتـظاهر بأشياء حتى نؤكد لأنـفسنا أن ما من أمر حدث منذ شهرين . ولكن دون جدوى . .

فـانيـسـا : دون جدوى ؟ لم تقول ذلك ؟ لماذا تبـخس من جهدى الذى أبدله ، وجهـدك الذى تبذله أنت بالطبع ؟ تعلم جيـداً أن حيـاتى لم تكن على هذا الحال مـن قبل . . تعـرف أننى حـاولت أن انصـاع لمنوال حـيـاتك ، أن أتجاوب معك . كل يوم حـاولت أن أصبح آدما آخر ، صورة طبق الأصل منك . .

آدم : وما الجدوى من ذلك . . . . .

فـانيـسـا : أكان الأفضل أن أفعل مثلك وأختط لنفسى نهجا خاصا لحيـاتى ؟ أكان من الأفـضل أن أضيع ليـالى بأكمـلها منزوية فى أركـان مبهـمة ؟ هذا ، لمجـرد أنك مررت بمرحلة سيئة فى حياتك ؟ أكان من الأفضل أن أنسحب من وجودك ؟ أكـانت هذه هى المسـاعدة التى أسـديها لك فى لحظاتك الصعبة ؟

آدم : فانيسا ، ليس . . . .

فـــانيـــســـا : (غير متمالكة لنفسها) تريدنى أن أختفى من حياتك ؟ أن أمحى ؟ انزويت فـى هذه الغـرفـة ، وظلـلت أنتظرك أغلقت على نفسى بابى واختليت بذكـريات حـبنا ، محاولة أن أزعم لنفسى أننى لم أنخدع ، من المستحيل أن نكون قد عشنا كل هذه اللحظات الحـبيبة ، لحظات الصـدق تلك ، ويكون كـل ذلك قـد اندثر ، وامحى الآن وخلصت إلـى أنك كنت تحـبنـى ، وأنك ســوف تعود . سوف تعود فى اللحظة التى تفيق فيها وتريد أن تجد نفسك هنا ، فلماذا لا تجدنى ؟ . . . وبقيت دناى كلهـا كـما كـانت عليـه . . هيـه . . . أى شىء من متـعلقاتك الشـخصيـة قدر له البـقاء هنا إن عـمدا أو مـصادفـة . . صحـيفـة ، علبة ســجائر ، قطعـة من ملابسك الداخـلية ، مادبجـته من كتـاباتك وقليل من الموسيـقى . كثيراً مـامر أصدقاؤنـا للاطمئنان علينا ، فكنت أنتحل لغيابك الأعذار . كنت أقول لهم طرأ له ظرف بالغ الأهمية وأبتسم بسذاجة وأنا أعتذر عن قبول دعواتهم للخروج فى نزهة أو ارتياد أحدى دور السينما •

آدم : كنت فترة صعبة . . . .

فـــانيـــســـا : وقد اجتزناها .

آدم : لا جدوى من كـلامك ، يا فانيـسا . لماذا تقـولين أننا اجـتـزناها ؟ لماذا نداب فى هذه الآونة الأخـيـرة على تلمس أسباب للشجار ؟ لماذا أمضى أقاوم وأرفض منذ شهرين ؟ لماذا نبدد ليالينا ، وأنـت تتشبثين بالانتظار ؟ لماذا أحاول أن أبدع بيئة جديدة لـلحياة ؟ لماذا يتحاشى كل منا الأخر ؟ لماذا لم أعد أشعر بما كنت أشعر به فى حبنا من قبل ؟

فـانيـسـا : آدم ....

آدم : إنى إعـترف . مـهمـا كان الأمـر مأسـاويا ، لكنى به اعترف . فى لقاءاتنا التى أضـحت نادرة ماعدت أشعر بما كنت به من قبل فى لقاءاتنا السابقة .

فـانيسـا : آدم . .

آدم : أزداد تقـززا من نفـسى ، لأننى اتخلى عنك كل مـرة وأنت فى ذروة معاناتـك . ومع ذلك . فإن الجراح ، والرضـوض التى تخلفت عن الأحـداث المعروفـة التى جـرت مـنذ شـهـريـن تضـغط علـى وتلح ألا أحس بالارتياح معك .... فقط ، لوكنت استطيع أن ...

فـانيـسـا : أنت قـوى . . ستنجح ولكـن لا تتحـدث هكذا . . لا تنشر الغسيل القذر .

آدم : لست سمجا ، وأنت تعرفين ذلك . وفى الكلام ، لا

أتذنى . بل بكل بساطة أحدثك فحسب بصراحة ، كى تدركى أنها ليست رتابة الحياة اليومية السبب فيما أصاب أعصابنا من توتر ، أو ربما بعبارة أدق ليست هى وحدها السبب فيما أصابنا . . . .

فانيسا : ومع ذلك ، فإننى أحبك ، يا آدم . . . .

آدم : أعرف ذلك ، يا فانيسا (يتوقف شارد البال ، يبحث عن سجائره يشعل سيجارة . ويدعوها إلى التدخين) هل تريدين سيجارة ؟

فانيسا : كلا ، شكراً . .

آدم : يجب أن أثوب إلى نفسى .

فانيسا : تثوب إلى نفسك . .

آدم : فليكن . . . (صمت)

فانيسا : لماذا لا تتحدث ؟

آدم : هل يلزم أن نقول شيئا أخرى ؟

فانيسا : أجل ، يا آدم . . يلزم ذلك . . (تلتفت إلى النافذة الزجاجية) لم يتوقف المطر ، بعد . . . يمكننا أن نواصل الحديث ، إذن . .

آدم : هلا توقفنا قليلا ، للاستراحة . . .

فانيسا : استراحة ؟

أدم : أجل ، كجملة اعتراضية فى حديثنا . . .

فانيسا : هل تعتقد أنه لاغناء عن ذلك ؟

آدم : سأدير بعض الموسيقى الآن .

فـــانيـــســـا : كما تشاء . هل تشعر بالجوع ؟ تريد أن تتناول شيئا ؟

آدم : هيه . فلنر مـاذا أعددت للرحلة . (تمضى فـانيسـا إلى سلة المأكولات ، بينما يضع آدم اسطوانة ذات نغمات مرحة) هل تروق لك هذه المقطوعة ؟

فـــانيـــســـا : لا تتفق مع الجو ، إلا إذا كانت تروق لك جداً . . .

آدم : حسنا ، حسنا (يوقف الإسطوانة . ويبحث عن غيرها ، جالسا على الوسائد)

فـــانيـــســـا : (تقترب منه ، حاملة شطيرتين . تجلس إلى جواره) هل تعجبك هذه الشطائر ؟

(يتخلى آدم عن سيجارته)

آدم : فلأذق طعمها نحن ، أولا . هيه . . لذيذة . . هيه . لذيذة جداً . . .

فـــانيـــســـا : أيها العنيد ، يامن لن ينصلح حالك .

آدم : لماذا ؟ لماذا ؟ (يكون وجه فانيسـا شديد الاقتراب من وجـهه . ينتبه إلى ذلك ، .....)

فـــانيـــســـا : (تبتعد عنه) هل وجدت مقطوعة موسيقية مناسبة ؟

آدم : أجل . . أجل . . موسيقى تتحدث عن المطر .

فـــانيـــســـا : (بابتهاج) شاطر . إنها (تجد مشقة فى تذكر اسم المقطوعة) إنها . . . لا تخبرنى باسم المقطوعة . . (ترفع يدها إلى جبينها) (مبتهجة) "حكايات المطر" !

آدم : شاطره . أهنئك (يضحكان)

فـــانيـــســـا : ما الذى جعلنى أنسى اسم هذه المقطوعة . إننى اذكرها كما أذكر المناسبة التى سمعتها فيها . .

آدم : أهو الاسم مانسيته فقط ؟ !

فـــانيـــســـا : لا تسخر منى . هيا اذن ، فلنسمعها . (يضع آدم الإسطوانة .. على البيك-آب . يفرغ من الشطيرة . يعلو صوت المقطوعة فيتبادلان النظر)

آدم : أتذكرين ؟

فـــانيـــســـا : هيه . . . .

آدم : سنة مضت . . عندما تعارفنا . . .

فـــانيـــســـا : تماماً . .

آدم : كـان الجـو يمطر . . وأنا كنت أحـاول بيع منتـجـات إحدى الشركات .

فـــانيـــســـا : هيه . كنت موزع منتجـات . . . وطرقت الباب كى تسأل لو كنت أحتاج إلى أدوات تجميل - مساحيق للوجه .

آدم : أجل ، كنت آنذاك أحاول أن أحـصل على توكيل تلك الشركة . . .

فـــانيـــســـا : (تجول ببصرها فى أرجاء الغرفة،كما لو كانت تعاين المسرح)فتحت لك ، كانـت ثيابك تقطر مطراً . عندمـا فرغت من كـلامك عن سلعتك دعوتك إلى قـدح من الشراب ، فقبلت . وجلسنا فى هذا المكان هناك نتبادل أطراف الحديث .

آدم : كما لو كان كل منا يعرف الآخر منذ قديم . . .

فانيسا : أجل ، أنت على حق . مضينا نتحدث بألفة عن مشكلاتنا . وكان ثمة ما يجمع بيننا ، وهو العزلة . كان قد مضى عام آنذاك على فقدى لأنجيلوس .

آدم : فانيسا ، كفى عن هذا الحديث . لن يعود عليك بالنفع أن . . . . .

فانيسا : إنه لا يضرنى ، كما أن ثمة مبرراً لذلك . . .

آدم : ما هو ؟

فانيسا : سوف ترى . حالا . مضت حياتى رتيبة . لحظات سقيمة فى جو من الغرابة ، مختنقة فى مربع مكانى. على أن الكارثة (تقترب) بعد عام قررت أن أرحل . ولكنك دخلت ، وسألتنى ما لو كنت بحاجة إلى مساحيق لوجهى . وتحدثنا فأعتقدت أن الحياة تبدأ مرحلة جديدة . آدم ، هل تفهمنى ؟

آدم : فانيسا ، ما الذى تريدين الوصول إليه ؟

فانيسا : إلى ما أنا بحاجة إليه ، لأن ماض يأخذ بخناقك . وتخاف منه .

آدم : فانيسا ، دعك من الحماقة . . . .

فانيسا : كلا ، يا آدم . أعرف ما أقول . .

آدم : هل تمزحين إذن ؟

فـــانيــســـا : لا أمزح على الإطلاق ، بل إنـنى لم أكن جادة فيـما أقـول قدر مـا أنا الآن . أنت علـــى حق ، إذ تـريـد الرحيل . كنت على الدوام تهوى التغيير . ألم تخبرنى بكافة الأعـمال التى تقلدتها فى سنوات عـمرك ؟ ألم تحدثنى عن كل النساء اللاتى عرفتهن ؟ لماذا إذن سوف يتغير طبعك ، الآن ؟ هذا مستحيل . .

آدم : ليس هذا هو السبب ، يا فانيسا . تعرفين جيدا ، أننى لم أعر ماضـيك اكتراثا قط . كمـا أن ماضى أنا ليس بأفضل من ماضيك . . أننا نرى من نحب على ما هم عليـه فحـسب . نراهـم بكل عـيوبهم . واخـفاقـات حيـاتهم . أنه لسوف يكون شيـئاً مضحكاً حـقا ، أن تتطلَّب المثالية فى هؤلاء فحسب . ولكن مع ذلك . .

فـــانيــســـا : ماذا ؟

آدم : (يتـراجع عمـا كان سوف يـقول) لا يستحـق الأمر أن نعاود الموضوع ذاته .

فـــانيــســـا : ولم لا ؟ على الأقل ، يجب أن نعـرف السـبب الذى نفترق على أساسه .

(يشـعل كل منهما سيجارة ويجلسان . يتوقف الحاكى . تطفئه فانيسا) فأتنا أن نستمع إلى الأغنية .

آدم : فلنستمع إليها ، إذن .

فـــانيــــســـــا : لا يحتاج الأمر إلى موسيقى تصويرية . أفضل أن تبقى الدراما بلا زخارف غير مجدية . . .

آدم : لا تجعلي من نفسك مثار سخرية . معذرة ، لم أكن أريد أن أوجه إليك إهانة . . .

فـــانيــــســـــا : لا تعر الأمر اكتراثا . . في كثير من الأحيان كانت أعصابي تثور ووجهت إليك بدوري الشتائم . هل تذكر ذلك ؟

آدم : لا يستاهل الأمر ، الآن ، أن يكشف كل منا عن صغائر الآخر ، ونتحدث عن عيوبنا . . .

فـــانيــــســـــا : حسنا ، حسنا . . توقفنا إذن عند " هم معنا " أليس كذلك ؟

آدم : أعترف بشخصيتي البشعة وبطباعي السيئة . أعترف بتقلبي وميلي إلى التغيير . ولكن ليس هذا ما في الأمر . هناك ما حدث منذ شهرين . . .

فـــانيــــســـــا : (ضاحكة في عصبية) ألم أكن أعرف ذلك ؟

آدم : اعتقد أنه كان مجرد كابوس عابر ، حلم مزعج سرعان ما سوف يمضي إلى حاله ، وأعود لأكون آدمك القديم . ولكن شيئا من هذا لم يحدث . ومضى الكابوس يستحوذ على أفكاري كلها . .

فـــانيــــســـــا : (ضاحكة في عصبية) تتلمس أعذارا ، أعذارا فحسب . .

آدم : اعتذارا ؟ . . (مواصلا حديثه) أقول لك كوابيس . . أتسمعين ؟ كنت أشعر بأننى مدان وأعرف أننى لست آثما . . . كل يوم كنت أقرر أن أعود إلى ما كنت عليه فى الأيام الخوالى ، ولكن ما من شىء حدث . وعندما قررت فى النهاية أن أواجهك ، اعتقدت أننى سوف أقدر . وكل ليلة كنت أطارحك فيها الغرام ، لبثت أضغط على نفسى موهما إياها أن ما من شىء يحدث ، ولكن كل هذا كان بلا جدوى . عندما كنت أتحاسب مع ضميرى على ما كان يحدث ، كان عقلى يتوقف ويصاب بالشلل ، وجسدى يسرى فيه خدر . . وأنت كنت تطلبين منى حبا ، لم يكن له وجود . .

فانيسا : ولماذا ؟

آدم : لأننى لا أحبك . . . .

فانيسا : (مزمجرة مولولة) كيف ، ولماذا ؟

آدم : (بقوة) لا يوجد تفسير . . هذا ما كنت أشعر به ، فحسب .

فانيسا : (تقترب منه وترفع يدها كى تصفعه) لماذا ؟ ألا أروق لك ؟

آدم : لك أن تفهمى الأمر على ما تشائين .

(يخطف يديها ويمسك بهما . ويواجه كل منهما بالآخر) أجل . . أجل . . .

فـانيـسـا : (تحاول الإفلات من قبضته) ماذا فعلت أنا ؟ لماذا لا أروق لك ؟ هل كنت تريدنى أن أتشبه بالعاهرات ؟ هل تريد أن أكون عاهرة ؟ ماذا تريد ؟ .

آدم : أنت تجعلين من نفسك اضحوكة . . .

فـانيـسـا : سبق أن قلت لى ذلك . أجل ، إذن ، فأنا أضحوكة . وسوف أضحى عاهرة . . تريد ذلك ، أليس كذلك ؟

آدم : (بصوت اقوى) أنت مجنونة .

أنت مجنونة . . (تنظر اليه فانيسا بلونه . ثم تهوى واقعة إلى الأرض . يحاول آدم أن يجعلها تتمالك نفسها . ثم فى النهاية يجرى إلى المطبخ ، ويعود حاملا كوبا من الماء . تجرعه فتفيق إلى ما حولها) .

فـانيـسـا : آدم . . أشكرك . . . .

آدم : هل أنت على ما يرام ؟

فـانيـسـا : ليس بى شىء . أنا بخير . . وأنت بخير . . وكلنا بخير . . هل أنهض ؟

آدم : أتستطيعين ؟

فـانيـسـا : بعونك ، استطيع بالطبع . (يعاونها آدم على النهوض . ثم يمضى الهوينا إلى النافذة وينظر وراء الزجاج) توقف . توقف المطر . . هل سترحل ، يا آدم ؟

آدم : كلا . . (تلتفت إليه فانيسا وتنظر إليه نظرات تكاد تكون سعيدة) . كلا ، لن أرحل قبل أن تستردّى عافيتك . .

فانيسا : ولكنني .. بخير .. إسمعني .. بعد ما حدث أشعر أنني كنت مضحكة ..

آدم : اسكتي !

فانيسا : لهذا يجب أن نفعل شيئا ، كي ينمحي من ذاكرتينا هذا المشهد السمج . هل تريد ذلك ؟

آدم : فانيسا ، أنت مريضة ...

فانيسا : لا تشرع من جديد في توجيه الاهانات إلي ، يا آدم . إني على خير ما يرام ... وأريد أن ننفصل على نحو متحضر قدر الامكان .. بلا مآس ونوبات هستيرية .. وأنت بدورك تفضل ذلك .. أعرف ، ولهذا ، انتظر ... (تضع يدها وراء كتفها وتحاول أن تفك ازرار ردائها الخلفية .)

آدم : فانيسا ، ماذا تفعلين ؟

فانيسا : لا تنزعج (تضحك) لا أنوي أن أحتفظ بها مؤدية أمامك رقصة الاستريبتير (تمكنت من فض أزرار ردائها) وإنما أنوي أن أغير ملابسي ، كي نفترق على أكرم نحو يستطيع زوجان أن يفترقا عليه . أقصد على نحو أرستقراطي . هل يروق لك ذلك ؟

آدم : فانيسا أرجوك .. (بغضب) لا تخلعي ملابسك أمامي ...

فـــانيـــســـا : (ضاحكة) حسنا ، حسنا ، يا آدم . .

(تستدير وتمضى متجهة إلى غرفة النوم . تتمهل عند بابها ، وتتحدث إليه بلهجة جادة لا تخلو من اضطراب) فقط ، أعد شيئا نشربه ودعك من سحنتك الجهمة هذه . . أرجوك . . لا أستطيع أن أراك تنظر إلى هكذا . . ولا أريد أن أبكى أمامك . . يا آدم . .

(تدخل الغرفة . يشعل آدم سيجارة ويجمع الاشياء من الأرض . ثم يجلس على الوسائد . ويضع اسطوانة " حكاية المطر " على البيك آب ، ويجهز الكاسان) .

فـــانيـــســـا : (من غرفة النوم) آدم . . لماذا أدرت " حكايات المطر " ؟ المطر توقف ، بالخارج . (تضحك) وحكايتنا نحن انتهت .

آدم : لا تضحكى ، يا فانيسا . . .

فـــانيـــســـا : (تدخل مرتدية ثوبا من ثياب السهرة . وتحمل معطف آدم وكوفيته) آدم ! (بلهجة من تثار لنفسها) هل أعجبك ؟

آدم : لماذا تعاودين المهزلة ، يا فانيسا ؟ لماذا ؟

فـــانيـــســـا : ولكن . . يا آدم ، أننا نفترق ، بلا مآس . هذا كل ما فى الأمر (تغير من لهجتها) إنك لم تجبنى ؟ هل أعجبك ؟ أروق لك ؟

آدم : أجل . وعلى الدوام كنت تروقين لى ، وأعجب بك . ولكن ما هذا الذى تتأبطينه ؟

فانيسا : ما تراه بالضبط (بنبرة سخرية) حذارى إذا ما رحلت . لا أريدك أن تقفل راجعا بعد خمس دقائق ، لاننى إذا ما عدت لن أتركك ترحل من جديد . استوفيت فرصة كافية كى تتخذ قرارك هذه الآونة الأخيرة !

آدم : فانيسا ، ما الذى تحاولين قوله ؟

فانيسا : (بلهجة تشف) أننا نفترق .. وسنظل صديقين ..

آدم : ما الذى يلجئك إلى هذا الهزل ؟

فانيسا : إننى أهزل . ولكن ما الذى يجعلك لازلت تستبقى هذه الموسيقى ؟ (تمضى إلى البيك-آب وتوقفه) إذن ؟ سوف .. سوف ترحل ؟

آدم : (مستاء من استفزازها) أجل .. احتملتك بما فيه الكفاية .. ألا تعتقدين ذلك ؟

فانيسا : (بسخرية) وماذا أفعل ؟ الدور المسند إلى يحتم على ذلك (تناوله معطفه وكوفيته . فيرتديهما بسرعة . وباضطراب يتوجه إلى الباب ، يفتحه .. ولكنه يتلكأ فى الخرق) .

آدم : (بنزعة إلى العاطفية) سلاما ، يا فانيسا .

(يخطو خطوة أو خطوتين إلى الامام) .

فانيسا : سلاما . لا داعي أن تقبلنى !

(يدقق آدم النظر إليها) آدم ! . . لماذا ينادونك ، يا آدم ؟

آدم : لا أحد يناديني . . أنت وحدك تهتفين بهذا الإسم . أن إسمي . . . . . .

فـــانيـــســـا : (تقاطعه بإيماءه من يدها) لم يعد لذلك بعد الآن معنى . . . سلاما . . . يا آدم . .

(يخرج آدم من الحجرة . تقترب فانيسا من الباب الزجاجي . وتراقب ساكنة ما يحدث بالخارج . ثم تعود بعد قليل إلى الحاكى وتديره وتنكب على الاستماع إلى " حكايات المطر " . يفد وقع خطوات تصعد درجات السلم ، فتجرى بلهفة ورجاء إلى الباب . وتفتح) .

فـــانيـــســـا : آدم ، يا حبيبى . . (عند عتبة الباب يقف رجل مجهول يرتدى معطفا ويحمل فى يده حقيبة . وإذ تراه فانيسا تدير له ظهرها وتغطى وجهها بيديها . ويند من شفتيها صوت مغمم باليأس والأسى) .

الرجل المجهول : (مرتبكا من وقع المفاجاة) معذرة ، هل أخفتك ؟

(يراها تفقد توازنها فيلقى بحقيبته ويهرع إليها ويمسك بها كى يتفادى سقوطها) ماذا حدث ؟

فـــانيـــســـا : (بهستيرية) اتركنى . .

(تفلت منه وتجرى إلى الحائط الزجاجي . تسند إليه ظهرها وتحملق فى الرجل بنظرات ملؤها الرعب . ولكن ما يلبث التعبير أن يتغير على قسماتها . وتسأله بصوت أنثوى)

ماذا تريد ؟

الرجل المجهول : (مرتبكا ازاء سلوكها الغريب تجاهه) تعرفين . . أنا مستخدم بشركة لأدوات التجميل (تضحك فانيسا) وكنت على وشك أن أطرق بابك لأسألك ما هي أدوات التجميل التي تستعملينها . وذلك من أجل دراسة تجريها الشركة . . شيء من قبيل الإحصاءات ، كما تعرفين. (يتوقف عن الكلام ، وهو يراها تضحك وتضحك بشدة وعصبية . غاضبا .) ما الذي ترينه مضحكا ؟ لماذا كنت تولولين في البداية ، والآن صرت تضحكين ببلاهة ؟ على أي حال ، ما الذي جرى لك ؟ بالله ، خبريني ما الذي جرى لك ؟

فانيسا : (بهدوء) تريد أن تعرف ماذا جرى لي ؟

الرجل المجهول : (باهتمام) أجل ، أجل . .

فانيسا : إذن . . تفضل بالجلوس (يهم الرجل المجهول بخلع معطفه فتقبل فانيسا راضية لتعاونه ، وهي تبتسم له) ما الشراب الذي تفضله ؟

الرجل المجهول : (وقد زايلته الرهبة) كونياك ! . . .

فانيسا : (مقتربة من الحاكي) سأجلب لك الشراب ، ولكن دعني أولاً أغير الموسيقى .

الرجل المجهول : وما السبب ؟ أنها موسيقى طيبة .

فانيسا : هل تروق لك ؟

الرجل المجهول : أجل . كما تروق لك أنت أيضا ، يا آنستي . . .

فانيسا : إسمي فانيسا . وأنت بلا شك اسمك آدم . . (يقترب كل منهما من الآخر ببطء . وقبل أن يتعانقا .. تخفت الإضاءة)

ستار

يورغوس سكورتيس

هموم الآخرين

الشخصيات

ماجدة
اليكوس

(المكان مكدس بالأشياء ويباد عليه الإهمال . تقوم ماجدة - وهى فى الأربعين من عمرها ، عصبية ، غير معتنية بمظهرها - بكى الملابس . من الغرفة الداخلية يسمع بكاء طفل . تترك المكواة بسرعة وتجرى إلى الداخل . يتوقف البكاء . تعود ماجدة حاملة الطفل فى حضنها ، وتهدهده . تضم الطفل إلى صدرها بذراع ، وتحاول أن تمضى فى كى الملابس بيدها الأخرى . وفجأة تتذكر شيئا . فتترك المكواة ، وتعكف على البحث من حولها ، ترفع الأشياء وتنظر تحتها . تعثر على منبه . تحاول ملأه بقلق ، وتجرى إلى المطبخ - الذى يبدو للعيان - وهى تحمل الطفل والمنبه . تحاول أن تفتح باب المطبخ ، فتضع الطفل فى الحوض ثم تعود إلى حمله ، تبحث عن مكان تضع فيه المنبه . وفى النهاية تلقى به فوق كومة من الثياب . تشعل الموقد ، وتتناول قدرا تضعه على النار ، ثم تجرى إلى المكواة ، وتضعها فى وضع عمودى حتى لا تحرق الثوب المكوى . تعود إلى المطبخ ، وتقلب ما فى القدر من طعام . ترش عليه بعض الملح . كل ذلك والطفل فى حضنها ، وقد بدا عليها القلق .

يرن التليفون . تحاول بجنون أن تعثر عليه لكنها لا تجده . يرن التليفون أربع مرات ثم يكف . تكتئب ويزداد قلقها . وفجأة يتغير مسلكها . تقبل الطفل ، وتهدهده ، وتلاعبه ، وتبتسم له ، وتحمله إلى الغرفة الداخلية) .

يرن التليفون من جديد .. تأتى ماجدة من الداخل ، وهى تجرى بدون الطفل . ولكن ما أن تهم بالبحث عن التليفون حتى يتعالى بكاء الطفل ، فتتوقف ، ولا تعرف إلى أين تذهب أولا . وفى النهاية تعود إلى غرفة الطفل . فيكف البكاء . ثم تعود ماجدة مسرعة للرد على التليفون . ولكنه الآن وبعد أن رن خمس رنات يتوقف ... يتابها الإحباط ، وتدور حول نفسها فى حركات هوجاء . توشك على البكاء ، وهى تخاطب الطفل . وفجأة تجرى إلى المطبخ ، ترفع غطاء القدر . تلسع يدها ، فتلقى بالغطاء إلى الأرض ، وتضع أصبعها فى فمها ... تترك القدر بغير غطاء وتجرى إلى مقدمة المسرح تبحث عن شىء ، وهى تحمل الطفل فى حضنها ، واضعة إصبعها فى فمها . تركل أشياء مختلفة تلتقى بها فى طريقها . تعثر مصادفة على أحد المجلات ، فتقلب صفحاتها بقدمها العارية ، وتشاهد الصور فى هدوء . تجد أمامها المذياع فتفتحه بغير مبالاة ، وتواصل البحث ... يقدم المذياع برنامج لربات البيوت ، ولكن ما يقال فيه يخالف تماما كل ما تفعله ماجدة . تأخذ الطفل إلى الغرفة الداخلية .

يفتح باب الشقة فى هدوء بمفتاح ، ويدخل اليكوس زوجها وهو فى الخمسين يبدو عليه أنه موظف متحفظ خجول ... يغلق الباب برفق ، ويتأمل الفوضى الضاربة أطنابها فى البيت . يبدو عليه القلق بدوره . ولكن قلقه تختلف مظاهره عن قلق ماجدة . فإذا كانت هذه عصبية الحركات ، فإنه على العكس ساكن الإيماءات ... ويبدو عليه أن ثمة شيئا داخلياً يعذبه ، مشكلة ما تعكس على قسمات وجهه حزنا عميقاً ... يقف عند الباب فى حالة من اليأس ...

تأتي ماجدة ، بدون الطفل ، ولا زالت تدس إصبعها في فمها ، وتواصل البحث . ويمنعها استغراقها من أن ترى زوجها فوراً . وفجأة ، تتذكر المكواة . تجرى وتنزعها من (البريزة) ثم تهرول إلى المطبخ وإلى القدر ... وفي طريقها إلى هناك تلمح اليكوس . ولكنها لا تتوقف تتكلم إليه وهي مارة به .

ماجدة : آخ ! . .

اليكوس : سلاما ، يا ماجدة . . .

ماجدة : (من الآن فصاعدا ستتكلم إلى اليكوس دون توقف ودون أن تعيره التفاتا . وسيكون حديثها ناضحا بالمعاناة ، مثلما يبدو على حركاتها . وستتحرك بلا انقطاع ، وتؤدى عدة أعمال ، دون أن تنجز أيا منها ، تترك عملا لتجرى إلى غيره ، وذلك كما كان حالها قبل أن يأتي اليكوس)

سلاما . الطفل ليس في حالة طيبة اليوم . إنه دائب البكاء . يبدو لي أنه عصبي المزاج . لا استطيع أن افهم كيف يكون الأطفال عصبيي المزاج . هذه المخلوقات الصغيرة كيف يكونون عصبيين .

(لا زال المذياع يبث إرساله . يقف اليكوس متوترا متصلب القوام كما لو لم يكن في بيته . ويغلق المذياع بحركة صريحة . ولكن ماجدة لا تنتبه حتى إلى ذلك ...)

الأولاد يشبهونك ، على ما يبدو . الولد الكبير انفلت عياره . ما عاد بإمكانه أن تتحدث إليه . يثور . تقول له " يا بني لا تصح . الزم هدوءك . لا تجدى الأعصاب الثائرة الإنسان في شيء " لكنه يزداد صخبا ، ويكسر الأكواب .

(يحاول اليكوس أن يخلي مقعدا تكدست عليها أشياء ، كي يجلس ... تواصل ماجدة انشغالاتها في كي الملابس ، والمطبخ ، وغير ذلك) .

السيكوس : هل كسر كوبا آخر ؟

ماجدة : لا أعرف كيف يحدث هذا . . . أجل . . . هل أنت متعب ؟ . . . جائع ؟ . . . لحظة واحدة . . . بعد لحظة أفرغ .

السيكوس : اجلسى إلى جوارى ، قليلاً .

ماجدة : إنى قادمة . . . لحظة واحدة . . . (تضع كويس المكواة) هل وضعت ملحا فى الطعام ؟

السيكوس : ماذا ؟

ماجدة : ملحا . أقول ملحا . أجل وضعت . ولكن حتى لو لم أكن قد وضعت ، ضع أنت ، إذا أردت ، أليس كذلك ؟ قال الولد الكبير أنه لن يأتى لتناول الغداء . أنه على موعد . هو مدعو للغداء . فى الآونة الأخيرة، يدعونه للغداء كثيرا . تللدهم ، تربيهم ، تشقى من أجل أن يكبروا، وفجأة يقولون لك "أنا مدعو للغداء" وهوب ، تفقدهم ألم نفقد ماريا بهذه الطريقة ؟ بينما كانت تؤنسنى ، وتضحك لى ، وتلعب معى ، صاحت بى فجأة " إنى راحلة " أين وجدت نيقوس ؟ متى كلمته ؟ متى رتبا أمورهما معا ؟ متى تزوجا ؟ راحت هى الأخرى . . . (تشرع فى كى بعض ملابسه الداخلية) ملابسك الداخلية تتسخ كثيرا . . لا يضيرنى أنا ذلك ،

ولكن من أجل صالحك ، يجب أن تذهب إلى طبيب ، كى يعطيك علاجا للبواسير .

السيكوس : ليس الأمر بذى أهمية . إلقى عنك كل هذا .. وتعالى اجلسى معى قليلا !

ماجدة : أنت تقول لى ذلك ... تقدمت بنا السن ، ويجب أن نكون أكثر حذرا . أقول لك يجب أن ترتدى سراويل داخلية من الصوف ، لكنك تتصرف كصبى ، وتلبس سراويل داخلية قصيرة ، تختارها زرقاء اللون . (تضحك) سراويل داخلية قصيرة ، سراويل داخلية قصيرة ، ولكن عليك أن تهتم بالبواسير ...

السيكوس : (يبدو عليه على الدوام أن لديه ما يريد أن يقوله لها) ماجدة ...

ماجدة : الطفل دائب البكاء .. وددت أن أعرف ما الذى يريده ببكائه .

السيكوس : ماجدة ... أريد أن أقول لك شيئا .

ماجدة : الأكل ... (تجرى إلى الطبخ ، تقلب الطعام ، تلسع يداها الاثنتان ، تحاول أن تختبر مذاق الطعام ، تلسع شفتاها . توجه إلى زوجها بعض الإيماءات كى يرفع المكواة عن السروال . لا يفهم اليكوس ما تقصده . يلتهب فمها . تجرى ممسكة بالملعقة الكبيرة فى يدها ، ترفع المكواة ، تتساقط بعض قطرات من الصلصة على الملابس البيضاء . ينتابها اليأس . تقذف الملعقة إلى المطبخ . تتناول أحد الملابس البيضاء تبصق عليه ، تدعكه ... تثبط همتها ... تلقى به) .

الـــيـكـــوس : (برقة وحياء) لا يهم ذلك .. قلت لك أن تستأجرى خادمة لمساعدتك ..

مـــاجـــــدة : لماذا تقول لى ذلك ؟ (تنخرط فى لهجة احتجاج) ألا أجيد عمل البيت ؟ ألا يعجبك الطعام ؟ الأننى وسخت هذا السروال ؟..

الـــيـكـــوس : كلا ! كلا ! ليس هذا هو السبب ، بل أقصد كى لا ترهقى نفسك ... كل هذه السنين تفنين نفسك هنا ... آن الأوان أن تكفى .. اجلسى إلى قليلا .

مـــاجـــــدة : (تسترد اعصابها . تذهب إلى القدر) إننى لا أتعب ... يعجبنى عمل البيت . تتصور أننى استعين بخادمة ، هيه ؟ تطبخ لى ، وتغسل لى ! وأنا ماذا سأفعل ، إذن؟ سأجلس انظر إليها ؟ سوف اجن قال لى الولد الكبير أول أمس " كفى ، فى النهاية . طوال النهار تصولين وتجولين . اجلسى ولو مرة واحدة ! " ولكن أين أجلس ! .. وإذا جلست منذا الذى سيغسل لكم ، ومنذا الذى سيطهو لكم الطعام ... وبعد كل ذلك ، يبدى استياءه ، ويقول " لى أم ، ولا أرى أمى . أمى موجودة وغير موجودة " أتسمع ما يقول ؟ ماذا يريد ؟ لقد أرضعته وربيته . وضربته وغمرته بقبلاتى . ماذا يريد أكثر من ذلك ؟ صار فتى يافعا الأن ، ولكنه

غاضب منى ، لأننى نسيت أن أخبره أن ميمى طلبته فى التليفون . . ميمى ! هل رأيت أنت ميمى هذه ؟

السيكوس : مرة واحدة . . . فى الشارع .

ماجدة : أما أنا فلم أرها ، ولا حتى فى الشارع . أسمع عن ميمى ، ولا أرى ميمى . يا لها من مفارقة ، هيه ؟

السيكوس : أجل ، يا ماجدة . . أريد . . .

ماجدة : تريد قهوة . انتظر . سأعد لك قدحا .

السيكوس : لا أريد قهوة !

ماجدة : كأسا من الشراب ؟ أو أى شىء آخر ؟

السيكوس : أريدك أن تجلسى معى قليلا . . لنتحادث .

ماجدة : حالا . . . لحظة وأفرغ لك . يبدو أن بك شيئا اليوم . تبدو مختلفا . لست أدرى ما خطبك . من حسن حظك أنى لك . أيه ، أليس هذا صحيحا ؟

السيكوس : أجل .

ماجدة : من حسن الحظ أننى لك ، وأنت لى . وإلا ، بعد أن صارت الحياة إلى ما صارت إليه اليوم ، لكان الأمر لا يطاق . وددت أن أعرف منذا الذى يفسد الحياة . . . كيف حال عملك اليوم ؟

السيكوس : على ما يرام . كالمعتاد . .

مــــاجـــــدة : هل بدت البقعة لأحد ؟

الــيكـــوس : ماذا ؟

مــــاجـــــدة : البقعة التى على قميصك . . هل رأوها ؟

الــيكـــوس : ولا أحد لاحظها . . .

مــــاجـــــدة : انتظرت أن تـكلمنى فى التـليـفـون ! تلهــفـت أن تكلمنى . . انتظرت . . رحت أقـول لنفس " الآن ، سيمسك التليفون ويكلمنى . الآن سيمسك التليفون ويكلمنى " وظلــت نظـراتى عـالقة بالتلـيفـون طوال الوقت .

الــيكـــوس : اتصلت بك .

مــــاجـــــدة : أجل . . آه ، أجل . . لكنى لم أجد التليـفون ، هذا التليفون الملعون . . . يخبـئه ذلك الولد المكير . يخفى عنى التليفون . . . لا أعرف ماذا يفعل به ، يلعب . . يخبـئه فى مكــان ما ، يتـلفه . . . لا أعــرف . . . أى حزب هو منضم إليه الآن . هل تعرف ؟

الــيكـــوس : كلا . إننا لا نتبادل الحديث . . .

مــــاجـــــدة : أراهنك أنه منضم إلى حـزب مـيمى . إلى أى حـزب من الأحزاب تنتمى هذه البنت ؟

السيكوس : لا أعرف ! . . قلت لك أننى رأيتها مرة وحيدة ، مصادفة . ولم نتبادل كلمة . . . كفى قليلا . . وتعالى ، اجلسى . . .

ماجدة : ولم تتبادلا كلمة ؟ ولا كلمة . . ولا كلمة ؟

السيكوس : ولا كلمة .

ماجدة : على أى حال ، يبدو لى أنها بنت طيبة .

السيكوس : كيف ، ما دمت لا تعرفينها !

ماجدة : إنى أعرف كل شيء ، لا تزعج بالك . . وهل كنت أعرف نيقوس ؟ ولكن ما داما قد تزوجا ، وأتت به إلينا فى البيت ، بادرت وقلت لها " كنت أعرف أنه فتى طيب ! " ضاع منا الأبن أيضا . . . لم يبق لنا إلا الصغير . انت لم تكن تريده بالطبع ، ولكن اسألنى أنا . . . وعلى أى حال ، لا أذكر أن الآخرين كانا يبكيان فى طفولتهما ، هل تذكر أنت ؟ ولكن مستحيل ، لابد أنهما كانا يبكيان . إنهم جميعا عصبيون ، مثل أبيهم . . جعلك عمل المكتب رجلا عصبيا . . خذ اجازتك لتستريح . . . ما موعد إجازتك ؟

السيكوس : اخذت الاجازة ، يا ماجدة .

ماجدة : آه ، حقا ، نسيت ذلك ... أمضيتها فى الجزيرة .. الحياة جميلة فى الجزيرة .. هيه ؟ إننى وإن كنت من الجزر إلا أننى لم أذهب إلى جزيرة قط ! أمضيت وقتا طيبا ؟

السيكوس : سبق أن قلت لك ، يا ماجدة ...

ماجدة : قله لى مرة أخرى . ماذا سنفعل ؟ حتى الكلام نمتنع عنه ؟ إذا شئت ذلك ، فاننا بالطبع لن نتكلم ... يمكننى أن أتكلم وحدى . اليوم - اسمع ذلك لتضحك - اليوم تكلمت لأول مرة مع (شبشبى) هل تصدق ؟ أقسم لك أن ذلك حدث . فجأة ، وأنا أهم بارتدائه ، خيل لى أنه يفتح فمه . صحت فيه " لا تفتح لى فمك ! " قلت له ذلك ، وهددته بأنى سألهبه بالفلفل ! وأمسكت بالفلفل وسودت له فمه ! ... سودته ! ... فلم ينطق بعد ذلك بكلمة ! ... وبعد ذلك ، أشفقت عليه طبعا ، فأخذته فى حضنى ، وصالحته ...

(ينفتح الطفل فى البكاء)

الولد ! ... (تجرى إلى الغرفة الداخلية) .

السيكوس : (يشعل سيجارة بيد ترتعش . تبدو عليه الهزيمة . تغطى وجهه مسحة من الحزن العميق) .

ماجدة : (تخرج وهى تدلل الطفل بمحبة . تذهب إلى المطبخ . وتطفىء الموقد . وتعد الأطباق) .

السيكوس : (كان قد نهض واقفا من قبل ، فيعود إلى الجلوس واجفا) .

ماجدة : (تترك الأطباق ، وتنصرف إلى ملاعبه الطفل ، ثم تنظف المائدة) .

السيكوس : (ينهض ليساعدها) .

ماجدة : اجلس ، اجلس . ماذا تظن ، إننى لا أستطيع ؟ انى متعبة قليلا ، قليلا فحسب . أعبائى كثيرة ، لكننى انجح فى تأديتها . اجلس انت ، ودخن سيجارة . ألا تريد أن تشرب قهوة ؟

السيكوس : كلا . . . لا أستطيع أن أتناول شيئا .

ماجدة : بك اليوم شىء ، وتخفيه عنى . هيه ؟

السيكوس : سأقول لك . تعالى اجلسى . اتركى كل شىء !

ماجدة : لحظة واحدة ، وسأفرغ لك . . . إنى أفلح فى أداء أعمال البيت ، ألا أفلح فى ذلك ؟

السيكوس : أجل ، يا ماجدة ، تفلحين . لكنك لا تجلسين أبدا . الولد ، على حق .

مـــاجـــــدة : (مشدوهة) أى حـــق ! أعنى ، كـيف يكون الولد على حق ! أى ولد ؟

الـــيكـــوس : عمل طوال الوقت ، على الدوام تعـملين . لاتتحدثين إلينا أبداً . لا نتحدث معا أبدا . ولا شئ نفعل أبدا . لا تتحدثين إلى الولد أبدا .

مـــاجـــــدة : أنا ؟ لا أتحدث أنا إلى أولادى ؟

الـــيكـــوس : تتحدثين . ولكن هؤلاء . . . كما تعرفين . . . بحاجة إلى لحظة هدوء الآن . يريدونـك أن تضحكى مـعـهم قليلا أن تلعبى ، أن تذهبى إلى السينما .

مـــاجـــــدة : أنا لا أضحك ! آخ !! . أنا لا أضحك ! إنى أضحك وألعب أيضا . . . إنى لا أفهم (تشير إلى الطفل) ألم أكن ألاعبه منذ برهة . . ألم أكن أبتـسم إليه . . . لا أفهم لـماذا تتـهمـوننى . . لا أفهم لـماذا تعـتبـروننى غـير صالحـة . . . (عن الطفل) وهذا بدوره عندما يكبـر غدا سيقول لى أننى لم ألاعـبه ، ولـم أبتسم إليه قط (تترك الطفل ، وتمضى إلى المطبخ متمتمة) . . . لقد ذبل ثديى . . .

الـــيكـــوس : لـماذا لا تجلبين شـغـالة تعنى لـك بالطفل؟ . . . كى تلتفتى إلى نفسك قليلا . . . طوال الوقت أنت مدفونة هنا ، مدفونه هنا . ألنت بحاجة إلى الراحة . . . نحن بحاجة جميعا إلى ذلك .

مـــاجـــــدة : أجل ، بالطبع . . . يجب أن أذهب إلى السـينما . . . هل يعـــرض فـيلــم طيب ؟ يعـــجـبنى دوجـــلاس فـيـربانكس . أجـل ، هـــذا النجم أحب أن أشـاهد

أفلامـه ! بلا شك ، يجب أن أذهب إلى السـينما . . ولكن مع من أذهب ؟ الأولاد يذهبون إلى حيث يروق لهم . إلى أفلام غير ما أريد مشاهدتها . ماريا تذهب مع نيـقـوس . والولد الـكبـير مـع مـيـمى . وأنت متعب . . . والطفل أين سأتركه ؟ . . . عند من ؟

الـــيكـــوس : قلت لك أكـثر من مـرة . . . أحضـرى شغـالة . . . سوف نذهب معا إلى السينما .

مــــاجــــدة : لوكـانت لى صديـقة ! أنا التى يعـجـبنى أن يكون لى صديقات ، ليس لى صديقة واحدة !

الـــيكـــوس : ليس بإمكانك أن تعـيشى هكذا مدفـونة هنا . لا أحد منا بإمكانه ذلك !

مــــاجــــدة : عندى زوجى ، وأولادى ، وبيـــتى ، وطفلى ، آه ، أتراه ؟ إنه لا يبكى الآن ! أحسنت ، يابنى الصـغير . كـانت أمى تـقـول لى « عليك أن تكـونى ربة بيت . وعلى الزوجة أن تعـرف كل شئ . من إنجاب الأولاد حتى غـسيـل الملابـس الداخلية ، دون أن تتـقزز من ذلك . » وأنا لم أتقزز منك قط .

الـــيكـــوس : ليس هذا وحده كل ما فى الأمر . . .

مــــاجــــدة : أن ألبى كل طلب . فقط إطلب ما تريد . . .

الـــيكـــوس : ما عدت اسـتطيع أن اطلب شيئا ، يا مـاجدة ! تعالى اجلسى . تعالى اجلسى ، نتحادث قليلا .

مــــاجــــدة : قل مـا عندك . إنى اسمـعك . . . يعـجبنى جـدا أن أتحـادث معك . . . وإن كـان يبدو لـى أن ثمة شـيئـا

يحدث اليوم . ولكن الأمر مجرد خاطر طرأ عليّ . لا تكترث لذلك ، على الدوام أقول لك كلاما مثل هذا ، ولايحدث شئ أبدا .

اليكوس : عندى ما هو جسيم ، أريد أن أقوله لك .

ماجدة : ستترك المكتب ؟

اليكوس : كلا ، يا ماجدة ! سأ . . . (يتوقف عن اتمام قوله يائسا) .

ماجدة : جحيم هذا المكتب . إذا كان بقاؤك فيه يعنى موتك ، من الأفضل أن تتركه . أنت المهم . ستجد عملا آخر حالا . وعلى أسوأ الفروض سألتحق بعمل أنا أيضا . ولماذا لا أعمل أنا أيضا . هيه ؟ لماذا أجلس فى البيت وانتظر منك كل شئ ؟ هل أنت أسير عندى ؟ أنت زوجى . سأذهب أنا أيضا وأعمل . . . سأجد عملا . اطمئن . . . ولا تقلق ، سأوفق فى الجمع بين عملى فى البيت ، وعمل المكتب ، والأولاد ، وأنت . . . الشئ الوحيد الذى أخافه هو أن أصير عصبية ، مثلك . . . يضايقك واحد ، يضايقك آخر . . أعصابك تتحطم . وإذا تحطمت فقل على الدينا السلام .

اليكوس : ماجدة ! . . .

ماجدة : أنك تنطق باسمى كثيرا اليوم . يروق لى ذلك . . . كففت عن النطق به منذ وقت طويل . . . أوه ،أوه ، أوه ! اليوم نطقت به خمس مرات . إنى أحصيها . . . خل عنك . . ليلة أمس كنت تتكلم وأنت نائم . . .

السيكوس : (مرتعبا) ماذا كنت أقول ؟

ماجدة : شيئا ما . لا أعرف . لم أجلس لأصغى . . . كنت تصرخ . . ربما كنت ترى حلما مزعجا . ما الذى كنت تراه ؟

السيكوس : لا أذكر .

ماجدة : وهل أنا أذكر ؟ أننى لا أذكر حتى إذا كنت أرى أحلاما ، حقا . الليلة قبل البارحة كنت تشخر ولكننى استيقظت . . . هذه الآونة الأخيرة ، ما عدت بقادرة حتى أن أنام . . كنت أنت نائما . أنت تنام نوما عميقا . متعب أنت ، ولكننى احرص على عدم إزعاجك ، لا تستطيع أن تنكر ذلك . نهضت ، وذهبت إلى غرفة الطفل وسمعته يتمتم بشئ . . . هل تتصور ذلك ؟ هذا الطفل الرضيع ! ثم ابتسم ! لعله كان يرى حلما . . . هل تعتقد أنه كان يرانى فى حلمه ويبتسم لى ؟ كان الولد الكبير متغيبا مرة أخرى . لابد أنه كان مع ميمى ! بالأمس كسر صحنين من جديد . بغير ما سبب ! كنت قد خرجت لعملك ، وأنا كنت أرتب البيت . أنت تعرف ، هذه التحرشات اليومية . إدعى أننى أقلقت نومه وأنا أذرع الشقة جيئة وذهابا . قلت له « ماذا تريدنى أن أفعل ؟ أن أذرع الشقة صعودا وهبوطا ؟ ابنوا لى بيتا مختلفا عن هذا وسترون أننى سأذرع الشقة صعودا وهبوطا ، صعودا وهبوطا . » عندئذ ، أجل ، سأكف عن المجئ والذهاب . . .

هل جعت ؟ لحظة واحدة . الأكل جاهز . . . لم تكلمنى ماريا فى التليفون اليوم أيضا . بينما قلت لها مرارا « يا بنيتى ، أمسكى التليفون وكلمينى . قولى لى فحسب السلام عليك يا أمى ، واقفلى السكة » أتعرف ماذا قالت لى « لا أستطيع ، كلما سمعتك أخاف أن أصاب بالجنون » أسمعت ؟ هذه ابنتى . الجوهرة المصون . حمدا لله ، أنت باق لى . وددت أن أعرف ماذا كنت سأصبح لو أضحيت بدونك . الأولاد ، يرحلون ، يتركونك ، يتخلون عنك ويهجرونك . أنت ترحل ولكنك تعود .

البكوس : (يكاد يكلم نفسه ، يائسا) اسكتى ! .

ماجدة : هيه . . . هل قلت شيئا ؟

البكوس : كلا . الطعام تفوح منه نكهة طيبة . . .

ماجدة : أجل . علمتنى أمى كل شئ . كانت تقول لى « يجب أن تكونى زوجة صالحة » عملت بنصائحها ، وها هى النكهة الطيبة تفوح من طعامى الآن . وأنجبت لك ثلاثة أولاد . على أن ثمة أمرا واحدا لا أفهمه . . . سبق أن حدثتك فيه : السياسة . أمور السياسة هذه تحير عقلى . طوال النهار لا أفكر إلا فى السياسة . السياسة هنا ، السياسة هناك . وأقول لنفسى « ماذا سيحدث ؟ » ثم أرد على نفسى قائلة « كل شئ سيكون على ما يرام . وأنا ؟ فى أى حزب أنا ؟ أريد أن تدلنى . أريد أن أعرف فى أى حزب أنا ؟ لهذا

الأمر أهميته . سأصل إلى قرار . لقد تركت ماريا أمور السياسة بدورها ، ما إن تزوجت . كفت عن الهتافات ، ونفضت عنها أمور السياسة كلها . باللخسارة . كنت أقول لنفسى سأسأل ماريا وستوضح لى كل شئ . ولكن فجأة ضاعت هذه منى . هل تشعر بالجوع ؟ هيه ؟ تعال ، اجلس ، الأكل جاهز . . اغسل يديك . . . سأذهب إلى غرفة الطفل وسأعود .

السيكوس : وأنت ، ألن تتناولى الطعام ؟

ماجدة : أيه ؟ كلا ، سبق لى أن تناولت لقمة .

السيكوس : متى ؟

ماجدة : (لا تتذكر) ماذا ؟ أترانى لم أتناول طعاما ؟ (تضحك) كلا ، أكلت . لابد أننى أكلت ، إجلس أنت . إذهب لتغسل يديك ، وسأحضر إليك . (تأخذ الطفل وتذهب إلى الغرفة الداخلية . يقضى اليكوس لحظات من الحزن العميق . يشعل سيجارة ، ويتناول منها نفساً عميقا . تعود ماجدة) .

ماجدة : كل شئ على ما يرام . نام . (تؤدى الآن أداء قاتنا ، ولكن بهستيرية، دور المضيفة . تنحنى له) طعامك جاهز ، يا صاحب السيادة . تفضل . هل غسلت يديك ، ياصاحب السيادة ؟ كلا ؟ لا يهم . سأتولى أنا غسلهما لسيادتك (تلحس كفى اليكوس بينما يكاد هو يختنق دون أن يستطيع أن يوقفها) أصبحتا لامعتين (تمسحهما بيديها) مثل المرآة ! آه فلأرى ، فلأرى نفسى قليلا . هيه ؟ (تنظر إلى نفسها فى كفيه ، كما لو

كانت تنظر فى مرآة) جميلة أنا ! حمدا لله ، مازلت جميلة ! كانت أمى تقول لى « يجب أن تكونى دائما جميلة ! جذابة ، فاتنة ! » أجل . . .

(اليكوس على وشك الانهيار)

اليكوس : ماجدة . . .

ماجدة : ماذا حدث لك ، هيه ؟ هل حدث لك شئ ؟ قل لى ماذا حدث ؟ وألا فلماذا أنا هنا ؟ لماذا أنا زوجتك ؟

اليكوس : اسكتى !

ماجدة : حسنا . . . فلنؤجل ذلك إلى ما بعد تناولك الطعام . سأغسل أنا الصحون وتكلمنى أنت . . لكن ألن تأكل ؟ لا تضغط على نفسك ! دع الأمر الآن ، دعه . . . أجل ، دعه لتأكل ، وفيما بعد تخبرنى . غدا تخبرنى . لدينا متسع من الوقت . اجلس وكل .

اليكوس : (لا يحتمل أكثر من ذلك . ينفجر ، ولكن بشجن عميق ، دون صياح . بحب لماجدة . وليس بكراهية .) لا أستطيع أن آكل ، يا ماجدة ! لا أستطيع أن أبتلع المزيد ، أن أبتلع المزيد ! . . . أن أبتلع المزيد ! يجب أن أكلمك ! يجب أن تسمعينى مرة واحدة . ليس لدينا وقت ، يا ماجدة . أريد أن تسمعينى ، دون أن تنشغلى بعمل ! مرة واحدة ، تبدين أنك تسمعين ، أنك تفهمين ، إنك تشعرين أن ثمة من بجوارك . أنت أمراة ، يا ماجدة . . . لا أستطيع أكثر من ذلك . لا أحتمل . من المؤسف يا ماجدة ، ولكن ليس ما يمكن عمله بعد كل ذلك .

لا مفر ، الآن لا يمكن أن تمضى الأمور على هذا النحو . أفهمى ذلك، يا ماجدة ! . . . سوف أرحل ، يا ماجدة ! سوف نفترق . سوف أرحل . سأتركك ، لا أطيق المزيد . سأطلقك ! . . .

(بعد أن كانت ماجدة تتابع انفجار اليكوس هذا بابتسامه حنون ، تتبين حقيقة الأمر فجأة ... ولبرهة ستمر بكل حالات الانفعال الممكنة ، وستعبر عن شتى الأحاسيس التى تجيش بنفسها ، ستضحك بعصبية ، ثم تكتسى بمسحة من الجد، ستهم بالكلام لكنها ستجفل مرتعبة ، تضحك ، تجن ، تصاب بالبكم ، تطلق صرخات مبهمة ، تمسك شعرها ، تتحس وجهها ، تنظر إلى ملابسها وإلى يديها ، تتفقد جسمها ، تجيل نظرات يائسة فيما حولها ، تعض شفتيها . دقيقة دقيقتين ، ثلاث دقائق ... ثم يسمع بكاء الطفل .)

ماجـــدة : (تجزع ، وتضيق لنفسها) آه ! الطفل ! . . . الطفل . . . نام جوعانا ! إنى ذاهبة إلى الطفل ! ذاهبة إلى الطفل !

(تجرى إلى الغرفة الداخلية . أما اليكوس فبعد لحظة ينفجر فى البكاء)

ستار

يورغوس سكورتيس

العواطلى

(ميناه امرأة من عامة الشعب يتـراوح سنها بين الخامسة والثلاثين والأربعين ، يبدو عليـها التعب والمسكنة ، تصـلح من زينتها أمـام مرآة ، وترتدى ثوبا من ثياب البيت . وعندما نقول تصلح زينتها يكون هـذا قولا فيه مبالغة ، مادامت بحالتها التى هى عليها يتعـذر انصلاح زينتها . بين الفينة والفينة تدندن بمقطع لا يتغير من أغنيـة شعبية شائعة .. يفتـح الباب فيئز مقبضـه القديم لتهالكه - ويدخل فاسيلى .. وهو رجل من ذات سنها متعكر المزاج .. تجفل ميناه)

مــــيـنـاه : تبا لك، يافاسيلى ! تبا ! اخفتنى ! (تكف عن التزين)

فــاسـيـلى : (يسخر منها بايماءة) آه ، يامسكينة ! وهل تخافين أنت ؟ ! (يخلع سترته)

مــــيـنـاه : ما الأخبار ؟ (تشرع فى ترتيب هندامها)

فــاسـيـلى : لا شئ .

مــــيـنـاه : (حزينة) لا شئ من جديد ، هذه المرة أيضا ؟

فــاسـيـلى : وماذا كنـت تتوقعـين ؟ أن يحدث شئ جسـيم؟ انت نائمـة ؟ صح النوم ، أذن أم أنك كنت تتصـورين أن المجتمع يتغير هكذا ، فجأة ، بين يوم وليلة ؟

مــــيـنـاه : وما أدرانى أنـا ؟ النحس كله يحط علينا ؟

فــاسـيـلى : النحس يحط عـلى أصـحاب الـبنوك والمـال أيضـا ، ولكن هؤلاء يفـقـدون رصـيـدا ، وتبـقى لهم الوف الأرصدة الأخرى . اتفهمين ؟

مــــيـنـاه : وصلنى خطاب من أبى اليوم أيضـا .أنه لن يبيع قطعة الأرض. هذا ما يقوله، لأن السعر المعروض عليه قليل .

فــاسـيـلى : فليذهب هو وأرضـه إلى الشيطان ! أرضـه ، أرضه .

نفخ أمعاءنا بسيرة أرضه هذه . هاهى خمس سنوات مضت الآن ، وتمضى معها الأرض وحكايتها ! لايكف عن أن يردد لى قوله « يازوج ابنتى ، أجل ، يا زوج ابنتى، مهلا ، سأبيع الأرض ، وأصلح من حالك » . مللت هذه الأقوال من هذا العجوز القذر ، وسئمت سماعها ! اكتبى له ألا يطأ قدمه بعد الآن هنا .

مينـاه : ومـاذا تريده أن يفعل ؟ ! يبيع أرضه بثمن بخس ؟ بسعر التراب ؟

فـاسيلى : فليهنأ بها يا امرأة ، فلينقعها فى المـاء ، ويشربه . شئ مقرف . خيبة الله عليه . . .

مينـاه : يقول لو شئت فلنذهب إلى الجزيرة ، وسيساعدك على فتح محل الخضار ذاك الذى وعدك به . .

فـاسيلى : وأقول أنا كفاه بعثا للمرض فى أوصالى . . أهذه هى المكافأة التى أحصل عليها لقاء زواجى من ابنته ؟ ! محل خضرى ! ؟ محل خضرى ؟ ! ياله من شئ رائع ، رائع حقا ! إنها أمور سخف وهراء ، حقا . . يالصفاقة أبيك ، يا امرأة . يريدنا أن نترك العاصمة لنذهب إلى الجزيرة الجدباء نبيع خضروات . . . ويل له لو وطأت قدمه أثينا مرة أخرى . سوف يكون لى معه كلام أخر !

مينـاه : هل الأمر بهذه الصعوبة أن يوجد من أجلك أنت أيضا عمل . . . وأنت على هذا القدر من المعرفة ! ألم تقابل أولئك الناس اليوم ؟

٦

فاسيلى : حتى لو كنت قابلتهم ، ماذا كان سيحدث ؟ نفرض أننى قابلتهم ماذا كان سيتغير ؟ (يخرج سيجارة ويشعلها) هذا الروث ، ماذا سيكون أمره . لا أدرى . إلى أين تمضى هذه اللعبة ، لا أستطيع أن أفهم أننا حتى ورقة يناصيب لا نربحها . ليس لنا حظ فى ورقة يناصيب واحدة . واحدة فقط . ما رأيك ؟

ميناه : وهل اشتريت أنت قط واحدة ؟

فاسيلى : قلت لك أشترَى ورقة ! كم من مرة قلت لك ذلك ؟

ميناه : أمن المعقول أن تكون الرابحة من نصيبنا نحن ؟

فاسيلى : النحس الذى يلازمك . لايتركنا نكسب شيئاً ، أو نفلح فى شئ . . .

ميناه : عدت تلقى اللوم على من جديد ؟ حتى اليانصيب بحاجة إلى نقود ، يا فاسيلى إنه مكلف . . .

فاسيلى : يا نصيب ، لا ، جلا جلا ، لا ، سباق خيل ، لا . إذن عافاك الله وإبقاك . هل عندك ما يؤكل ؟

ميناه : لم أطبخ بعد .

فاسيلى : وهل الوقت مبكر ، يعنى ؟

ميناه : أيه ، يا فاسيلى ، اعتقدت أنك ستتأخر !

فاسيلى : أيه ، يا ميناه ، هل تلعبين بى ؟ هل اعتقدت أننى أضربت عن الأكل ، وأننى لن آكل بعد اليوم ؟ أرى ثيابا وأشم عطورا هنا ، إلى أين العزم بالسلامة ؟

ميناه : أبدا ، باقية فى البيت .

فاسيلى : هل نحن بانتظار أحد ؟

مـــــيناه : لا أعرف . ربما أتى أخوك . . .

فـــاسيلى : إنى أسأل عنا ، إذا كنا ننتظر أحـدا ، ضيفا أقـصد ، هل تعتبرين أخى ضيفا ؟ أقول أحدا . . .

مـــــيناه : كلا . . .

فـــاسيلى : تمام ، هل جاء أحد ، هل سمعت شيئاً ؟

مـــــيناه : لا شئ . .

فـــاسيلى : ولا رأيت شيئا ، هيـه ؟ حتى اللقـمة التى تأكلينها حرام . فيك . .

مـــــيناه : هذا لو كنت قـد خرجت ! . . منذ اليـوم الذى أغلقنا فيـه محل الكبـاب لم أغادر البيت ، فـكيف أسمع أو اقابل أو أرى أحدا . . .

فـــاسيلى : هيه ، وأين تريدين الذهاب ، يا امرأة هيا ، تفضلى ، اخرجى ! أين ستذهبين ؟

مـــــيناه : هيه ، حسنا ، لم أقل شيئا ! لم أعترض !

فـــاسيلى : بل قلت ! واعترضت ! دائبة الـتذمر أنت ! كان عليك أنت إذن أن تبقـيه مفـتوحا ، يا امـرأة لتأكلى من لحم جسـمك الحى ، كـبابا ! ولكن أين المفـر من النحس الذى جبلت عليه. أين المفر من نكدك الذى لا ينتهى . من الفجر للفجـر كنا نقف فى المحل ، نقف حتى تتورم منا السيقان والأقدام ولم نكن نكسب حتى الكفاف .

مـــــيناه : أجل . حسنا . . كان الأجـدر بك إذن ألا تترك المحل وتذهب للجلوس فى المقهى . . .

فاسيلى : أسمعى أذن . كفى عن تصديع رأسى بحكاية المقهى هذه وإلا هشمت وجهك هيه ، فاهمة ؟

ميناه : لماذا أكف يافاسيلى . سيرتك على كل لسان . الكوتشينة والكوتشينة . هذا شغلك الشاغل ، ولاشئ غير ذلك !

فاسيلى : كُفى عن هذه السيرة ، يا امرأة ! اخرسى (يلوح يده ويصفع الهواء بكفه بينما تقف بعيدة عنه) .

ميناه : (تتمتم متذمرة) بالطبع ، تريدنى أن أخرس. لا يروق لك كلامى . اشتغلت على تاكسى وتركت العمل . رحت إلى سيارات النقل فتشاجرت . فتحنا محل الكباب ومن خيبتك أغلقناه . خسرنا نقودنا وها نحن الآن فوق ذلك مدينون .وسوف يكون مصيرنا السجن ، فى النهاية .

فاسيلى : لن يسجنونى أنا ،بل أنت التى سوف تسجنين .

ميناه : اسكت . . اسكت . (تذهب إلى المنضدة . وتهم بأخذ قدحين للقهوة ، موضوعين عليها ، وكانت ميناه قد عمدت منذ برهة إلى تغطيتهما كى لا يراهما فاسيلى)

فاسيلى : دعى كل شئ فى مكانه .

ميناه : (منكمشة) كى أرتب الحجرة قليلا . وأصنع شيئا للغداء . .

ميناه : (تزحزح الصينية جانبا على المنضدة التى يجلس عليها فاسيلى)

فاسيلى : (ينظر إليها) هات وخذ (يرفع الغطاء تشعر ميناه بالحرج . يتمتم فاسيلى متذمراً) تقسمين أنك لم ترى ولم تقابلى أحدا . هيه ؟

مـــــــيـنـاه : دعك من هذا يافاسيلى !

فـــاســيـلى : لاشئ .. هيه ؟ ! لم تر شيئا .. هيه ؟ ياأيتها المتخلفة عقليا ، ماذا سبق لى أن قلت لك ؟ هيه ، لماذا أدخلت كاتينا مرة أخرى فى بيتك ؟ ماذا تقول لك هذه المرأة القذرة ، وتسلب به عقلك . هيه ؟ .. ماذا عادت تقول لك من جديد ؟

مـــــــيـنـاه : اخفض صوتك ، يا فاسيلى ، لماذا تصيح هكذا ؟ إنها لاتقول شيئا سيئا ! إنها تحبك ، المسكينة . ! جاءت هنا دقيقة واحدة فحسب ،كى تتناول معى قدحاً من القهوة .

فـــاســيـلى : وهل كنت تريدين أن تشربا أكثر من قدح واحد ، ياملعونتين . أنت وهى ! ماشاء الله ! نحن نغرق ، وهذه النسوة لايعملن لشئ حسابا . يحتسين القهوة ، أقداحا تلو أقداح . ولا يكترثن بما نعانيه إطلاقا ..

مـــــــيـنـاه : أيه . يافاسيلى يا أخى . كما تذهب أنت إلى سباق الخيل ، أقرأ أنا الفنجال ، ماذا فى هذا ، أليس هذا بدوره رزق ؟

فـــاســيـلى : أى رزق هذا ، أيتها المتخلفة . هراء وأكاذيب . الخيل فى السباق ترينها رؤى العين تجرى ، تثير حوافرها التراب ، يعلو الصياح والهتاف ، تنزل المراهنات ، وتتردد اللعنات من أفواه الخاسرين فى أرجاء الملعب !

مـــــــيـنـاه : هيه ، هل تفضل لى إذن أن أدخل وأراهن فى سباق الخيل ؟

فاسيلى : يبدو أنك لست على مايرام . لم يبق إلا هذا الآن . أن تصبحى مقامرة ! أهذا ما تقوله لك صديقتك كاتينا ؟ . . هذه المرأة كفيلة بأن تتاجر بك دون أن تدرى أنت بذلك .

ميناه : يتجه فكرك إلى كل ما هو سئ فحسب ، كى تضيع وقتك . .

فاسيلى : أخشى أن تفعلا أموراً أخرى أيضا للتسلية وقطع الوقت . كفانا وجع دماغ اليوم ، وليذهب كل شئ إلى الشيطان . أعدى قدحا من القهوة .

ميناه : الآن . . . .

فاسيلى : (يشعل سيجارة) للتسلية - قال - وقطع الوقت ! ومن قال لك يا امرأة أن الوقت لا يفوت . هيه ، انظرى إلى ، أنظرى إلى وتذكرى صورتى كما كنت فى سالف الأيام ! تذكرى كيف كان فاسيلى وكيف كانت هيأته ! هيه ! من أجل التسلية وقتل الوقت ، هيه ! ومن أتحفك بهذه الصخام الذى لطخت به وجهك وتقولين عنه مكياج ، زينة ، هيه ؟ ألم تعدى القهوة بعد ؟

ميناه : هيه ، مهلك ، ياشيخ ! هل ترانى أعد لك قدحا من الماء ؟ تحتاج القهوة إلى إعداد . . لحظة واحدة . لماذا لم تحضر معك بعض الحلوى ، يا أخى ؟

فاسيلى : (دهشا) ستفقدينني عقلى ، يابنية ! من أين أحضر لك الحلوى يا امرأة ، ولماذا أحضرها لك ، دون مناسبة ؟

مــــــينـاه : قد يحضر أحد . . .

فــــاسـيـلى : ما الذى دهاك يا أيتها المرأة الغـامضة ؟ وماهذه الألغاز التى توحين بها ؟

مــــــينـاه : ايه ، يا فاسيلى . هل نسيت فى أى الأيام نحن ؟

فــــاسـيـلى : إننا فى يوم الأحد . ولكن لمـاذا هذا التلميح ؟

مــــــينـاه : إنه يوم الأحـد . هذا صحيح . ولكـن أى أحد هو ؟ يمر اليـوم خمسة عـشر عامـا بالتمـام والكمـال على زواجنا . . .

فــــاسـيـلى : (يضحك لهذا الكلام) هيه ، يالها من نكتة ! هل أنت جادة فـيمـا تقـولين ؟ ألهـذا تثيـرين من حـولك كل هذا الغموض ؟ يالها مـن نكتة ، حقا ! (تحضر له ميناه القهوة) كم من الأعوام مضت ، تقولين ؟

مــــــينـاه : خمسة عشر .

فــــاسـيـلى : خمـسة عشـر عامـا فى المستنقع القذر ذاتـه ! ياالله ما الذى يجعلك تتذكرينها ؟ وهل نحن ممن يتذكرون مثل هذه الأشياء ؟

مــــــينـاه : (كطفل يوبخه أبوه) هذا ما جـعلنى أصلح من زينتى اليوم قليلا . .

فــــاسـيـلى : وهل تعتقدين أنك أصلحت شـيئا من زينتك ، حقا ؟ أبهذه السهولة تتصلح السـحن ، ياميناه ؟ لوكان الأمر كذلك لأصلحت صديقتك فاسيلياذو من سحنتها . . .

مــــــينـاه : (متذمرة بدلال) إيه ، مـاذا تريد أن يفعل من كـان على شاكلتنا . .

فاسيلى : كفى تذمرا وشكوى ، يا أمرأة !

ميناه : (بصوت اقرب إلى البكاء) كل لوم تلقيه على ! تخسر فى سبق الخيل ، أدفع أنا ! لاتجد عملا ، الذنب يقع على أنا ! يسرقونك فى لعب الورق ، أتلقى أنا منك الشتائم ! وددت أن أموت كى استريح . مللت هذه الحياة ! كل لوم تلقيه على . أنا الملومة على الدوام !

فاسيلى : وفيمن تريديننى أن أنفجر بما بداخلى ، أيتها المرأة ، هيه ؟ لماذا أذن تزوجتك ، لولم يكن بإمكانى ذلك ؟ خبرينى لماذا أحملك على كتفى خمسة عشر عاما بأكملها ؟ألكى أنفجر فى الحائط ؟ كفانى وجع دماغ.

ميناه : هيه ، وما ذنبى أنا ؟

فاسيلى : تسألين ماذنبك ؟ ما ذنبك ؟ سوف أقول لك أنا ماذنبك ياشاطرة . الدنيا ملآنة بالنساء ما الذى جعلنى اقع عليك أنت ، يا امرأة ، أنت بالذات ، ولا أحد غيرك ؟

ميناه : هيه ، أنه حدث وكفى ، يا فاسيلى . حظ ، يا أخى !

فاسيلى : لعنة الله عليك . تسمين هذا حظا ؟ تقولين حظا . تصاريف الأيام القذرة هيأت كل شئ على النحو الذى تسمينه حظا !

ميناه : هل انفجرت أنا فيك أبدا ، أو القيت عليك همومى ؟

فاسيلى : وهل قلت لك أنا لا تنفجرى !

مـــــيـنـاه : ولو حدث ذلك ، لو حدث أن أنفـجرت فيك ودلقت على رأسك همومى ، بما سأخرج من ذلك ؟

فـــاسـيـلى : روث . روث . ولاشئ غير ذلك . ستكون مـحصلة ما ستـخرجين به روث . (يبحث عن علبة سجائره) فى أى داهية ذهبت سجائرى ؟ ماذا فعلت بها ؟

مـــــيـنـاه : أنا ؟

فـبـاسـيـلى : أجل ، أنت . أم هل تقصدين أنا ؟ كانت السجائر هنا وكنت أدخن الآن .

مـــــيـنـاه : هيه ، وأين وضعتها ؟

فـــاسـيـلى : وهل كنت أبحث عنهـا لو أعـرف أين وضعـتهـا ؟ أم يخيل إليك أننى كنت سـوف أسألك ؟ أبحثى عنها ! (تعكف ميناه على البحث . ، فتجدها وراءه على الأرض .. يجرع رشفة من القهوة .. يتوتر) سأموت . يا امرأة ستقتليننى ، يا امرأة ! كلمـا طلـبت منك قـدحا من القـهـوة « بن ثقـيل ، مضبـوط » تصنعينها أنت كمـا يعن لعقلك المفلوت أن يصنعهـا ، أية قهوة والسـلام . عليك اللعنة ربيت لى وجع الدماغ . لا أستطيع يا امرأة أن أشـربها « سكر زيادة » . أتفهـمين ؟ شفـتاى ، ولسانـى ، وعقلى ، وكل شئ فى يضحى لزجا . فاهمة ؟

مـــــيـنـاه : ايه،يا فاسيلى ، ياشيخ ، أليـست هذه قهوتك المعتادة ؟ ألا أصنعها لك دائما هكذا ؟

فـــاسـيـلى : أذهبى إلى الشـيطـان يا امـرأة . وليـخـطفك الجـن الأحمر . إعطنى سجائرى .

مـــــيـنـاه : (تمسك بها ، فتعطيها له) خذها (تجمع بعض الأشياء المتفرقة) على الدوام ، نحن الذين ندفع . كل الأوجاع من نصيبنا نحن . هذا المال الملعون سيفترس حياتنا ! جاء ذلك الرجل بشأن الثلاجة مرة أخرى ، اليوم . .

فـــاسـيـلى : أيجئ يوم الأحد ، هذا المأفون . وماذا كان يريد ؟

مـــــيـنـاه : كان يريد نقوداً . أم ماذا تعتقد أنه كان يريد ؟ نحن مدينون له بنصف ثمن الثلاجة .

فـــاسـيـلى : وما العيب فى أننا مدينون ؟ ألا يستدين هو ؟ ومن الذى لا يستدين ، خبرينى ! المجتمع بأسره يتحرك على سندات وشيكات غير محصلة. تشاهدينهم سادة، يجلسون فى سياراتهم الفخمة ، ينحنون لهم بالتحية وجيوبهم عامرة بالصفقات ! اليوم ، قابلت فى المقهى السائق الذى يشبه وجهه وجه الكلاب ، والذى كنا نعمل معا على عربة النقل ، كانت بحوزته كومة من الشيكات المستحقة الدفع بعد سنة . . .

مـــــيـنـاه : وماذا فى هذا ؟

فـــاسـيـلى : وماذا فى هذا ؟ جاء علّه يجد مرابيا ، يشتريها منه بالخصم حتى يستطيع هو بدوره أن يدفع أقساط الثلاجة . أفهمت ؟ المال يقتنيه الرعاع ، أما نحن فلا نتقاضى أوراقا مالية ، بل أوراقا للمرحاض .

مـــــيـنـاه : وهل وجد ؟

فـــاسـيـلى : وكيف يجد ؟ ! أتظنين المرابين على هذا القدر من السذاجة ؟ هؤلاء إن دفعوا فلقاء أوراق مضمونة فى السوق ، وليس لقاء أية أوراق .

مـــــــيـنـاه : وماذا سيفعل هذا المسكين ؟

فـــاســيـلـى : وهل أعرف أنـا ؟ . إما أن يدخل السـجن ، وإما أن يدور على البنوك عله يجـد بنكا مـفـلسـا يرضى أن يقـرضه ليـجرى هو بدوره وراءه من جـديد .. وجع دمـاغ ، ولاشى غـيـر ذلك . ولهـذا ، إذا جـاء هذا الرجل وعـاد يطلب باقى ثمن الـثلاجـة .. قـولى له فليأخذها وليتربع عليها. وجع دماغ .. لا نريد بالمرة ! نحن المطاردون ، بطبيـعة الحال . ومن غيـرنا سيطارد هؤلاء الثعالب الشرسة ؟ السجون ملآنة بأمثالنا ، انا ، وميـتشـو، وجيكا وكـوستـا . أما الآخـرون فـهـم قراميط .. فهـمت ؟ أنهم مثل ثعابين المـاء تنزلق من قبضة من يحاول إمساكها ، وتفلت ...

مـــــــيـنـاه : ألا تقوم بجولة إلى النقابة ؟

فـــاســيـلـى : علام أذهب إليها ، يا امرأة . ماذا أفعل هناك. نقابة ؟ هيه ! .. لاجدوى ولانفع يعود منها ...

مـــــــيـنـاه : هيه ، كـيف تقول ذلك . أنت لاتعـرف ، ماذا يمكن فى بعض الأحيان أن يعود علينا منها .

فـــاســيـلـى : فى بعض الأحـيان . هذا هو مـربط الفـرس . ننتظر الفرج من حيث لا يأتى ! أجل ، من يدرى قد يحدث مـاوضعت أملك فـيـه ، فنجد عـمـلا يملأنا طربا ، ونهتف قائلين « أمانة يازمان طوّل » ولكن متى يحدث ذلك ، عـلى الدوام النـقـابة تـطالب ، وتطـالب ، وتطالب . مطالب النقابة لاتنتـهى ، أما عطاؤها فيكاد يكون معدما. . !

مـــــيـنـاه : هيا ، شئ ما سيحدث ، وسوف تفرج .

فـــاســيـلى : متى ؟ أربعين عاما ، أستيـقظ مع تباشير الفجر الأولى كل صبـاح ! منذ طفولتى على الرصـيف . فى الثامنة من عـمرى أنقل حـديدا ، فى العـاشرة رفـعت على كتفى أطنانا من الصناديق الثقيلة ، فى العشرين قادتنى قدماى إلى سوق الخـضار ، وفى الثلاثين انكفأت على عجلة القيادة ، ورديات مـسائية تلو ورديات ، وها أنا فى الأربعين عاطل أتضور جوعـا ! متى إذن سيحدث هذا الشئ الذى تقـولين أنه ربما يحـدث ؟ مـتى ؟ ثم فتحنا مـحل الكباب كى نكون سادة أنفـسنا وأصحاب عمل ، ولا يتحكم فـينا أحد من أولاد الكلاب . وإذا بالدنيا تنطبق على الأرض ، ولكأنه صـدر أمر سلطانى بألا تأكلوا أيهـا الناس الكباب والكفـته ، بألا تقـربوا ياجميع الناس محال الكباب والـكفته ! كما لوكنا نبيع للناس روثا وليس أفضل أنـواع اللحم المفروم ، ولكن ربما كـان هذا هو السـبب فى الكسـاد الذى حط على مـحلنا ، هل رأيت صـاحب المحل الآخـر ماذا كـان يفعل؟ ماذا كان يبيع لـزبائنه ؟ يـقال أنـه كـان يشوى على السيخ قـراقيش واحشاء فـاسدة. ومـاذا لقى بعد ذلك ؟ ألقوا به فى الـسجن ثمانيـة أشهر فـحسب . . أواه ، يا أيها المجتمع الداعر ! ثمـانية أشهر فحسب ! أما أنا فقـد ألقوا بى فيما هو أسـوأ من السجن أربعين عاما . هو ثمانية أشهر يؤديها وبعد ذلك ، هوب يفتح

جناحيه ويطير. عصفور حر طليق من جديد.. وغدا ، عملية قذره أخرى ، وبعد غد أخرى وأخرى ! أما نحن فلا شئ نفعل! لم نقدر حتى على عملية واحدة! ولا حتى عملية واحدة ! حشونا شطائرنا بأجود أصناف اللحم المفروم،أتفهمين ؟ مثل أبى ،إبان أبان الاحتلال الكل كان يبيع ردة ونشارة طباشير على أنه دقيق فى السوق السوداء . أما أبى العجوز ، الذى كان فرانا ممتازا فكان لا يبيع إلا دقيقا أبيض ، وبرخص التراب ! برخص التراب ! حتى أن تجار السوق السوداء كانوا يقفون طوابير أمام بيتنا . ثم كانوا بعد ذلك يبيعون جرام الدقيق كما لو كانوا يبيعون ذهبا ! وأنت تقولين اليوم عيد ، عيد زواجنا السعيد ! وتقولين أنك أصلحت من زينتك ! وتقولين إن هذه الخمسة عشر عاما مضت كما كمضت غيرها من السنين !

مــيـناه : هيافاسيلى ، إهدأ ولا تحزن !...

فــاسـيـلى : إهدا يافاسيلى ! هيه ؟ ! فاسيلى أنتهى . دب فيه عطن الفقر ، وأكله الصدأ ! يا أيتها الثروة ، اللعينة ، أين أنت ! ولمن تذهبين !

مــيـناه : هل أقول لك شيئا ولا تغضب ولا تضربنى ؟

فــاسـيـلى : هات ما عندك ، يا امرأة !

مــيـناه : اليوم ، قرأت لى كاتينيتا الفنجال . ورأت فيه مالا قادما ..

فــاسـيـلى : هيه ، حسنا ، وكيف رأت هذا المال ؟ يعنى من أين ؟

مــــــيـنـاه : هيه ، إنها راتبه ، فحسب . . .
فـــاسـيـلى : مال خالص ، أم مال من عمل .
مــــيـنـاه : من عمل طبعا !
فـــاسـيـلى : بالله عليك ياأيتها المرأة ، دعينى من سخافاتك القذرة هذه . المـال الذى يأتى من عـمل فى فناجيل القـهوة يظهر فحسب ، وسرعان ما يـتبخر ، ولا حتى رائحته تدركين ! لوكان هذا المـال ثـروة حقيقـية ، ثروة تأتى من حيث لا تدرى ، لشاطـرتك الاهتمـام . أجل ، ولكن . . هذه الدريخمات الهزيلة التى تأتى من العمل اليومى ، كلا . أنا لا أكترث بها . ولا أريد أن أعيرها اهتماما . كـلا . . تعالى هنا . وقولى لى أنت ، بالله هل تذكرين شكل الورقة فئة المـائة ؟ هل تذكرين شكل الورقة فـئة الخمـسمائة ، ومالـون ورقة البنكنوت هذه بالضبط ؟ ولا أسالك بالطبع عن لون الورقة فئة الألف لأن هذه الورقة ستظهر فى الفنجال بنية اللون . .
مـــــيـنـاه : وما أدرانى أنا بكل هذا . أقـول لك فحسب ما قـالته لى صديقتى . .
فـــاسـيـلى : (يلوح بقبضته مشيرا إليها) تعرفين مـا هو مكتوب هنا ، على قبضة يدى ؟
مــــيـنـاه : ولكن . . .
فـــاسـيـلى : كفـى الكلام عن هذه المرأة القذرة . وألا هشـمت لك وجهك . ولا تفتحى فمك بعد الآن بكلمة عن القهوة أو عن المقهى ، أو عن لعبى الورق ، إلى آخره ، إلى آخره ، أتفهمين . . . ؟

مـــــــيـنـاه : هيه ، أمرك ، يافاسيلى . . .

فـــاســيـلى : وماذا بإمكانى أن أفـعل ، أيتها المرأة ، غـير أن العب الورق . هيه ؟ لماذا يفـتحون المـقاهى ، فى نظرك ، هيه ؟ أنهـم يفتحـونها من أجلنا ، نحن الـعاطلون . مثلما ينشئون السجون . فى السجون إما نحن وإما فى المقاهـى . أفهمت ؟ الأنذال ، هيـه ، الأنذال ! أهذا يوم أحد ، هذا الذى نقضيه . خبرينى ! وسوف يكون غدا الاثنين ، وعلى أن أعود إلى التـجوال فى الشوارع باحثا عن عمل ، عن قوت قومى . .

مـــــــيـنـاه : هون عليك . قلت لـك ماذا يجـب أن يتم ، ولكنك لاتتركنى إن افعل ذلك .

فـــاســيـلى : ماذا قلت لى ؟ وماذا تقصدين ؟

مـــــــيـنـاه : هيه . أعنى . . قلت لك أن أبحث أنا أيضاً عن عمل . . وسأجد . .

فـــاســيـلى : لا أريد أن أسمع مثل هذا الكلام . . .

مـــــــيـنـاه : بالله ، لاتغضب يافاسيلى ! ولمـاذا لا أخرج للعمل . سـوف يكون هذا أمرا طيـبا . سـوف أفـعل أنا دورى شيئا . سأخرج قليلا وأتحدث مع الأخريات .

فـــاســيـلى : اسكتى يا أمـرأة ! زوجـتى أنـا لن تخـرج للعـمل . أفهمت ؟ لن أعرضها لمعاكسات الرجال ! وهذه المتزرة التى تريدينهـا لا أريد أن أراها عليك . وإلامـزقـتهـا ومزقتك أربا أربا . . هل تسمعين ؟

مـــــــيـنـاه : لماذا ، يا رجل . ألا تعجبك ؟

فاسيلى : وهل تعجبك أنت ؟ هل يعجبك أن ينتصب ردفاك ، ويكونا نهباً لأنظار الصعاليك ، وتمتد إليهما الأصابع بالمعاكسات فى الأوتوبيسات ، هيه ؟ أهذا ما تقوله لك صديقتك العزيزة كاتيناكى ، هيه ؟ ! .

مسيناه : دعك الآن من مثل هذا الكلام . . .

فاسيلى : اخرسى ! (يصفع الهواء أمام وجهها) .

مسيناه : (تحتاط لنفسها وتحتمى منه) أمرك ، يارجلى ، أمرك ! هراء (ينفجر غيظا . ويشعل سيجارة) لم أنقلب أمرأة بعد ، حتى أتقبل كلاما مثل كلامك هذا . اتفهمين ! لم تلدنى أمى ، لعنه الله عليها ، أمرأة حتى يلقى كلامك هذا عندى قبولا ! وفرى أذن على نفسك هذه السخافات التى لا يرتضيها إلا من كان غير ذى ملة أو دين .

مسيناه : حسنا ، حسنا . . .

فاسيلى : آواه يا مسكينة . لعنة الله على الذل والاذلاء . لابد أن يحدث شئ . لابد أن أفكر فى شئ . لو اشتغلت أجيرا لمت قبل أوانى . الأجر عن العمل ، أى عمل ، لايقيم الأود . . . !

مسيناه : أتريد أن أسال عما إذا كانوا يريدون سواقا ! هل أقول لكاتينا ذلك ؟

فاسيلى : اغربى عن وجهى ! سواق ، سواق ! دعك من وجع الدماغ هذا ! تلك أعمال خاملة ! لن أذهب إلى أى عمل من هذه الأعمال الرخمة . هل تفهمين ؟ سأظل

هنا حتى أجد صفقة ، خبطة ، هبرة كبيرة . سأعصر ذهنى ، حتى أجد الحيلة الظريفة ، الحيلة الضخمة ! ألا يقدم الجميع على مثل هذه الخبطات . ألا يفعل الجميع ذلك ؟ ألا يفعل كل من هم خارج السجون ذلك ؟ وأنا أيضاً سأفعل ذلك ! أيضا ! أن تكون خبطة أو لا تكون ! صفقات ، هبرات هذا ما يريد الجميع ! لحوم فاسدة يريدون ! سأخرج الموتى من قبورهم وأبيع لحمهم على أنه لحم ضأن معتبر . أكلات مفضلة ، وأسعار مرتفعة . هذا هو الحصان الرابح فى السباق. وجدت الورقة الرابحة ! لن أكون أول من يبيع الرمم . يريدون أساليب من شيكاغو فليكن ، سوف نقلد شيكاغو ونقلد عصاباتها ! يريدوننا على المقاهى؟ هيا فلنجلس أذن على المقاهى . وجدت أنا الورقة الرابحة ! خلاص !

مـيـنـاه : فاسيلى ! سيزجون بك فى غياهب السجون !

فـاسـيـلى : (يهجم عليها) إخرسى ، أيتها الفاجرة ، إخرسى . أقطعى لسانك ، يا امرأة . تريدين الاحتفال بالمناسبة السعيدة ، عيد زواجنا السعيد ؟ تريدين حلوى، هيه ؟ دعك من وجع الدماغ هذا ! خلاص ! إنتهى ! ولتذهبى إلى الشيطان ، أيتها القذرة . إغربى عن وجهى ! إغربى . . .

ستار

يورغوس سكورتيس

السلفة

الشخصيات

بروكوبيو
رئيس المستخدمين
أناستاسيو (الثانى)
أحد العاملين

(غرفة مكتب . بها ثلاثة مكاتب صغيرة . الموظفان الأول والثاني جالسان إلى مكتبيهما ومنهمكان في العمل . بعد قليل يدخل السيد بروكوبيو)

بروكوبيو : (بلهجة ودود للغاية) صباح الخير ، يا أولاد . كيف الحال ؟

الثاني : (سيظل محتفظا على الدوام بموقف المنافق) صباح الخير .

الأول : (عكر المزاج . أميل إلى الهجومية) صباح الخير .

بروكوبيو : (مستاء من اللهجة التي يحدثه بها كل من زميليه . يتوقف لحظة . ثم يمضي إلى مكتبه ناظر إليهما مستاء شاكيا) .

هل أستطيع أن أعرف لماذا تتحدثان إليّ على هذا النحو ؟

الأول : ماذا تعني بذلك ؟ وهل نتحدث إليك على نحو غير عادي ؟ ماذا تقول ؟

الثاني : لست أدري ، بالله .

بروكوبيو : لهجتكما غريبة إلى حد ما ! بالطبع ، قد أكون قد خيل إليّ ذلك .

الثاني : هيا ، يا سيد بروكوبيو . لا تعر الأمر كل هذا الاهتمام .

بروكوبيو : كلا . إني أعيره كل الاهتمام ! .

الأول : قلت « صباح الخير » قلنا « صباح الخير » ولم نقل شيئا غير ذلك استتام الأمر الآن ؟

بروكوبيو : (يخفي استياءه) ربما أكون قد خيل إلى شئ آخر وإن كنت لا أعتقد ذلك . أفهم جيدا كيف يتحدثون إلى الآخرين ، وعلى الأخص هذه الآونة الأخيرة .

الأول : (ناظرا إلى الاخر نظرة ذات مغزى) ماذا يعني ؟

بروكوبيو : تعرف جيدا ماذا أعني !

الأول : (إلى الثانى) لعلك تفهم أنت ، يا بروسوبارخيس .

الثانى : هيا ، ياسيدى بروكوبيو ، هيا .. التبس عليك الأمر فحسب ، وأسأت الظن .

بروكوبيو : ياسيد تكتب كلمة واحدة ، لا أحد يستطيع أن يضحك علىّ ! أنا رئيسكم ! (إلى الأول) وأنت ، أسمع جيدا ، إنى أبقى جبينى ناصعا ، وأرفع رأسى على الدوام عاليا . فاهم ؟

الأول : ما الذى جعلك على هذا النحو ثائرا ؟ بالله قل لىّ . هل لدغك عقرب ، أم ذبابة ، أم نحلة ، أم ماذا ؟

بروكوبيو : أنتما لدغتمانى ! توشكان أن تفقدانى عقلى وصوابى .. هل لديكما شئ ضدى ؟ أريد أن أعرف ! هل آذيتكما فى شئ قط ؟ إذن ، إذن ، لماذا تعذبانى ؟ هيه ، لماذا ؟

الثانى : حاشى الله ، ياسيد بروكوبيو ، حاشى الله ..

بروكوبيو : (مواصلا) على الدوام ، تهمهمان بالكلام من وراء ظهرى ! بعد كل هذه السنين التى عملنا فيها سويا ، لم تتبينا حقيقتى ، لم تعرفانى إلا الآن ؟ بعد كل هذه السنين ! كنا على الدوام معا . كنا صحبة واحدة . معا ، نشرب القهوة معا ، نثرثر ونتناقش ، معا نضحك ، ومعا نبكى ، هنا وفى بيتى ، بل وفى بيتكما أيضا . كنا على الدوام صحبة طيبة ! والآن ، أبدو لكما مريبا ؟ تستبد بكما الشكوك فىّ ؟ هل كنت مجرما ، ملوث اليدين ، قذرا ؟

الثاني : (إلى الأول) اعتذر له ، يا أخي . أرجوك أطلب منه الصفح عما بدر منك نحوه ، ألا ترى كيف يسئ الظن بكل شئ ، ويأخذ كل كلام على محمل سئ . .

الأول : لم يبدر منى أى شئ يجعلنى أطلب عنه الصفح . هل تسمع ؟ وعلى الأخص لم يبدر منى أى شئ أعتذر عنه إلى هذا الشخص بالذات !

بروكوبيو : أسمع ، ياصديقى . على أسوأ الفروض ، كل واحد منا ضالع فى الأمر على نحو أو آخر ، متورط فيه قليلا أو كثيرا . هل تفهم ؟

الأول : اسمع . ليس كل واحد . هيه ؟ كلا ، الزم الحدود فى كلامك . الأننا لا نجاهرك بالقول ، تسول لك نفسك أن تدس بنا فى ذات الزكيبة القذرة التى اندسست فيها ، وتضعنا فى ذات الزمرة التى تورطت معها ؟

بروكوبيو : ماذا عندكما من أتهام توجهانه إلىّ ، هيه ؟ هيا إجلبا ما لديكما . لماذا تحتفظان بما عندكما بينكما ، ولاتتحدثان عنه إلا من وراء ظهرى ! أنا نظيف ، طاهر اليدين! لو لم أكن كذلك لما ترددوا فى طردى . فاهم ؟

الأول : نجحت بكل بساطه فى البقاء . هذا كل ما فى الأمر !

بروكوبيو : ماذا ؟ أنا ؟ أنا نجحت . . ماذا تقول ؟ أنت كذاب !

الثاني : ياسيد بروكوبيو ، أرجوك . . اهدأ (إلى الأول) كفى يابروسوبارخيس . كفى !

الأول : ألا ترى . . ألا ترى ماذا يقول ؟

بروكـوبيـو : كنت من الاوائل ، أنا ، تذكر ذلك جـيدا . كنت من الأوائل الذين خوجـوا إلى الشـوارع وصـرخـوا ، وصرخنا بما فى أعماقنا .

الـثــانـى : أريد أن أدلى بتعليق فى هذا المقام ، ياسيد بروكوبيو ، أننا لم نكن نعرف شيئا بالنسبة لكثيرين، ثم فجأة . . .

بروكـوبيـو : ثم ماذا ؟ ثم فجأة ماذا ؟

الـثــانـى : هيـه ، يعنى ، عـرفنا عن البـعض هذا وعن البـعض الآخر ذلك .

بروكـوبيـو : هذا مـا أقـوله أنـا أيضـا . لماذا إذن وجـدتما فى ضالتكما. من ذلك الداعر الذى يشيع هذه القاذورات؟ لماذا أضـحى أنا الهـدف الذى يتلقى سـياط السنتكم السليطة ؟ أنا أيضـا موظف مثلكمـا . وأنا أيضا كنت أحنى رأسى مثلما كنتما أنـتما تحنيانه . ألأننى حصلت على سلفـة ؟ سلفـة صغـيرة كـى أبنى بدورى بيتـا ! سنوات طوال سعيت لذلك ولهـثت جريا وراءه ! أنتما شاهدان على أننى حـتى قبل تعـديل الأوضاع ، كنت أطلب سلفة ، ولكن بلاجدوى .

الأول : (بسخرية) تعديل الأوضاع ، هيه ؟

بروكـوبيـو : تعرف جيدا ماذا أعنى .

الأول : آه . . .

بروكـوبيـو : ولوكنت تذكـر، أنت أيـضا كـنت تقـول عنهـا آنذاك الحركة المباركة .

الأول : كان الأمر مختلفا آنذاك . . .

بروكوبيو : ولو لم أكن مخطئا ، أنت أيضا قدمت طلبا كي تحصل على سلفة نعم ، أم لا ؟

الأول : نعم ، ولكن طلبي أنا رفض .

بروكوبيو : ذلك لأنك أصغر مني سنا ! ذلك لأني كنت أحوج منك إلى سلفة . ثم إنهم إذا كانوا قد رفضوا طلبك أنت ، وأجابوني أنا إلى طلبي فأي غضاضة في ذلك ، هيه ؟

الأول : لا أعرف أنا . وكيف تريدني أن أعرف ؟

بروكوبيو : هل يعني ذلك أنني كنت مواليا لهم وأنت لا ؟

الأول : أقول لك دعني وشأني . . أتسمع ؟

بروكوبيو : كلا ، لن أدعك وشأنك ! أنكما قد أحلتما حياتي إلى جحيم ! لم أعد أستطيع أن ، لم أعد أستطيع أن ألتفت إلى عملي ! لم أعد أستطيع أن أضحك ! ماعدت أستطيع أن أبني بيتي ! تسول لي نفسي أن أهدمه من أساسه ! أصبحت على شفا الجنون !

الثاني : ياسيد بروكوبيو . . الا تظن أنك قد تجاوزت حدودك ، وتماديت ؟ وأنك تعذب نفسك سدى ! وأن كل ما تقوله هو من صنع خيالك فحسب ؟

بروكوبيو : أشكرك ياسيد أناستاسيو . تقف إلى جانبي حقا ، وكنت لي نعم الزميل والصديق ، ولكن نحن أمام افتراءات ، أمام أحداث تفتعل لغرض سقيم . من هم أولئك الذين يروجون هذه الافتراءات ، ولماذا يروجونها ؟ لماذا ؟ لماذا هم إلى هذا الحد يكرهونني ؟

الثـــانى : هيا ، هيا دعك من ذلك . لاتعر الأمر اكتراثا .

بروكـوبيـو : لا أعير الأمر اكتراثًا ؟ ! وكـيف أستطيع ألا أعير الأمر اكتـراثا ، مادمت منذ اللحظة التى أعلـن فيهـا اسمى تمنيت ألا يكون لى على الإطلاق اسم ؟

الأول : ولمـاذا تأخذ الأمور بهـذه الحساسيـة . أقصد ، لوأنك نظيف اليـدين ، كـما تقـول ، فلماذا تعـذب نفسك هكذا ؟

بروكـوبيـو : لأننى حيى ! لأننى نظيـف ! واى نظيف طاهر اليدين أنا ! ولكنكما بالطبـع وجدتما الآن ضالتكما ، عـثرتما على الضحية . وجدتم الثور ، وانقضضتم عليه جميعا كى تدمروه تـدميرا . وأنت مـاذا فعلت ، ياسـيدى ؟ كنت تعمل ، أم أنك لم تكن تعمل ؟ تقـاضيت مبلغاً من هؤلاء أجل أم لا ؟ أجب .

الأول : لست فى صوابك ، على ما يبدو . كنت لا تريدنى أن أعمل ؟

بروكـوبيـو : كـلا ! كـان يجب أن تعـترض ، تـناوئ : لوتوقف الجميع عن العـمل ، لو لزم الجميع بيوتهـم حتى يوما واحدا ، كان هؤلاء الناس سوف يسقطون . ودعنى لا أقول لك أن الأموال التى كنت تتقاضاها كانت أموالهم هم .

الأول : أنت تخطئ فى ذلك . الأموال كانت للمواطنين دافعى الضرائب .

بروكـوبيـو : والسلفة ، إذن ، أموال من هى ، هيه ؟

الأول : تقصد المنح غير المردودة .

الثـــــانى : دعك من ذلك ، الآن .

بروكـــوبيـــو : لماذا هـى منح . ألم أقـف بدورى فى الطـابور ؟ ألم أملأ أنا أيضا الطلبات اللازمة؟ألا أدفع الأقساط، أنا ؟ أم تظن أننى أخذت أكثر مما هو جائز؟هيه؟قل لى.الحق إنى أخذت أقل.أهى منح لأنهـا لم تعط لك ، هيه ؟ وماذا فعلت أنت كى تعتبـر أنك عارضتهم فأبوا عليك السلفـة ؟ هيـه ؟ لا شئ . ظلـلت تعـمل . واصلت الخضـوع للجدد ، كـما كـنت تخـضع للقــدامى . لم يتغير موقفك بعد تعديل الأوضاع . هل تريدنى أن أقـول لـــك لمـاذا ؟ لأنك خـفت علـى وظيـفـتك الصغيرة .

الأول : أتعنى ، أنك أنت لم تكن تخاف .

بروكـــوبيـــو : ومن قال لك شيئا مـثل هذا ؟ كنت أخاف طبعا ، بل وكنت أخاف كثيـرا . . لم أقل قط أننى عارضتهم فى شئ . ولكننى أيضا ، لم أفعل شيئا يؤيدهم . كل ما فى الأمر أننى واصلت الـعمل هنا . مثلكمـا ، ومثل الآلاف من غيرنا لا أعرف مـاذا سوف كنت أفعل لولم تكن لى أسـرة أعـولهـا . ولكـننى فى مـأزقى هذا ، محاصرا بالتزاماتى قبلها،لم أكن بقادر أن أفعل شيئا ! إلاَّ أننى كنت فى قـرارة نفسى على أى حـال أرجو أن يرحلوا عنا بأسرع وقت . . . وأنت تعرف ذلك . معا كنا نتكلم . وفيما بيننا كنا نفضى ما فى سرائرنا . . أم

أنك تريد أن تقـول الآن أننا لم نكن نثـرثر بمثل هذا الكلام فيما بيننا ؟ وكيـف تستبيح إذن لنفسك الآن أن تلومنى ؟ كيف تنظران إلىّ مـثلما تنظران إلى أبرص ، يفر الناس منه ويتحاشونه؟تكلما . وفضلا عن ذلك ، فكونى لازلت هنا ، لم أطرد من وظيفتى ، ولم أركل خارجـا لهو دليل فى صـفى ولصالحى . يـعرف أهل القمة كل شئ . هم مطلعـون على مجريات الأمور . ولاتغيب عنهم بادرة ! يـعرفون أكثـر منكما كثـيرا من خـان ومن لزم الصـمت مضطرا . إن مـلف خدمـتى نظيف ، بل على غاية من النظافة . ناصع !

(يدق جرس التليفون ، على مكتبه ، يرفع السماعة)

آلو . . أجل . . قادم حالا . . (يقفل السكة) ذاهب إلى رئيس المستخدمين . طلبت منه أجـازة قصيرة . . أريد أن أريح أعصابى . أن أهدأ قليلا .

الثـــانى : على الرغم من كل شئ ، أعتبرنا صديقين لك . . .

بروكـوبيـو : (يومئ له براسه عزينا ويخرج)

(يظل الاثنان ساكتين فى العتمة . يأتى رئيس المسـتخدمين بمنضدته . يضعها فى الطرف الآخر من المسرح ، ويجلس . يمضى بروكوبيوإليه)

رئـيـس المستـخدمين : تعال ، يا سيد بروكوبيو . . إجلس .

بروكـوبيـو : (يلهفه) كل شئ على ما يرام ؟

الـرئـيـس : ياسيد بروكوبيو . . .

بروكوبيو : إننى بحاجة إليها . . . أرجوك أن تفهم ذلك . لم أعد أحتمل أكثر من ذلك . سأفقد صوابى !

الرئيس : ياسيد بروكوبيو . . يؤسفنى ذلك ، لدى أخبار غير سارة .

بروكوبيو : (غير فاهم . واجما) غير سارة ؟

الرئيس : طبيعية ، أجل ، ولكن غير سارة . . تلقينا أمرا بإنهاء خدمتك .

بروكوبيو : (مبحوح الصوت . وعلى وشك الانهيار) خدمتى ؟ خدمتى ؟ أنا؟ هذا غير ممكن ! مستحيل ! لابد أن ثمة لبسا فى الأمر . سيدى رئيس المستخدمين، لابد أنك مخطئ . لم أحصل سوى على سلفة بعد أن استوفيت كل الإجراءات المطلوبة . . سلفة من أجل بيتى ! أفنيت عمرا بأكمله من أجل هذا البيت الملعون !

الرئيس : يؤسفنى ذلك ، لكن بصراحة . . القرار صدر نهائيا . .

بروكوبيو : (بغضب مكتوم وشكوى) وأنت ، ماذا قلت ، ياسيدى رئيس المستخدمين ؟ ألم تدافع عنى ، ياسيدى ؟

الرئيس : وماذا أقول ؟ أنت تفهم . . .

بروكوبيو : (ينفجر) وأنت ماذا قلت لهم ياسيدى ؟ ألم تقل لهم أن الحصول على سلفة لايعنى بذاته شيئا ؟ ألم تقل لهم إن مثل هذه السلفة حصل عليها كثيرون ؟ أنت نفسك حصلت على مثل هذه السلفة .

الرئيس : (مرتعبا) هس . هس . من فضلك لاتجأر بالصياح . أخفت صوتك !

بروكوبيو : ولكن اسمك أنت لم يدرجوه ! لم يعثروا عليك . أنت ، لم يتوصلوا إليك ، قط ! كيف حدث ذلك ياسيدى رئيس المستخدمين ؟ كيف نجحت فى إخفاء نفسك ، فلم يظهر أسمك فى أى قائمة من القوائم ؟

الرئيس : ياسيد بروكوبيو ! أنك تهدمنى بذلك . تقضى على !

(يسقط بروكوبيو على أحد المقاعد منهارا)

(تعلو الاضاءة فى الناحية الأخرى فيبين الأول والثانى)

الثانى : أتعتقد أنهم سيفصلونه ؟

الأول : ومن أدرانى أنا ؟ إنى اشفق عليه ، المسكين . .

الثانى : آه ، بالطبع !

الأول : وددت أن أعرف من هو النذل الذى يروج تلك الأقاويل ضده . أنا أردد فحسب ما أسمعه !

الثانى : دب العطن فينا كلنا . المجتمع فسد . قضى الأمر . انتهى . . .

الأول : خذ هذه الأوراق للإمضاء .

الثانى : حاضر .

(يأخذ معه بعض الأوراق)

(عود إلى رئيس المستخدمين ، الآن)

بروكوبيو : لاتخف ، ياسيدى رئيس المستخدمين . لن أقول شيئا لأحد أبدا . ثم من الذى سوف يصدقنى ، حتى لوفتحت فمى بكلمة . لازال بإمكانك أن تقاضينى بتهمة التشهير ! هل أنجزت بناء البيت ؟

الرئيس : تقريبا . أزوج ابنتى بعد بضعة أيام . إنه هدية زواجها . أرجوك أن تفهم ذلك .

بروكوبيو : اطمئن ، ياسيدى . إنى فاهم . لدى أنا ثلاث بنات .

الرئيس : انى آسف ، حقا . ليس باستطاعتى أن أفعل لك شيئا. كثرت الشائعات ، وألقت بظلالها على الوظيفة . فاهم ؟

(يقترب منهما الثانى)

الرئيس : (مغيرا لهجته) لابد أن تفهم ، ياسيد بروكوبيو . البعض يشقون فى السجون وآخرون يبنون بيوتا ! (إلى الثانى) نعم ، ياسيد نيكاندريه .

الثانى : بعض الأوراق للإمضاء . .

الرئيس : هات ما عندك (يوقع . يهم الثانى بالانصراف) هيا ، ياسيد نيكاندريه . انتظر .

الثانى : تحت أمرك . .

الرئيس : لو لم أكن مخطئا ، سيادتك هو التالى فى الأقدمية بعد السيد بروكوبيو .

الثانى : أجل . بالطبع .

الرئيس : اعتبارا من اليوم ، ستحل فى رياسة القسم محل السيد بروكوبيو بعد أن انتهت خدمته . . .

الثانى : شكرا ! (إلى بروكبيو) بصراحة ، يؤسفنى ذلك ، ياصديقى ، غاية الأسف !

(يربت على كتفه . يمسك بروكوبيو بيده ، وهو على وشك البكاء . يمضى رئيس المستخدمين ينقر بأصبعه على مكتبه بعصبية . وقد اكتسى وجهه بمسحة من القسوة والصرامة) .

ستار

يورغوس سكورتيس

الصراع

الشخصيات

- الأب
- الأم
- الابن

(يجلس الأب فى مقعده ، يدخن بعصبية .. تأتى الأم من الغرفة الداخلية وقد بدا عليها الحزن الشديد ... وهى من النوع المطواع سلس القياد من النساء .. تحدق فى الأب) .

الأب : ماذا يفعل ؟ . . .

الأم : يجهز حقيبته (برهة صمت .. يستدير الأب فى جلسته جانبا) ألن تقول له شيئا ؟ .

الأب : ماعاد عندى ماأقوله له . . ولاتنزعجى . . . سوف يعود . .

الابــــن : (ما أن يدخل ، ولعله يبحث عن شئ) لن أعود ، يا أبى .

الأب : (لايكلمه . يشيح بوجهه عنه غاضبا) .

الأم : هل تبحث عن شئ ؟ .

الابــــن : عن بعض الأوراق . .

الأب : يبحث عن حثالاته .

الأم : دعك الآن من هذا ! ما حدث حدث . . لايجب أن . . . نفترق متخاصمين . (تحبس دموعها)

الأب : متخاصمين؟ . . هاه . . لاياشيخة ! وما الجدوى من أن أتشاجر معه فضلاً عن ذلك مثل هذه الأمور تحدث . . . نحن معتادون عليها ! نعرفها جيدا ، ونتوقعها ! ثم لا نلبث أن نغتفرها !

الابــــن : ما الذى تغتفرونه ! . . . صراع الطبقات ؟ .

الأب : (غاضبا) هاه . . تفضلى ! نفس الكلمات على لسانه دائما ! يلوك الدرس المعتاد !

الابــــن : وأنتم تفعلون المثل أيضا .

الأب : صراع الطبقات ! هاه . . لم يخرج بعد من البيضة ، ويعرف هو أيضا صراع الطبقات ، هاه . يا أيها المسكين ! أخرج أولا إلى الحياة ، وأدخل فى صراعاتها ثم تعال حدثنا عن صراع الطبقات .

الابـــــــن : (يواصل الكلام ، وهو منصرف إلى البحث بفتور) العديد من السنين أتصارع .. أتصارع معك أنت .

الأب : (منفعلا) هل تسمعينه ؟ يتصارع معى . هذا ما يقوله . ومن يكون هذا الذى يتصارع معى ؟ ابنى ! ابنى أنا ثم تلقين اللوم على . هيه ؟

الأم : اخفض صوتك ، لاتصح !

الأب : هل أنا الملوم فى شئ ، إذن ؟

الابـــــــن : ملوم أنت مادمت تؤيد وتشـجع بالقوة نظاما اجتمـاعياً جائراً وغير إنسانى .

الأب : هاه ، حسنا ، إذن ! هذا النظـام هو الذى جعل منك ابنا لمدير مصنع به ألف عـامل ، وليس إبنا لواحد من هؤلاء الألف ! ويتـيح لـك هذا النظـام الآن أن تقـول «إنى أرحل» وتســتطيع أن ترحل . لأنك لوكـنت إبنا لواحد من أولئك الذين تدافع عنهم ، لما استطعت أن تسكع هنا وهناك ! كنت ستـعمل مثل كلب ! أم أنك تعتقد أنهم فى ظل أنظمة أخرى كـانوا سيسمحون لك بالحركـة والتنقل كما تشـاء . هاه ! أيها الولد الطائش .. سوف كانوا يذهبون بك إلى منفى بعيد !

(يعود الابن إلى الغرفة الداخلية)

الأم : أرجــوك ، يــاخـريســتــو ،. إهدأ قليـــلا ! تمالك أعصابك . !

الأب : إنى متمالك لأعصابى ، يا أمـرأة . متمالك لاعصابى لأنى رجل هادئ . وأنا هادئ لأن ضـمـيـرى مرتاح . لست الملوم ، بل هو . أنا السيد فى هذا البيت ، ومن اختلف مع السيد ، يجب أن يرحل !

الابـــــــن : (يدخل) أهذه هى الأخلاق التى علمها لك القساوسة ؟

الأب : كفاك تجديفا !

الأم : لاتتحدث إليه هكذا ، يا بنى . أنه أبوك !

الابـــــــن : وماذا يعنى هذا ، إلهى هو ؟ وأنا الخاطئ الذى قضم قضمة من تفاحة المعرفة ! كفى ، يا أماه . . كفى ، يا أماه (ينصرف إلى الداخل) .

الأب : (يواسيها ، وقد طفرت الدموع من عينيها) لاتبكى . . صدقينى إذ أقول لك : إنه عاجلا أو آجلا سيعود ، وسأصفح عنه انا . .

الابـــــــن : (من الداخل ، مشاغبا) هاه ! وددت أن أعرف ماذا ستفعلون عندما لن يصبح لكم فرصة الصفح والغفران ، ستتهاوون إذن مثل قلعة من ورق !

الأب : سيكون بإمكاننا على الدوام أن نصفح . . ! دهورا الآن بامكاننا ذلك ، وسيظل الحال على هذا المنوال طويلا ! أجل ! ونحن نصفح عنكم لأنكم لازلتم تنقصكم المعرفة . سيأتى يوما تقول فيه بدورك « كنت أنا بدورى مارقا » سيروق لك أن تتذكر ذلك . ولكن سيروق لك أكثر أنك ما عدت كذلك . ذكرى ، مثل كل الذكريات الأخرى ، ستدخل الراحة إلى معدتك الممتلئة ! ولكن كى تقول ذلك أنت بحاجة أولا إلى غفراننا ! ونحن نعرف كيف نغفر .

الابـــــــن : (من الداخل) طوبى للنادمين المستغفرين ، هيه ؟ ياللك من رجل ظريف .

الأب : إخرس !

الابـــــن : (يأتى إلى الباب الموارب) عنـدما أعطيك فـرصة أن تصفح عنى ، عنـدئـذ فـحسب يمكنـك أن تـأمـرنى . أما فى الوقت الحاضر فاحتفظ بأوامرك لزوجتك وللعاملين فى خـدمـتك ! . . إلى أن يمكنهم بدورهم أن يسـدوا فمك ، حتى تستريح !

(ينصرف)

الأم : بيترو!

الأب : (تتفجر أعصابه) أتسمعين هذا الولد قليل الأدب ، هيه ؟ يدعو من أجل خرابى! يدعو من أجل موت أبيه! من؟ ابنى أنا ، ابنى !

الأم : (متعاطفه معه) لاترهق أعـصابك ، إلى هذا الحـد ! لاتحمل الأمـور أكثر مما تحتـمل ! أنه يقول هذا الكلام فحسب ، لكنه لايصدق ما يقول . أنه يحبك . بيترو يحبك . لازال ولدا صغيرا .

الأب : أجل . لازال ولدا صـغـيـرا . . خـرج فى مظاهرة . سامـحناه . خرج فى مظاهـرة أخرى قبلنا الأمـر على مضض . قبضت عليه الشـرطه،عملوا اعتبارا لاسمى ، أفرجـوا عنه . انضم إلى منظمة ، قلنـا « معلهش» . انضم إلى منظمـة أخرى قلنا لازال صـغيـرا . أضحى خارجا على النظام ، قلنا إنه ولد صـغير . ولكن إلى مـتى ؟ لايستطيع هذا الـفتـى أن يمضى يسب رفـاقى ومعاونى . إنه على أى حال ابنى ! ابـن المـدير ! هـذا

أمر غير مقبول ! غيرمسموح لى أن أتركه يفعل ذلك ! تجاوز كل الحدود ! لا أستطيع أن أتركه يزلزل الأرض من تحت قدمى . إنى ملتزم ! طفح بى الكيل ! شقينا جميعا من أجل هذا البلد! ضحينا بشبابنا وبذلنا دماءنا! فى سبيل هذا البلد ، الذى لا يمكننا أن نتركه تحت رحمة هذا الشباب المارق الطائش ! من واجبنا أن نهزمهم ، وأن نرديهم صرعى !

الأم : خل عنك ذلك ! هيا ، اسكت ، حتى لايسمعك !

الأب : وماذا لوسمعنى ، يعنى ؟

الأم : دعه . . ليس من اللائق أن تتبادلا مثل هذا الكلام المرير . سوف تندمان !

الأب : أعرف ذلك ! أعرف أنى سأندم ، ولكن ذلك سوف يكون من أجل مصلحته . من أجل مصلحة الجميع ! (يصبح موجها خطابه إلى الداخل) من أجل من شقيت أنا ! من أجل من حاربت ! من أجله هو !

الابن : (قادما) خطأ ! فى مجتمع الأنانية هذا الذى وصلتم إليه، لا أحد يشقى من أجل غيره ، قاتلاً أو مقتولا كنت ، فمن أجل نفسك . كل يهمه نفسه فحسب .

الأب : كلا ، يا سيد . كلا ! لنا قيم تربط بيننا ! لنا مبادئ توحد بيننا ! نحن أسرة واحدة !

الابن : (بسخرية) أسرة . . هاه .

الأب : (إلى الأم) قولى له أن يكف عن ذلك ! قولى له أن يسكت !

الأم : هيا ، يابنى .. أتوسل إليك .
الابـــــن : هيه، يا أماه، جعلت من نفسك جارية له عمرك كله .
الأب : أمك ، سيدة بارة !
الأم : كفا عن ذلك !
الابـــــن : طبيعى أن يجد السيد أتباعا بررة يسبحون بحمده .
الأم : اسكت .
الأب : الخطأ خطاه هو !
الابـــــن : منذ متى كففت عن أن تحب أمى ؟
الأم : أنا لا أسمح لك !
الابـــــن : تلعب فى مكتبـك مع الصبايا وتأتى إلى زوجـتك آخر النهار فاترا ، مدعيا الإجهاد ، الوعكة ، وتتحدث بعد ذلك عن الأسرة . عن حياة أسرية تتحدث . . . . . .
الأم : اسكت !
الابـــــن : أتعرف مـاذا قالت لى ماريا ، الآنسة مـاريا التى تعمل طرفك بالمكتب ؟ صاحبتـها أنا بدورى . لم أتعد على ما لك من حقوق السـيادة ، على أى حال . أتعرف ، إذن ماذا قالت . . .
الأم : لاأريد أن أسمع ! .
الأب : (أسقط فى يده من فرط المفاجأة) لاتعمد إلى المزيد !
الابـــــن : (بغير رحمة) هذا أمر أم أنه استسلام واعتراف بالهزيمة ؟
الأب : (لا يتكلم ويحاول أن يشـعل سيجـارته مرتعشـا ... تبكى الأم . يلقى الابن عليـهمـا نظرة انتظار برهة . ثم ينسـحب إلى الغرفـة الداخلية . يشـعل الأب سـيجـارته) أنه قـادر أن يقـول وأن يأتى أشـد الاقـوال

والأفعال بذاءة وقـذارة . . وذلك كى يصدمنى . ابنى للأسف يـحـاربنـى ! لـكننى لن أتركــه ! وأنت ، حذارى ! لاتصدقى أى شئ قاله ! أو يزمع أن يقوله . تسلحى بالثقة! . . لاتصغى إليه ،ولاتصدقى شيئا ! .

الأم : (تبكى متشنجة) لا أريد أن أسمع شيئا ! لا أريد . كفى، كـفى ، أوقـفـوا هذه الحـرب . كـفى ! لا أريد . . لا أستطيع . . لا أستطيع !

(توشك على الإغماء يمسك بها الأب مرتعبا) .

الأب : مارغاريتا ! كلا ! أستحلفك بالله ، تماسكى ! انفضى عنك الانفـعالات العنيـفـة ! إنه يكذب . . أفيـقى ، يامارغاريتا ، أفيقى . سـيدمرنا هذا الولد تدميرا ! . . (ينادى ابنه) أحضر قليلا من المـاء ! أمك تموت ياولد !

الابـــــــن : (يجرى خارجا إليها . ويقترب منها بهدوء) أماه ، هيا اهدئى .

الأب : سوف تقضى عليها ، أيها القاتل !

الابـــــــن : قتلتها أنت منذ أمد طويل من قـبل . أجهزت عليها ، بصـفقـاتك ، ومكاسبك ، ومنافـسـاتك القـذرة ، مع سائر الأنذال من طغمتك الخسيسة !

الأب : أحـضر قليـلا من المـاء ، ياولد ! (يمضى الابن إلى الداخل) تعـالى ، يا حبـيـبـتى ، تعالى . أحـبك أكثـر من أى شـخص فى الدنيا . . أنت زوجـتى ، وأنا زوجك ، حـتى الموت ! نحـن عندنا مـبـادئ . لن نتـنكر لهـا ونهدمها ، مثلهم ، ولن نتركهم يهدمونها . . .

الابـــــــن : (يدخل ممسكا كوبا من الماء) قضى الأمر الآن . حطمتم كل شئ ورحـتم تلمـلمـون الحطام وتلصـقـونه بصـوالح الأنانية !

الأب : (يناول الأم جرعه من الماء) نحن نفعل ذلك ؟

الابـــــــن : أجل بكذبكم ، وأخلاقياتكـم المصطنعة ، وشعاراتكم المزيفـة وتـديـنـكم المخـضب بالـدمـاء . ! وثرواتكم العطنة !

الأب : (وقد افاقت الأم) بغـير مال ، لا وجـود لك ! هذا أول شئ كـان يجب أن تعلـمه إيـاكم الإيديولوجـيـة التى تتشدقون بها !

الابـــــــن : لعلمك ، هذا صحيح ، ولكن المـال الذى نقدره نحن ليس ذلك الذى تعنيه أنت ، وليسَ ذلك المسـتعبد إلى الأبد .

الأب : أنكم مضـحكون . لا تستطيـعون أن تعـرفوا كم نحن أقـوياء بثرواتنا ! إذا أوصـدت الأبواب فى وجـوهنا ، تسللنا من النوافـذ وجعلنا منهـا أرحب الأبواب ، فى النهاية . أما أنتم ، فـقد رحتم تتعلقـون بالمعجزات . يالكم من مضحكين حقـا ، ماديون واقعيون أنتم ، أو هكذا عن أنفسكم تزعمون ، ثم لا تلبثـون أن تتشبثوا بأهداب المعجزات !

الابـــــــن : نؤمن المعجـزات التى تصنعها الأيدى التى تعـمل حرة طليقة من القيود ، بلا سياط تهوى على الظهور ، ولا

مقـود تقـاد منه مثل الجـياد ! ولولم تكن ضـيق الأفق متـطرفا إلى هذا الحـد ، لكنت استطعت أن تتـبين أن المعجزة شرقا وغربا تتحقق .

الأب : (متذمرا) أنت مـجنون ! ملتو ! خـدعـتم جميعـا ! الوحيدون الذين لن يخـدعوكم هم نحن ! وذلك لأننا أنجـبناكم . نحن صنعنا هـذا العالم . نـحن علمناكم كيف تـفكرون ، وبالتالى نحن أيضـا الذين أعطيناكم الأسلحة التى تحاربوننا بها ! لكننا لن نترككم تحاربوننا إلا بالحـد الذى يحـقق مـخططاتنا . نـحن فى نظركم نضع فى أيديكم وأقدامكـم أغلالا ، ولكننا فى الواقع لن نخون أبدا أحـلامكم مثلما يفـعل الآخرون . نحن نحبكم . نحن بحاجة إليكم !

الابـــــن : تفخم كثيرا من طبقتك ، وتعتز بانتمائك إليها .

الأب : إنهـا طبـقـتك أنت أيـضـا (إلى الأم) لاتقلقى ، يا مـارغـاريتـا . . الزمى الهـدوء . إننا نتـبـادل أطراف الحديث ، فحسب .

الابـــــن : (يرمقه بسخرية) على أى حال ، إننى راحل .

(ينصرف إلى الغرفة الداخليـة . تضطرب الأم . كما يضطرب الأب بدوره . أضحيا الآن يواجهان خاتمة المصير . يحوطهـا الأب بذراعه ويأخـذها فى حضنه ، وقد ثبت أنظاره على فتحة الباب الموارب)

الأم : خريستو . . ما عدت أستطيع . . سوف يرحل !

الأب : الزمى الهدوء .

الأم : أفعل شيئا . . أطلب منه أن يغفر لك . . إنه ابنك على أى حال. وليس فى أن تطلب منه ذلك ما يشين !

الأب : (يواصل التطلع إلى انفراجة الباب الموارب وقد استقر عزمه على قرار)

(يقبل الابن حاملا حقيبته . لحظات يتبادل فيها الجميع الانظار واجمين . وفجأة ، تمضى الأم لتحتضن الابن ، إلا أن الأب يصدها عن ذلك بصرامة)

الأب : مارغاريتا !

(تتوقف الأم فى منتصف الطريق ، مرتبكة ، لا تدرى ماذا تفعل)

الابن : استبدادك ليس له حدود !

(يخطو خطوتين ، ويأخذ أمه التى تنخرط فى البكاء بين أحضانه)

لو كان باستطاعتى لأخذتك معى، وأخرجتك من هنا .

الأب : (وقد استقر عزمه على الهجوم) ولماذا لاتستطيع ؟

الأم : خريستو !

الأب : لماذا لا تستطيع . لنفترض أننى أسمح لها بالرحيل . . أين ستذهب بها . . ماذا لديك كى تعطيه لها ؟

الابن : سوف يكون بإمكانها على الأقل أن تستنشق هواء نقيا ! سوف يكون بإمكانها أن تحيا فى النهاية !

الأب : هواء ، إذن ! هذا ما لديك كى تعطيه لأمك . هواء مدقوقا ! أما هى فسوف تحيا عاملة فى مصنع أو خادمة تشتغل فى البيوت ، وذلك كى يتمكن ابنها المرفه الغندور أن يظل طالبا يتناقش فى أمور السياسة ! لأنك بالطبع قد تكون منحازا إلى الغلابة الكادحين ، ولكن ليس باستطاعتك أن تضحى تماما منهم . لاتستطيع أن تكون بدورك غلبانا كادحا ، لأنه من ذا الذى سيقيم

حـينذاك أودك ؟ من ذا الذى سـيـوفـر لك الدعم كى تثرثر بآرائك فى الهجوم على طبـقتنا ، ويساندك ماديا فى تجريحنا ؟ هيه ؟ هذا ما كان بمقدورك إذن أن تقدمه لأمك لو انك أخذتها من هنا ! قليل من الهواء النقى، هيه ! ثم بعـد ذلك تتبجح وتسـألنى ولم لا أستطيع ؟ سوف أجيبـك أنا لمـاذا لا أستطيع . لأنك خارج هذا البيت ، لاوجود لك . لامال لك ، لاوجود لك !

الابـــــن : اطمـئن ، سوف يكون لى بـغيـرك وجود . لاتشـغل بالك سوف يـكـون لى وجود ، وأفـضل من وجودك بكثير أيضا !

الأب : أين ؟ومع من ؟ مع المفلسين ، عـميـان القلب ؟ وإلى متى ، تظن أن وجودك هذا سيـستمر ؟ هل تريدنى أن أقـول لك أنـا من جـــديد إلى مـتى ؟ إلى أن تنفـذ نقودك ، التى هى نقودى أنا .

الابـــــن : إنى ابصق على نقودك . فاهم ؟ إنى راحل .

الأب : كلا . لن ترحل ، لم يحن وقت رحـيلك بعد ! يجب إن تجيـبنى أولا . . يجب أن تـخبـرنى من ذا الذى قال لك إن أمـك إلى جـوارى لاتحيـا . . أو أنها لاتحب أن تحيا . . . وأن حيـاتها هنا فراغ . . وأن الملل يطبق على خناقها . أجـبنى ! إن حياتها مـعى على مايرام . والآن إسألهـا ! ستـجيب عـليك بنـفـسهـا ! أجيبـــيه ، يا مارغـاريتا ! أريد أن أسمع الإجابة ! هل سـترحلين من

جانبى ، كى تذهبى معه؟هل سترحلين أبدا ؟ أجيبى !

الأم : (وقد أسقط فى يدها . ولاترى لنفسها مخرجا) كلا . .

الابـــــــن : أيها الدكتاتور المستبد !

الأب : أنت مخطئ . أنا مجرد سيد أمسك بالزمام . وددت أن أعرف الآن من أنت ؟

الابـــــــن : كف عن هذه اللعبة الغبية .

الأب : أغلب الظن أنك مجرد واحد من جيل المشاغبين الساخطين . وهؤلاء لايستحقون منا سوى السخرية والازدراء . ها ، ها .

الابـــــــن : الزم حدودك . حذار ! (تتدخل الأم بينهما)

الأب : دعك منه يامارغاريتا. أنا لا أخشاه ! لست انت من أخشاه . لستم أنتم من نخشى ! لقد خدعناكم ، وغررنا بكم . ألصقنا بكم صفة البطولة المزيفة ، وانتهينا منكم ! انظر إلى أنا . كنت رجلا من رجال الصناعة ولازلت.وأجزم لك أننى الآن أكسب أضعاف ما كنت أكسبه من قبل، وفى العام القادم،سيصل عدد عمالى إلى ثلاثة آلاف عامل فى المصنع الجديد ، أما أنتم ، فما الذى حققتموه ؟ ما الذى تعتقد أنت أنكم حققتموه ، ضدنا ؟ !

الابـــــــن : تعرف جيدا ماذا باستطاعتنا أن نفعل. تعرفون جيدا ماذا باستطاعتنا أن نفعل،وترتعد لهذه المعرفة أوصالكم !

الأب : هذا خطأ ! إننا لانخشاكم أنتم . يامعشر الشباب

المتلئ بالحماسة ، يا من تتشدقون بالكثير من الكلام الأجوف ،بل نخشى ماردا ضخما لازال لحسن الحظ ، حتى الآن فى سباته غارقا .

الابـــــن : يوما ما ، سوف يصحو ذلك الوحش الكاسر ! وهذا اليوم أيضا ليس ببعيد ، وعندئذ سوف يفتح فاه ويبتلعكم .

الأب : وهل أنتم الذين ستوقظونه ؟ أنتم عاجزون حتى أن تحرروا أنفسكم ، فهل ستحررون تلك الجموع الضخمة؟ أنتم إنما تعملون لحسابنا ! تنتزعون المبادءة من هؤلاء وتسلمونها إلينا !

الابـــــن : حسنا .. سنرى ذلك .. لاشئ انتهى بعد . المعركة مستمرة ! (يحمل حقيبته ، ويهم بالرحيل) .

الأب : أما عن ماريا . (يتمهل الابن مصغيا) الآنسة ماريا ، فأريد أن أقول لك إننى أنا الذى دفعتها إلى أن تصادقك ، بل وأيضا نقدتها أجرا على ذلك . كلفتنى ماريا خمسة آلاف دراخمة .

الابـــــن : يالها من عاهرة !

الأب : أما أنا فما كنت أسميها عاهره قط .. إنها بالنسبة لى عميلة أدت صفقه ، عهدت اليها بمهمه فنفذتها ، وقبضت الثمن .

الابـــــن : تفكير خسيس! طوال حياتك تعودت على الصفقات ، على البيع والشراء ، أن تباع للغير وتشترى !

الأب : هذا قانون السوق . نحن نحيا فى سوق ضخم ! عرض وطلب ! حتى أنتم يمكن أن نشتريكم ونستخدمكم !

الابـــن : هـذه إملاءات الفاشية القبيحة . (يهم بالانصراف من جديد) .

الأب : ألن تسألنى لماذا أنقدتها أجرا ؟ ألا تريد أن تعرف ؟ بكل سرور ، سوف أخبرك فعلت ذلك ، لأننى لاحظت أنك تتعثر فى علاقتك مع النساء . لديك عقدة نقص منهن مثل كل رفاقك الذين استبدت بهم المثالية المفرطة . ووأدت فى أعماقهم القدرة على التسيد . استأجرتها إذن ، كى تتلاقى معك . لأننى أردت ابنى أن يكون رجلا ، لايخشى النساء ، ولايضعف أمامهن . استخدمتها إذن ودفعت لها أجرا كى توقظ فيك رجوله راعنى أنها أضحت عنك ، مثلما عن ابناء جيلك ، غائبة ! أردت بذلك أن تكون سيدا مطاعا لا سلس القياد مسودا !

الابـــن : (مزمجرا ، يضرب الأرض بحقيبته تمسك الأم به)
خريستو ! كف عن ذلك ، ياخريستو ! .

الأب : ما الذى أثارك من كلامى وعكر صفو مزاجك ؟ ألم تكن أنت نفسك تقول لى ذات مرة عن أحد رفاقك إنه كان ينعتكم بالعجز وانعدام الفعالية ؟ ألم تقل لى ذلك أنت نفسك ؟ قلت لى أنت ذلك ، ورثيت لك ، دون أن أنبس بكلمة . بئس المثالية المفرطة . إنها تفضى إلى العجز وعدم القدرة على التعامل مع الواقع . وقد

أردت أن أعيـدك إلى الواقع الذى أنت منه ، أن أبعث فيك الإحـساس بأن تسود وتتـسيـد . ولكن إلى متى أنفخ فى قربة مقطوعـة ؟ إلى متى ؟ تريد أن ترحل ، هيه ؟ ارحل إذن ، ولكنك لن تجد من يدفع من أجلك أجرا لماريا أخرى !

الابــــن : هذه خسـة منك ، وقذارة ! اعـتدت البـيع والشراء ، اعتدت مثل نخاس حتى تجارة الناس والأعراض .

الأب : أخـبرتنى مـاريا بكل شئ ! ولهـذا فقـد أجزلت لهـا الأجر! قـالت لى إنك تعانى من كوابيس ومـخاوف ! ممتلئ أنت بالعقد النفسـية . وتعانى إزاء النساء أزمات من الرهبة الشديدة !

الابــــن : أيهـا الخـسـيس ، أنت الذى جـعلـنى هكذا ! أنت ومجتـمعك الذى يتاجر بـالأعراض مجتمع مـصاصى الدماء . أيها الأوغاد الذين تنهشون البشر !

الأب : بالطبع نحن ! نحرمكم وأنتم صغـار من رغباتكم حتى نضمن أن تكونوا فيـما بعد طوع بناننا . أجل ، نحن الذين صنعناكم ، ولدينا المقدرة أن نجـعل منكم عجينة طيعة . لستم أنتـم بأى حال الذين تصنعوننا . بإمكاننا أن نكسركم كأعواد حطب جـافة ، وإلى الجحيم نلقى بكم. أنتم أقزام، صـغار النفوس، شكلا ومضـمونا . يجب أن تفهم ذلك ! وفى لحظة يزعق القزم الضئيل ، وماذا تكون النتيجـة ؟ ذات يوم تكونون حزبا واحدا ، ثم تتكاثر أحزابكم . قد تضحون ثلاثين حزباً ، ولكن

مـاذا تكون النتـيجـة ؟ يتـعارك كل طغـمـة منكم مع الأخـرى ، وبينما تبـادون تمضى مـسيـرتنا نحن عبـر التاريخ ، أحرارا، متـحدين ، تسودنا السكينة . نعمل التحطيم فـيكم ، ونهد قواكم ! ومـاذا تظن ، أثمرت هنا وهناك تحركـاتكم ؟ تحقق النصر للأقـزام ، لهؤلاء الصغار ! هيا ، أذن ، إرحل ، اذهب لتجد عزاء لدى هؤلاء الاقزام ضئيلى القدر !

الابـــــن : (وقد رفع شيئا ليضربه به) اخرس !

الأم : خريستو ، أستحلفك بالله ! الرحمة !

الأب : الرحمة ليست لأجل الحمقى ، يامارغاريتا . دعك من طلب الرحمة لمثل هذا الولد العاق ! (إلى الابن) اضربنى إذن ! من ورائى تقف آلاف القـبـضات الحـديدية التى ستكسر ذراعيك ! هاه ! اذهب إلى طغمة الأشرار التى تنتمى إليـها . أحد رجالـى ، كان يتعقـبك ، ويعرف تحركاتك وسكناتك كلها . أعرف ما الذى كان يجعلك تهجر كل طغـمة تنضم إليها . ميل إلى الاستـقلالية ! رغبة فى تأكيد الذات ، تمسـك بوجهة نظرتك الخاصة للأمور ، ولكـن على الدوام كانت وجهـة نظرك تلك مجلوبة إليك من آخـر أكثر اقتـدارا منك ، فإذا أفلت منها فإلى وجهه نظر أخـرى مجلوبة بدورها من غيرك ، وهكذا ، وهكذا ، وهكذا ! قـرأت أنا أيضا أوراقك ! كنت آخذها منـك خلسة وأقرأها ، كى أعـرف أحوال عـدوى ! أنت لاتتكلم ، هيـه ؟ هيـا ، ارحل إذن . وكون لنفـسك طغمة خاصـة بك ، أنت أيضا . إرفع

علمك ، واخـرج لتخطب عـبر مكبرات الـصوت فى جماهير الشعب اليونانى!هيه ! . . ولكن الشعب سوف يصـرخ فيـك « لانريدك. لانعرفـك » لأن الجمـوع ، الملايين ، الآخـــرين ، الجـمــاهـيــر ، لاتأبه بك ، لاتعرفك . أنت بالنسبة لهـم نكرة . الجماهير ملكنا ! سنوات وسنوات ، الآن ، هى لنا. دهورا تلو دهور ، وإلى الأبد ، تتبعنا ! هاه ، هـذا الذى تفعله حسن ، ومنذا الذى لايريد أن يخالف ، ويظهر بمظهر المتفرد . خـالف تعـرف يا أخى ، هكذا يقـولون ، ولكن هذه أمـور حسنة عندمـا يكون المرء فى شـبابه ، وقـبل أن تفجعه الأيام ، وتخيب ظنه فى الناس إذهب ، الآن ، إرحل ، بحـقيبـة أبيك ، والملابس التى اشتـراها لك أبوك ، والتعليم الذى أتاحه لك مـجتمع أبيك ، ولغة أبيك ، ونقـــائص أبيك ، ونـقـود أبيك ، كـى تطبع منشورات ضـده .اذهب. وعندما سـتجد نـفسك بلا قرش واحـد ، وتعرف أنك فى هذا المجتـمع لا وجود لك بغير المال ، وبغـير قرش لاتساوى أكثـر من صفر كبير ، إذهب والتـحق بعمل فى مصنع، وسوف تذوق حلاوة الفقر ، سوف تعـرف ماذا يعنى أن تشقى عشر ساعات وخمس عشرة ساعة فى عمل يمتص وجودك ، ولايتـرك لك فى النهـاية شيـئـا ، سـوف تنسى إذن أحلامك . ولعك تتـزوج أيضاعاملـة فى مصنع تكدح ليل نهـار مثلك . وتنجب أولادا ، وتمضى فى الحـياة تنتظر أن يأتى فرج ، لايجئ وتملأ سـمعك بالأكاذيب

العامة وأنباء الخيانه والخذلان والجرائم ، ومفاسد البيروقراطية ، وتجاوزات الدولة البوليسية ، وعصابات المرتشين وحشالة القوم ، والعاهرات والقوادين والامعات والمرتزقة . ويظل المكسب على الدوام هو الأساس الذى يقوم عليه السوق . إذهب .. إرحل .. ولكن إذا ما أردت أن تبقى ، فأنا ، أنا أبوك ، أطلب منك الصفح والمعذرة !

(تنفجر الأم فى نوبة من البكاء ، يهجم عليه الابن مهتاجا . ثم لايلبث أن يجرى إلى الغرفة الداخلية . بينما يتهد الأب جالسا)

الأم : (دون أن يبدو على الأب أنه ينوى الذهاب فى أعقاب ابنه) حذار ، ياخريستو . حذار . لاتذهب إليه ! لاتنخرط فى شجار معه . كفى ! اصفح عنه !

الأب : إنى أصفح عنه (يسمع من الداخل ، صوت الباب وهو يغلق بشدة)

الأم : (تقبل يديه) أشكرك ! أشكرك !

الأب : أديت واجبى . مادام لازال بإمكاننا أن نضرب ، فسنضرب ، حتى أولادنا لن يفلتوا من ضرباتنا !

(برهتين . يستدير الأب فجأة ليرى حقيبة ابنه واقعة على الأرض . ثم يذهب نحو الباب المموارب) .

الأم : حذار ! حذار ! لاتذهب إلى الغرفة بالداخل هناك ! اجلس واهدأ سآتى به أنا بنفسى .

(يستدير الأب عائداً . تذهب الأم إلى الداخل . ثم تعود وقد الجم لسانها) .

الأم : خريستو ، إنه رحل ! (تبكى فى صمت) رحل .

الأب : (بعد برهتين ، دون أن يفقد هدوء أعصابه) حسنا ، إذن لازالت المعركة مستمرة !

ستار

ديمترى بساثاس

مجانين العصر

الشخصيات

الطبيب
السيدة
اغسيلاوس فوكاراس (يبلغ من العمر خمسين عامًا)
ستة مجانين (من أنماط مختلفة)

(تجرى أحداث المسرحية فى العيادة . يجلس الطبيب على مكتبه بينما تجلس السيدة قبالته)

الطبيب : والآن ماهى الأعراض التى تظهر على زوجك ؟

السيدة : قبل كل شئ ، يظهر عليه القلق والاكتئاب ، ياسيدى الطبيب .

الطبيب : وماذا يظهر عليه غير ذلك .

السيدة : ثم هو عصبى عصبية مفرطة .

الطبيب : أهو ينفجر فى الصياح ؟ يشتم ويلعن .

السيدة : إنه لايفعل ذلك على الدوام . لكنه ، ياسيدى الطبيب يأتى إلى البيت فى بعض الأحيان شارد اللب ، شاحب الوجه . وإذا به يضرب نفسه ويهلوس ، ويطلق السباب وتنتابه النوبات .

الطبيب : ومتى يحدث له ذلك ؟ أعنى متى تنتابه النوبات ؟

السيدة : عندما يقبض مرتبه .

الطبيب : وهل يتقاضى الكثير ؟

السيدة : ماذا تنتظر أن يتقاضاه موظف حكومى ، ياسيدى ؟

الطبيب : آه ، أجل ، موظف حكومى . فهمت . هل تستبد به فكرة واحدة لاتتغير ؟

السيدة : أجل . يفكر دائما فى العلاوة فى ميعادها . متى ستصرف . هل سيخصم منها شئ . وكلما تأخر حصوله عليها ، كلما ساءت حاله .

الطبيب : هل هو يلعن الحكومة . ويشتم المسئولين ؟

السيدة : طوال النهار يتمتم متذمرا . وهو بالليل على الأخص شديد الانزعاج . يهب أحيانا من نومه كالمجنون ويصيح فى ماريا أريد أن آكل الوزير أريد أن آكل الوزير .

الطبـــــيب : هل يصب نقمته على الوزير فحسب ؟

السـيــــدة : أجل ، عادة ، لكنه يصيح فى بعض الأحـيان قائلا : أريد أن اكل رئيس الوزارة .

الطبـــــيب : ما هى الوظيفة التى يشغلها .

السـيــــدة : صراف بالخزينة .

الطبـــــيب : آه ، هو صراف بالخزينة ، إذن . .

السـيــــدة : أهذه بادرة سيئة ، ياسيدى الطبيب ؟

الطبـــــيب : أيه بالطبع . إنهـا تزيد من صعوبة موقفـه . . ملايين الجنيهـات تنسـاب من بين يديه كل يوم ياسـيدتى ، ولايدخل جيبه منها شئ . .

السـيــــدة : ولاحتى ثمن السجائر . .

الطبـــــيب : أليس ثمة أعـراض أخرى مميـزة ، تستلفت اهتـمامك على وجه الخصوص ياسيدتى ؟

السـيــــدة : الأعراض عـديدة ، ياسيـدى الطبيـب . فى كثيـر من الأحيـان يقول إنه ذاهب إلى السـوق . ثم لايلبث أن يعود كما لو كان يسـير نائما ، ويمد إلى يده قائلا . . ماريا خذى هذه الدجاجة التى اشتريتها لك .

الطبـــــيب : وما الذى يزعجك فى هذا ؟

السـيــــدة : إنه يقول ذلك ياسـيدى لكنه لايحمل شيـئا مما يقول . يصـيح فى : ماريا خـذى هذا الجنبرى . . لكن يديه خـاويتـان على الدوام . . مـاريا خـذى هذا السـمك الباربون - خذى هذا الديك الرومى. هذه الشرائح من اللحم . .

الطبيب : ولا يحمل شيئا من هذا كله ؟

السيدة : لاشئ على الإطلاق ، ياسيدى الطبيب .

الطبيب : وأنت ، ماذا تفعلين عندما يمد إليك يديه خاويتين ؟

السيدة : ماذا تريدنى أن أفعل ؟ اتظاهر بأننى آخذ منه يا يجلبه لأننى إذا لم آخذها تثور ثائرته ، ويصيح قائلاً إن حمله ثقيل،وقد تعب مما يحمل .. على إن الأزمة تصل إلى أسوأ صورها ساعة الظهيرة ، عندما يجلس إلى مائدة الغذاء ، ويسألنى : ماريا ، هل قليت السمك الباربون ؟ هل شويت شرائح اللحم ؟ وأجيبه قائلة : إننى قليت السمك الباربون وشويت شرائح اللحم . وعندئذ يتظاهر بأنه يأكل . ثم يطلب كوبا من « الصودا » أجل كوبا من « الصودا » لتساعده على الهضم .

الطبيب : آوه .. آوه .. آوه ..

السيدة : هل الأمر جسيم ، يادكتور ؟

الطبيب : جدا ، لكن بالنسبة لغير ذلك من التصرفات .. أهو طيب القلب ، طاهر السريرة ؟

السيدة : مثل حمل غرير ، ياسيدى .

الطبيب : حساس ، رقيق الشعور ؟

السيدة : إلى أقصى حد ..

الطبيب : إلى أقصى حد ..

الطبيب : أهو يكذب ؟

السيدة : أبدا . .

الطبيب : أهو يسرق ؟

السيدة : أبدا .

الطبيب : ألم ينصرف إلى التجارة قط ؟ ليبيع شيئا ؟

السيدة : أنه يداب على البيع ، ياسيد .

الطبيب : ماذا يبيع بالضبط ؟

السيدة : قطع أثاثنا .

الطبيب : آه . . فهمت . .

السيدة : الأمر خطير ، أذن ، يا سيدى ؟

الطبيب : خطير للغاية .

السيدة : ما هو المرض الذى يشكو منه ؟

الطبيب : أزمة إفراط فى الشرف .

السيدة : كنت دائبة النصح له ، ياسيدى الطبيب . كنت أقول له : أسرق ، يا أخى . ألست صرافا ؟ . إختلس أنت أيضا . اخطف بدورك شيئا . كثيرون آخرون من الشخصيات اللامعة يخطفون ويقضون حياة ممتعة . ما الذى سيصيبك ؟ فى أسوأ الأحوال ، ستمضى سنتين أو ثلاث سنوات فى السجن ثم تخرج وتصبح غنيا عظيما .

الطبيب : وبم كان يجيبك ؟

السيدة : كان يثور فى وجهى ، ويهجم على ، يريد أن يمزقنى إربا . . لهذا جئت به إليك ياسيدى الطبيب ، وأنى لأشكرك مقدما . وإذا قدر لك أن تشفيه فانى سأعترف

لك بالجميل طـــول العمر . (ترفع عينيهـا وتثبت نظراتها على عينيه) وسأرد لك هذا الجميل، يادكتور .

الطبـــــيب : حسنا ، حسنا .

الســـيـــدة : (ممسكة) وسأرد لك الجميل . .

الطبـــــيب : مفهوم ، مفهوم . .

الســـيـــدة : (بمعنى) لأننى أعرف كـيف أرد الجمـيل ، إلى اللقاء ، ياسيدى الطبيب . .

الطبـــــيب : (يتعقبها بنظراته وهى تنصرف) الحق، أنك أنت أيضا بحـاجة إلى علاج . (تخرج السيدة ،وبعد هنيهة يدخل زوجها اغسيلاوس ، وهو رجل نحيل شـاحب . يلبس نظارة وثيابا قـديمة . يبدو عليه الخـوار والتردد . يجيل حولة نظرات خائفة ، يتقـدم بخطوات وئيدة نحو الطبيب ويرمقه بنظرة قلقة ، ثم يومى له فى بطء بالتحية ، كما لو كان قد استبد به الجزع)

اغســيلاوس : طا . . طا . . طا . . (يبذل جهدا أخيراً) طاب يومك .

الطبـــــيب : (يقترب منه) تفضل ، تفضل . .

اغســيلاوس : (يتراجع خائفا)

الطبـــــيب : لا تخف . اقترب منى .

اغســيلاوس : ولـم أقترب منك ؟

الطبـــــيب : هل تخاف منى ؟ أنا لا آكل البشر . .

اغســيلاوس : هذا غريب . (كـمـا لوكـان يستـرد شجـاعـتـه) أنت بذلك استثناء شاذ .

الطبـــــيب : (يشير إلى المقعد) أجل . لاتخف .

اغســيلاوس : شكراً (يجلس وجلا على حافة المقعد) .

الطبـــــيب : (ينظر إليه عن قـرب . يتفحص عـينيه .. ويضرب ركـبته فـجأة بيده . يقـفز اغسيلاوس واقفا) .

اغسيلاوس : آه .

الطبيب : اجلس . . اجلس . (يعاود اغسيلاوس الجلوس) ما اسمك ؟

اغسيلاوس : اغسيلاوس .

الطبيب : اسم الوالد ؟

اغسيلاوس : فوكاراس . (ينظر اغسيلاوس إلى الطبيب بلهفة بمعاناة) هل أنا مجنون ، يا دكتور ؟

الطبيب : لم تجن بعد .

اغسيلاوس : وهل سأجن ، يا دكتور ؟

الطبيب : لا أدرى . . هل يشغلك أمر جنونك كثيرا ؟

اغسيلاوس : أجل ، ما دام الناس قد وصلوا إلى هذه الحال . لقد أصبح الناس على غاية من الفضول ، هذه الأيام . ياسيدى الطبيب . كثيرا ما أفكر قائلا إن كنت أنا مجنونا ، فكل هؤلاء المحيطين بى عقلاء . لكن إن كنت عاقلا ، فكل من حولى مجانين . .

الطبيب : هل تدخن ؟

اغسيلاوس : (يتنهد) أقلعت عن التدخين .

الطبيب : هل تشرب ؟

اغسيلاوس : (يتنهد) أقلعت عن الشراب .

الطبيب : هل أطلب لك قدحاً من القهوة ؟

اغسيلاوس : (يتنهد) حتى قدح القهوة أقلعت عنه . . !

الطبيب : علاقات . . جنسية ؟

اغسيلاوس : آوه ، قاطعت النساء من العديد من السنين . لم أعد أقربهن ، حتى زوجتى .

الطبيب : هل تذهب إلى المسرح ؟ ألا تذهب إلى المحلات العامة لتروح عن نفسك ؟

اغسيلاوس : محلات عامة ؟ (يفكر) آه ، أجل ، أذهب إلى محلات الجزارة ، أشاهد الذبائح المدلاة. كما أتردد على محلات السمك، حيث يفد إلى خاطرى كثيرا المثل القائل « أيتها العينان كلا سمكا ، أما أنت يا بطنى ، فابقى فابق على خوائك» على أن محلات الجزارة هى محلاتى المفضلة . بل أننى أقف أمام أصناف اللحوم ناقدا ، فأقول : هذا الصنف فيه دهن كثير . . أما هذا الصنف فهزيل .

الطبيب : هل تشترى حاجياتك بنفسك من السوق ؟

اغسيلاوس : لما كان مرتبى الذى اتقاضاه من الحكومة لايمكننى من أن اشترى الاشياء فعلا فاننى اشتريها شراء خياليا . أنى اسأل: كم ثمن السمك الباربون ؟ فيقولون لى ثمن الأقة أربعون دراخمة. فأشتريها مجازا . واقربها مجازا . وآكلها فى خيالى . وهذا ما أفعله أيضا بالنسبة لكل المأكولات الشهية . وهكذا أشبع شبعا خياليا . أليس ذلك حلا يادكتور ؟

الطبيب : أجل . بالطبع .

اغسيلاوس : بل ، إنى لأجزم لك انه حل رائع .

الطبيب : هل أنت متأكد من ذلك ؟

اغسيلاوس : كل التأكيد . بهذه الطريقة والفضل فيها يرجع إلى حكومتنا - معدتى خفيفه على الدوام ، ومن ثم لا

أعانى من أى عسر هضم ، ويحتفظ جسمى برشاقته على الدوام . أعنى أننى من الناحية الصحية على خير مايرام .

الطبيب : لكن قل لى . هل كل غذائك هكذا ، خيالى. ألا تمضغ أسنانك أطعمة فعلية أحيانا ؟

اغسيلاوس : كيف ؟ بالطبع .

الطبيب : ماذا تأكل إذن ؟

اغسيلاوس : فعليا أكل عدسا .

الطبيب : كثيرا ؟

اغسيلاوس : ست مرات فى الأسبوع ، وفى المرة السابعة أكل فاصوليا.

الطبيب : بالزيت ؟

اغسيلاوس : بقليل جدا من الزيت . بضع نقط فحسب .

الطبيب : متى أكلت لحما آخر مرة .

اغسيلاوس : (يستغرق فى التفكير) مثل هذه الأحداث القديمة سيصعب على أن أذكرها .

الطبيب : لابد أن وزنك يتناقص ألا تعرف كم نقص وزنك ؟

اغسيلاوس : أقلعت عن متابعة وزنى . لكن على ما أفهم لم يعد وزنى ثقيلا .

الطبيب : قالت لى السيدة زوجتك أنك تعانى من نوبات بالليل فى السرير .

اغسيلاوس : لاتنقطع نوباتى ياسيدى . إنى أنتفض عندما أذكر أسعار المأكولات .

الطبيب : هل ترى فى نومك أحلاما ؟

اغسيلاوس : أجل . أرى فى العادة دجاجا . وفى بعض اللحظات الرائعة أرى شرائح من اللحم المشوى ، لكننى أرى فى أحلامى أيضا أننى آكل الوزراء والتهمهم (بمعاناة) هل أكون مصابا بمرض عصيب ، يا دكتور . ؟

الطبيب : بالضبط ، هذا ما أنت مصاب به ، لكن مرضك على أى حال مازال قابلا للعلاج ، بخلاف كثير من المرضى الآخرين الذين يستعصى شفاؤهم .

اغسيلاوس : أهناك من هم أسوأ حالا منى ؟

الطبيب : بكل تأكيد . إن العصر الذى نعيش فيه هو عصر الشذوذ والمعاناة . ولهذا فقد ولد هذا العصر أصنافا عديدة من مرضى الأعصاب والمجانين . عندى هنا فى المصحة بعض من مجانين العصر . سترى توا نفراً منهم ، فهذا هو الوقت الذى يخرجون فيه للترويح عن أنفسهم . هاهو واحد منهم (يشير إلى اليمين)

اغسيلاوس : من هذا .

الطبيب : تأمله وستعرف .

اغسيلاوس : (يدخل من اليمين المجنون الأول . أشعث الشعر جاحظ العينين . ما أن يظهر حتى ينحنى فى مكر وحذر . يتلفت يمنة ويسرة . يقفز عدة قفزات . ثم يندفع إلى الأمام فى نوبة فجائية ،وهويعوى كما لو كان قد ركبته الشياطين)

المجنون ١ : ثروة ، ثروة ، كيف سنجمع ثروة ، ثروة كبيرة ، ثروة كبيرة !كيف سنجمع ثروة ؟مال ، مال ، ثروة كبيرة . مال ، مال ، ثروة كبيرة .

اغسيلاوس : مما يشكو هذا الرجل ؟

الطبيب : جنون المال يطارده .

(بقفزة واحدة يجيئ المجنون أمام اغسيلاوس . يحملق فى عينيه ويسأله)

المجنون : كيف نجمع ثروة ؟ هيه قل لىّ كيف سنجمع ثروة . ثروة كبيرة .

اغسيلاوس : (ينكمش فى مقعده مذعورا وينظر إليه بعينين يستبد بهما الرعب والقلق) سيادتك تسألنى أنا ؟

المجنون : كلهم جمعوا ثروات ما عداى أنا لم أجمع ثروة ،وأنت ألم تجمع ثروة ؟

اغسيلاوس : لقد بعت كل شئ حتى حذائى .

المجنون : (ينظر إلى اغسيلاوس ويضحك ضحكة ملئوها السخرية . يمديده إليه ملوحا باشارات الاحتقار . ثم يقفز مبتعدا عن اغسيلاوس ،ويعاود صيحاته السابقة « ثروة ثروة . كيف سنجمع ثروة ؟ ثروة كبيرة . كيف سنجمع ثروة » يردد هذه العبارات ، ويقفز هنا وهناك . ثم يمضى إلى اليسار منصرفا . بينما تظل نظرات اغسيلاوس معلقة بالباب الذي خرج منه المجنون .وقد استبد به حزن عميق)

اغسيلاوس : (بعد برهة من الصمت يلتفت إلى الطبيب) ياله من رجل تعس . إنه أسوأ حالا منى

الطبيب : من فرط اللهفة على المال اختلت عقول كثير من الناس . هاهو مريض ثانٍ من صنف آخر .

(يلتفت اغسيلاوس نحو اليسار ويتابع بدهشة المجنون الثانى الذى يدخل بخطوات وئيدة ويأتى الحركات الست التالية بانتظام : يميل إلى الأمام كما لو كان يرى أحدا . ويسأله بتمتمات من شفتيه ثم يعلو الوجوم وجهه كما

لوكان قد تلقى على سؤاله إجابة مخيفة . وحتى يعبر عن جزعه ودهشته تعبيرا أقوى يرفع يديه إلى رأسه . قائلا «ساتر ياساتر ،ياساتر استر »ويكرر هذه العبارة مرتين أو ثلاثة وهو فى طريقة إلى اغسيلاوس والطبيب)

اغسيلاوس : (إلى الطبيب) بالله ، قل لى من هذا أيضا .

الطبيب : مذعور من الصعود الجنونى فى الأسعار .

اغسيلاوس : وماذا يفعل ؟ ما هى أعراض مرضه ؟

الطبيب : أنه يسأل عن أسعار المأكولات والحاجيات المختلفة . ولما كان دائب السؤال وغير قادر على الشراء وصل به الأمر إلى هذا الحال .

المجنون ٢ : (بعد ظهوره الصامت . يشرع فى الحديث مكملاً ما سبق من حركات صامته بما يلى من كلام) كم سعر اللحم (مندهشا ومذعورا) ياساتر . ياساتر استر . كم سعر الأحذية ياساتر . ياساتر استر . (فى كل مرة يقول هذه العبارة الأخيرة وهو فى طريقة إلى اليسار يقولها بصوت على مما سبق ، حتى ينتهى به الأمر إلى أن يشد شعره مولولا) ياساتر. ياساتر . استر ياساتر استر . استر .

اغسيلاوس : (بعد برهة صمت ، وقد داخله الحزن) هذا الرجل يفكرنى بنفسى .

الطبيب : أتعتقد ذلك ؟

اغسيلاوس : الصعود الجنونى فى الأسعار أمر مخيف ، يادكتور الأسعار لاتكف عن الارتفاع . كل شئ يرتفع سعره ويصبح بعيد المنال . وهذا ما أطاح بعقولنا نحن المساكين .

الطبـــــيب : ليس الصعـود الجنونـى فى الأسـعـار هو الذى أطاح بالعقول فحسب ، بل هناك اسباب أخرى عديدة تودى بصـواب الـناس هذه الأيام . دعنى أقـدم لـك الدليل على ذلك . انظر . أنظر إلى هذا الرجل (يشير إلى المجنون الثـالث الذى يدخـل من اليـمين . إنه رجل طويل نحيف يتـقـدم بخطوات بطيئة ينظر أمامه ويمسك بزهرة وهمية ينزع أوارقها ورقة ورقة . يمسك فى يد بالزهره وينزع بالاخرى أوراقها الوهمية ويقول بصوت منغم) .

المجنـون ٣ : ستقوم ؟ لن تقوم ؟ سـتقوم ؟ لن تقوم ؟ سنقوم ؟ لن تقوم ؟

اغسيلاوس : (يحملق فى المجنون ثم يسأل الطبيب) عمـا يسأل هذا الرجل ؟ ما هذه التى ستقوم أولن تقوم .

الطبـــيب : الحرب .

اغسيلاوس : الحرب ؟ وهل تعرف الزهرة الـتى فى يده ما إذا كانت الحرب ستقوم أم لا ؟

الطبـــيب : ألم أقل لك هذا المسكين مـجنون . وهذا هو ما اطاح بعقله على وجـه التحديد أنه دائـب القلق مما إذا كانت حرب جديدة ستقوم . ومن فرط القلق ضاع صوابه .

المجنـون ٣ : (يمضى فى التـقدم وفى اتيـان الحركـات ذاتها) سـتـقع . لن تقع . ستقع . لن تقع . ستقوم . لن تقوم(يستبد به كرب شديد) ستقوم ؟

اغسيلاوس : (إلى المجنون) لن تقوم .

المجـــنـون : وإن قامت ؟

اغسيلاوس : وماذا يهم ؟ فلتقم .

المجنون : وإن لم تقم ؟

اغسيلاوس : هذا أفضل . دعها لاتقوم .

المجنون : لكن إن قامت رغم ذلك ؟

اغسيلاوس : فليحدث ما يحدث .

المجنون : ستقع . ؟

اغسيلاوس : لن تقع .

المجنون : وإن وقعت ؟

اغسيلاوس : ما هذه التى ستقع ؟

الطبيب : (إلى اغسيلاوس) القنبلة الذرية . هذه يعنى .

اغسيلاوس : تقع أو لاتقع ، هذا شأنها وحدها .

المجنون : (تتسع حدقتاه فجأة ويبسط ذراعيه ، كما لو كان يحدث انفجارا مخيفا . ويصيح بأعلى صوته) بوم .

اغسيلاوس : (يقفز ملعوراً ،ويختبىء خلف مقعده . راكعا على ركبتيه ويحمى رأسه بين يديه أما المجنون فيفر بعد الانفجار خارجا من اليسار وقد استبد به الهلع . برهة صمت . يبال اغسيلاوس برأسه من مخبئه بعد قليل) وقعت ؟

الطبيب : وقعت ، كما رأيت .

اغسيلاوس : هل كانت قنبله ذرية أم هيدروجينية؟ .

الطبيب : الاحتمال الأكبر أنها قنبله ذرية ، لأنه عندما يلقى بالهيدروجينية يصم هذا الالقاء آذاننا جميعا .

(يدخل المجنون الرابع . يمشى بخطوات وئيدة جدا ويبدو عليه التعب . يخطو ثلاث خطوات ويقف كما كان ثمة شخص أمامه يعوقه عن المسير)

اغسيلاوس : عجباً ، وإذاً ما الذى يجعله يسير بهذه الخطوات البطيئة ؟

الطبـــــيب : أصيب بذلك من طول وقوفه فى الصف انتظارا لعربات الأوتوبيس والترام (إلى المجنون) تقدم ياعزيزى . تقدم .

المجنــــون ٤ : (يخطو خطوات قصيرة مثل الأطفال) خطوة . خطوة . خط العتبة . تاته . تاته . خــطوة . خطوة . خط العتبة . تاته . تاته . الصبر. الصـبر. الصـبر (يتوقف ويتنهد) انتظار . انتظار . انتظار (يتقدم) طوال الصباح . طوال الصباح . طـوال الصباح . طوال الصبـاح . الصبر . الصـبر . عند الـظهر . عند الظهـر . عند الظهـر . انتظار . انتظار. انتظار . انتظار. (كلما نطق بكلمه انتظار) . (يتوقف عن المسير)

اغســيلاوس : لكنه فى غاية الهدوء.

الطبـــــيب : ليس هذا حاله على الدوام . تنتابه أيضا نوبات . (يصيح المجنون فجأة بصوت شرس فى شخص وهمى) أنت ، ياقليل الأدب . أمامنا تتسلل إلى الصف ياصعلوك . من تظننا نحن الذين فى الانتظار ؟ بهـائم ؟ حيوانات؟ اغرب عن وجـهى حالا ، ياعـديم التربيـة ، ياغبى ، يابغل، ياخسيس ، لمــاذا تتخطى دورك ؟ (يعاود خطواته القصيـرة كالأطفال) خطـوة . خطـوة . تـاته . تاته . خطوة . خطوة (يصيح فى شخص وهمى آخر) أنت أيهـا البـدين ، أجل إليك أتحـدث ، أنت ياصـاحب البطن المنبعـجة، ألم تكن فى أخـر الصف ؟ كـيف أجـدك الآن فى أوله ؟ (نجاة يغير لهجته) امش من أمامى اغرب

عن وجهى ياحقير خطوة. خطوة. تاته. تاته. خطوة. خطوة . تاته . تاته . (يردد هذه الكلمات حتى يخرج) .

اغسيلاوس : وهذا الرجل أيضا يذكرني بنفسي . باللعنة . كاد عقلي يطير من فرط الوقوف في الصفوف والطوابير . طوابير على محطات الأوتوبيس. طوابير في الوزارات. طوابير في مكاتب الحكومة . تكاثر عددنا نحن البشر في هذه الدنيا (يدخل للجنون الخامس من اليمين وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة مهذبة . يتقدم قليلا ثم يقف وينحنى كما لو كان يواجه شخصا وهميا ويعرفه بنفسه) .

المجنون ٥ : - أمانويل زكريا جورجياديس . (ينحنى) أمانويل زكريا جور جياديس . . (ينحنى ويستدير إلى جهة اخرى) أمانويل زكريا جورجياديس . . (ينحنى ويتقدم يضع خطوات ثم ينحنى مرة اخرى) أمانويل زكريا جورجياديس . .

اغسيلاوس : (إلى الطبيب) ماذا يقول هذا الرجل ، يادكتور ؟

الطبيب : يقول لك أسمه .

اغسيلاوس : وما الداعى ؟

الطبيب : أصيب بلوثته هذه من جراء العديد من المرات التى سئل فيها عن اسمه منذ أيام الحرب فى أقسام البوليس ، وفى مكاتب التأمينات واستخراج البطاقات . . والتموين والإحصاء . . إلى آخره . . إلى آخره . .

المجنون ٥ : (يواصل التقدم والانحناء بعصبية ورجفة) أمانويل زكريا جورجياديس (يصل إلى اغسيلاوس وينحنى امامه) أمانويل زكريا جورجياديس . .

اغسيلاوس : (يتنهد وينحنى له بدوره) وأنا اغسيلاوس ينى فوكاراس . .

المجنـون ٥ : بطاقتك من فضلك .

اغسيلاوس : ليست معى .

المجنـون ٥ : مر باكر. مربعـد باكر . . مر بعد ثلاث أيام . (ينحنى) أمـانويل زكـريا جـورجيــاديس . . أمـانويل زكـريا جورجياديس . (ينحي ويبتسم . ويمضى هكذا منصرفا) .

اغسيلاوس : أوه ، ياله من مسكين . .

(يدخل من اليمين المجنون السادس . . وهو رجل ركبه اليأس والضيق . ويأتى بالحركات التالية على نحو آلى . . يضع يده فى جيب سترته الأيمن ويخرج نقودا وهمية ينقدها لشخص وهمى أمامه . ثم يضع يده فى جيب سترته الأيسر ويفعل المثل . ثم يدس يده فى جيبى سرواله على التوالى وجيب سترته الداخلى وفى كل مرة يتصرف كما لو كان يسدد حسابا لأحد . وكلما أخرج يده من جيبه يقول)

المجنـون ٦ : تفضل ، ياسيدى المحصل . . خذ ياحضرة المحصل (يدفع) تفضل ياسيدى ، المحصل . خذ ياحضرة المحصل ، (يدفع) تفضل ياسيدى المحصل . . خذ ياحضرة المحصل (يدفع) تفضل ياسيدى المحصل . . خذ ياحضرة المحصل (ينطق بهذه العبارة فى كل مرة بلوعة ، وإصرار وصوت منغم ، وبلهجة تعلونبرتها وتتزايد رنة الغيظ والغضب فى ثناياها)

اغسيلاوس : (ينظر إليه متعجبا ، ثم يدير بصره إلى الطبيب متسائلا) وهـذا ما خطبه ؟

الطبيب : مصاب بانفجار ضريبى . . فقد صوابه من كثرة الضرائب التى يدفعها للحكومة ، ضرائب متنوعة ولاحصر لها تطلب منه يوما بعد يوما ويدفعها

صاغراً . ما أن ينتهى من ضربة حتى يدفع ضربة أخرى . وهكذا أصابته هذه اللوثة . .

(يذرع المجنون خشبة المسرح مرددا الكلمات ذاتها ويتزايد صوته لوعة وشدة حتى إذا ما وصل إلى حافة المسرح اليسرى يكون قد بلغ انفعاله مداه فيخلع ربطة عنقه صائحا) « تفضل ياسيدى المحصل ، خذ ربطة عنقى » ثم يخلع سترته ويرميها صائحا خذ ، ياحضرة المحصل خذ سترتى أيضا(ثم يفك جزامه ويشرع فى خلع سرواله) تفضل ياسيدى المحصل . خذ سروالى . . حتى سروالى خذه ياسيدى المحصل ها أنا أخلعه لك . . وسأمشى بين الناس عريانا ياسيدى المحصل

(يهرع إليه الطبيب ويثنيه عن عزمه) .

الطبيب : (إلى المجنون) ايه . . . أيه مهلك . . هيا ، هيا انصرف (يدفع به خارجا. وبعد أن يصرف المجنون يعود إلى اغسيلاوس) والآن كيف تبدو لك كل هذه الأمور ؟

اغسيلاوس : هذا فظيع . . فظيع . . .

الطبيب : هل تريد أن تصير مثل هؤلاء ؟ هل تريد أن تصير واحداً منهم ؟

اغسيلاوس : (وقد تملكه الرعب) كلا ، يادكتور . . أرجوك ، انقذنى . . خلصنى . لا أشعر أننى على ما يرام. يخيل إلى أننى مصاب بهذه الأعراض جميعا . إن فى بذور هذه الأمراض العصبية كلها

(يقلد كلا من المجانين الذين رآهم على التوالى)

الطـبـــيب : حـسنا ، إهدأ ، من فضلك ، يـجب أن نبذل الجـهـد الآن ، حتى تشفى . يجب أن نبدأ العلاج .

أغسـيلاوس : بم تأمر ياسيدى الطبيب ؟ كيف سيكون العلاج ؟

الطـبـــيب : ساعالجك هنا فى مصحتى على طريقتى الخاصة . ستتبع منهجـا خاصاً سـأصفه لك . كل هـؤلاء الذين رأيتهم فقـدوا عقولـهم . أتعرف لماذا ؟ لانهـم كـانوا مرهفى الحس ، متيقظى الضمير ، وعلى قدر كبير من الحياء . ولهذا فقد سحقهم هذا المجـتمع الرأسمالى بوطأته الثقيلة . عليك أذن أن تتعاطى علاجـا أكيدا . ناجع المفعول . . عليك أن توطد نفسك على أن تكون عديم الإحساس . ميت الضمير ، جلفا . . صفقا .

أغسـيلاوس : وكيف يتأتى لى ذلك وسأبدأ ياسيدى ؟

الطـبـــيب : قبل كل شـى . يجب أن تغير طـريقتك فى التـفكير . يجب أن تسـتـبدل عـقلك بعقل أخر . . أكـثر عـصرية وسـأبدأ معك العـلاج حالا . . عليك أن لا تعـارضنى فـيمـا سأمليـه عليك . . والان ، ردد معى : تسـقـط الفـاصوليا .

أغسـيلاوس : (بإصرار) تسقط الفاصوليا .

الطـبـــيب : يسقط الفول النابت .

أغسـيلاوس : يسقط الفول النابت .

الطـبـــيب : يسقط الخجل .
أغســيلاوس : (مرتبكا) إيه ؟
الطـبـــيب : يسقط الخجل
أغســيلاوس : (بخوف وتردد) يسقط . .
الطـبـــيب : ردد ما سأقوله : أقسم بالله العظيم أن أتبع العلاج الذى سيوصف لى بكل دقة . أن آكل وان أشرب ، وألا أعير شيئا من حولى أدنى اهتمام . .
أغســيلاوس : ادنى اهتمام .
الطـبـــيب : أن أضرب الدنيا صرمة .
أغســيلاوس : أضربها .
الطـبـــيب : أقسم بالله أن أكون كذابا ، سارقا نهابًا
أغســيلاوس : (يغالب البكاء) أقسم بالله أن أكون
الطـبـــيب : كذابا .
أغسيلاوس : كذابا ؟
الطـبـــيب : (بلهجة آمرة) كذابا .
أغســيلاوس : (يبتلع لعابه ويوافق بصعوبة) كذابا .
الطـبـــيب : لصا .
أغســيلاوس : (بقلق) لصا ؟
الطـبـــيب : لصا نهابا
أغســيلاوس : (بقلق وجزع) لصـا ، نهـابا ؟ (ينفجر فجأة) لا . لا أستطيع - الأفضل أن أكون مـجنونا . الأفضل أن أكون مجنونا مثل هؤلاء من أن أكون مثل الآخرين .
(عندما يقـول « مثل هؤلاء » يشير الى كل المجانين الذين هرعـوا الى المسرح وانخرط كل منهم فى آداء حركات جنونه بينما يسدل الستار) .

ديمترى بساثاس

السلحفاة الزرقاء

الشخصيات

– السيدة زوزو	من المفتونات بالأدب
– السيدة ليلى	صديقتها
– فيفى	إبنة السيدة زوزو
– الأستاذ	زعيم السيرياليين ، شديد الهوس
– لوليس لوبيس	من أتباعه ، وعلى شاكلته
– فلوراس	زوج زوزو
– الطبيب	
– الخادمة	

(غرفة استقبال عصرية . لوحات سيريالية . يسود تمثيل الجميع طابع هزلى متطرف ، عدا فلوراس الذى يفترض فيه أنه العاقل الوحيد فى بيت المجانين هذا . عندما يفتح الستار نرى زوزو تنسق الزهور فى أحد الآنية وهى غارقة فى النشوة) .

زوزو : ياللجمال . ياللزهور الجميلة .

ليلى : (تدخل من اليمين) أنت هنا ، يازوزو ؟

زوزو : لم تسألين ؟ هل طلبنى الأستاذ ؟

ليلى : كلا ، افتقدتك فى غرفة الطعام .

زوزو : جئت أعد الجو للأستاذ . . باستطاعته أن يقرأ علينا قصيدته الرائعة هنا . ترى ما الذى يحتاج إليه أيضا ؟ ما الذى يحتاج إليه أيضا ؟ ما الذى يحتاج إليه أيضا . آه ، أجل . شكسبير . آخ، ياللكارثه إنها لخسارة كبيرة ألا يكون شكسبير معنا فى هذا البيت .

ليلى : صدقت . كان وجوده أمرا ضروريا . .

زوزو : هل رأيت ؟ هل رأيت عينيه ، ياعزيزتى ليلى ؟

ليلى : عينى من ؟ شكسبير ؟

زوزو : كلا ، عينى الأستاذ ، ياليلى ، عينى الأستاذ .

ليلى : آخ ، أجل . ما أجمل الحول الذى بهما .

زوزو : ذلك الحول من إشعاعات الحكمة المفرطة ، ياعزيزتى ليلى . تنم عيناه عما يجيش فى أعماقه من أحاسيس ولهذا فما بهما من حول لايخلو من العظمة . . أما جبينه فيفصح عن متاهات أفكاره . وعندما يزم فمه فى غموض يعبر عن منتهى السخرية من كوميديا الوضع الإنسانى . .

ليلى : لا ارى زوجك هذا المساء . أين هو ؟

زوزو : آه ، لاتذكرينى به . لاتفسدى على أحلامى . . . . إنه رجل فظيع ، لا يطاق . . .

ليلى : آخ ، كم أرثى لحالك .

زوزو : ياحبيبتى . (تعانقها) .

ليلى : عزيزتى زوزو (يتبادلان القبل) كم أنت تعسة . . كم أحس بمأساتك .

زوزو : أخ ، ياصديقتى الحلوة . كم هى مخيفة مذهلة مأساة المرأة المثقفة التى تتزوج من رجل جلف . . عديم الإحساس . . لا تعنيه الموسيقى . . لايستهويه الفن والفنانين . ولايكترث بشيكسبير وإبسن .

ليلى : هذا ما يجعلنى ادهش كيف سمح لك أن تقيمى هذه الأمسية الأدبية .

زوزو : حمد الله ، سافر أول أمس الى « باتره » سيتغيب هناك خمسة أو ستة أيام . انتهزت الفرصة ودعوت الأستاذ وأعضاء جماعتنا البارزين . .

(يدخل لوبيس وهو يمسح الشعر بجنونه)

لـوبـيـس : مدام زوزو

زوزو : آخ ، السيد لوليس لوبيس . . كيف حال الأستاذ ؟

لـوبـيـس : يأكل ، ياسيدتى ، يأكل . . .

زوزو : آخ ، يأكل ، أسمعت ياليلى ؟ يأكل .

لـيـلـى : آخ ، ياعزيزتى زوزو (تعانقها) .

زوزو : حبيبتى الغالية . (يتبادلان القبل) ويشرب ؟ أهو يشرب ياسيد لوبيس ؟

لـوبـيـس : إنه يشرب ، يشرب ، ياسيدتى .

زوزو : أتسمعين ياليلى ؟ أنه يشرب .

لـيـلـى : عزيزتى زوزو .

زوزو : حبيبتى الغالية (يتبادلان القبل) إنه أمر يفوق التصديق . . رجل موهوب عبقرى . مثله . . يأكل ويشرب فى بيتى (إلى لوبيس) وهل أعجبته المأكولات ؟

لـوبـيـس : بالطبع ، ياسيدتى . كلما قضم قضمة أو تناول جرعة صاح : آه ، آه ، آه . (يزمجر) .

زوزو : كيف ؟ كيف ؟

لـــويـــيـــس : آه ، آه ، آه . (يزمجر من جديد) .

زوزو : (باعجاب) ياإلهى هذا رائع !

لـــيـــلـــى : هذا مدهش !

زوزو : ياسيد لوبيس ، ترى ، هل طلبنى الأستاذ ؟

لـــويـــيـــس : أفصح الأستاذ عن رغبته فى أن يصب عليكما بركته .

زوزو : أن يصب على بركته .

لـــويـــيـــس : أن يصب عليكما بركته .

زوزو : آه ، ياليلى ، أفصح الاستاذ عن رغبته فى أن يصب على بركته . هيا بنا أذن ، ندخل حتى يصب علينا بركته . . (يمضى ثلاثتهم . ومن الباب الرئيسى يدخل فلوراس يحمل حقيبته عائدا من السفر) .

فـــلـــوراس : أوف . عدت الى بيتى . .

الخـــادمـــة : (تدخل وتراه ، فتتملكها الدهشة) الله !

فـــلـــوراس : الله ؟ ماذا تعنين ؟

الخـــادمـــة : لا شئ ، ياسيدى . . لكن . .

فـــلـــوراس : لا شئ ؟ لكن ؟ ما معنى كل هذا ؟ أسمع جلبة فى الداخل . أين سيدتك ؟

الخـــادمـــة : فى الداخل ، ياسيدى . لديها زوار .

فلوراس : من ؟

الخادمة : (بإعجاب) السيد شكسبير .

فلوراس : السيد شكسبير . (يرسم علامة الصليب) أجننت ؟ إغربى عن وجهى .. خذى الحقيبة .

الخادمة : (تحمل الحقيبة) منذ الصباح، وهم يبحثون عنه. (تخرج) .

فلوراس : كلام فارغ . السيد شكسبير مدعو هنا .

(تدخل زوزو وترى زوجها فتصعق)

زوزو : الله !

فلوراس : الله . وأنت أيضا تقولين هذا ؟

زوزو : عدت ، يافلوراس بهذه السرعة ؟

فلوراس : ماذا كنت تنتظرين ؟ أن أسافر إلى غير عودة ؟

زوزو : لكن كيف أعود فالقاك هنا بهذه السرعة ؟

فلوراس : أرى أنك لا تتمالكين نفسك من فرط السعادة بلقائى . ماذا حدث ؟ من بالدار ؟

زوزو : (بحماسة) آه ، يافلوراس .

فلوراس : ماذا تعنين ؟

زوزو : شئ واحد أقوله لك فحسب . الليلة يشرف مائدتنا علم من أعلام اليونان .

فلوراس : لم يكن عندى شك فى ذلك . كل أعلام اليونان يأتون إلى مائدتى ويملأون بطونهم .

زوزو : آخ « يملأون بطونهم » ياله من تعبير سوقى .

فلوراس : خبرينى من هذا المبجل صاحب الأمجاد ؟

زوزو : إنه الأستاذ .

فلوراس : أى أستاذ ؟ ما اسمه ؟

زوزو : ذيسياس سينيفياس .

فلوراس : ما أسخف هذا الاسم .

زوزو : رجل عصرى ، عميق ، سيريالى .

فلوراس : أيتها المخبوله ، تدعين إلى بيتى هذا الصنف من الناس الذين كانوا سببا فى أن فسخت ابنتنا خطبتها . . وطردت خطيبها ؟

زوزو : أساء الحديث عن الفن .

فلوراس : حسنا فعل . خريستو شاب جاد . ليس مثل هؤلاء المجانين والسيرياليين الذين تحضرينهم هنا .

زوزو : مجانين ؟

فلوراس : فارغى الرؤوس .

زوزو : فارغى الرؤوس ؟ ياله من أسلوب ! ياإلهى !

فلوراس : هذا أسلوبى . وافتحى أذنيك جيدا لما سأقول . . إما أن تتناولى التليفون حالا وتعتذرى لخريستو وتوجهى له الدعوة للحضور الينا الليله . .

زوزو : هذا مستحيل . .

فلوراس : وإما . .

زوزو : وإما ؟

فلوراس : وإما سأنهال على الأستاذ ركلا وصفعا ، وألقى به إلى عرض الطريق .

زوزو : فلوراس ، لاأجرؤ على تخيل هذه الإهانه البالغة التى ينطوى عليها كلامك . آخ ، أشعر أنى لست على ما يرام . إنى على وشك الإغماء .

فلوراس : فليغم عليك . . ولتخر قواك تماما . . سيرى الاستاذ النجوم فى الظهيرة . . إنى ذاهب اليه . .

(يهجم على الباب الأيسر)

زوزو : (تهب واقفة) كلا . . إنتظر .

فلوراس : هل أرجأت الأغماء ؟

زوزو : ليس لدى وقت الآن .

فلوراس : يمكنك الإغماء غدا . . خذى التليفون الآن وكلمى خريستو .

زوزو : (تتناول السماعة) آلو ، الدكتور موجود ؟ طاب يومك ، ياسيد خريستو . أنا حرم السيد فلوراس . أجل ، أجل ، أنا شخصيا .

فلوراس : وجهى له الدعوة .

زوزو : (الى فلوراس) لكنه . .

فلوراس : سألقى بالأستاذ الى الشارع .

زورو : حسنا . حسنا (فى السماعة) زوجى يدعوك . .

فلوراس : أنت التى تدعينه .

زوزو : (فى السماعة) وأنا أيضا أدعوك . . تفضل بالمرور علينا فى البيت الليلة ، إن شئت . سيسر زوجى بزيارتك .

فلوراس : وأنت أيضا ستسرين بذلك .

زوزو : (فى السماعة) وأنا ايضا سأسر .

فلوراس : وفيفى أيضا ستسر .

زوزو : (فى السماعة) وفيفى ايضا ستسر (فى السماعة) لن أغفر لك ذلك أبدا . (تدخل فيفى) .

فيفى : ماما أين أنت ؟ (ترى فلوراس) الله !

فلوراس : وأنت أيضا تدهشين ؟ ستقتلنى دهشتكم هذه .

فيفى : أنت هنا ، يابابا ؟ كيف كان ذلك ؟

فلوراس: لم يمزقنى القطار للأسف .

فيفي : لكن لماذا ؟

فلوارس : لماذا لم يمزقنى ؟

فيفي : أقول لماذا تتحدث بهذه اللهجة ؟

زوزو : دعى أباك وشأنه ياابنتى . أنه جن .

فيفي : لكن ، ياماما . .

فلوراس : دعى أمك وشانها ياابنتى . إنها مختلة العقل جدا .

فيفي : لكن لماذا تتشاجران من جديد ؟

زوزو : فيفي ياابنتى، فعل أبوك الليله شيئا لا يتصوره العقل . . شيئا فظا . أجبرنى بالقوة أن أدعو خريستو للحضور هنا الليلة .

فيفي : بابا هل فعلت ذلك ؟

فلوراس : فعلت يا ابنتى ، لأننى أرى أن أمك ستنقل إليك عدوى جنونها . . خريستو شاب ممتاز ويحبك . .

زوزو : فلوراس متى ستضع فى رأسك ذرة من العقل ؟ ألا ترى عدم التكافئ فى هذا الزواج ؟ فيفى فتاة رقيقة مثقفة لها عوالمها الروحية .

فلوراس : ما الذى لها ؟

فيفي : (بحماسة) لى عوالمى الروحية ، يابابا .

فلوراس : ياه ، خسارة . ضاعت البنت .

فــــيـــــفى : لا أريد خريستو .

فــلـــوراس : هلا قلت لى السبب ؟

زوزو : لأنه يافلوراس ينقصه ما يلزم لفيفى .

فــلـــوراس : بل كل شئ عنده .

فــــيـــــفى : كلا ، ليس عنده يابابا .

فــلـــوراس : عنده ، أيتها الحمقاء . . اسمعا مـا أقوله لكما . . إنه طيب القلب مهذب ومن أحسن الأطباء .

فــــيـــــفى : (بتأكيد) ليس لديه أهم شئ . .

فــلـــوراس : بل لديه أهم شئ ايضا . .

زوزو : لكنه لم يره لنا . .

فــلـــوراس : (ينظر اليها ساخطا) ماذا تـقولين ؟ (يرسم علامة الصليب) هذا ما كان ينقصنا . رحماك ربى . . ما الذى تقصـدينه بذلـك ؟

فــــيـــــفى : ليس لديه هموم ، ياأبى . .

فــلـــوراس : ولماذا تكون لديه هموم ؟ إيراده حسن ، وظيفـته طيبة ، وشبابه موفور .

فــــيـــــفى : أعنى هموم روحية .

فــلـــوراس : وما معنى هذا ايضا ؟

زوزو : اصبر قليلا . سوف تتعرف بأولئك الذين يعانون فى سبيل المشكلات الكبيرة السامية فى هذه الحياة .

(يدخل لوليس لوبيس صاخبا كالمعتاد) .

لوبيس : مدام زوزو .

زوزو : لبيك ياسيد لوبيس .

لوبيس : أتيت إليك بخبر عظيم . سيقرأ الأستاذ علينا الليله « السلحفاة الزرقاء » .

زوزو : آخ ، لاتقل هذا .

لوبيس : أقسم بشرفى . . أحضرها معه .

فيفى : بديع ، بديع .

فلوراس : معذرة ياسيدى هل أحضر معه سلحفاة زرقاء ؟

لوبيس : بالطبع ، أعلن ذلك بشكل حاسم .

فلوراس : وأين وجد السلحفاة الزرقاء ؟

زوزو : إنها قصيدة ، يافلوراس .

فيفى : رائعة ، ياپابا .

لوبيس : سيدى ، لهذه السلحفاة الزرقاء قصه طويلة .

(متأثرا للحدث الكبير)

اختفى الأستاذ ستة أشهر ثم . . آه لا أستطيع أن أقول ما حدث . . قولى له أنت يامدام زوزو .

زوزو : طـوال ستـه أشهـر لم يكن أحد يعرف أيـن الأستاذ .
ثم . . آخ لا أستطيع . . تكلمى أنت ، يافيفى .

فــيــفى : انزعج كل الـناس من هذا الاخـتــفـاء و . . آخ . . لا
أستطيع . قل أنت ياسيد لوبيس .

لـوبـيـس : وفجاة ، ها هو يظهر .

فـلـوراس : أين كان ؟

فــيــفى : أين كان ؟

لـوبـيـس : هذا لغز .

زوزو : لغز ، يافلوراس .

فـلـوراس : أى لغز تعنين ؟

لـوبـيـس : لغز الألغاز .

فـلـوراس : أسكت ، ثم ماذا حدث ؟

لـوبـيـس : وعندما ظهر لنا من جديد . جاء إلينا من ملاذه المجهول
الغامض برائعته الجديدة هذه . . « السلحفاة الزرقاء » .

فـلـوراس : ماذا تقول ياأخى ؟ أهو عمل عظيم هذا الذى قام به ؟

زوزو : صمتا . الأستاذ قادم .

(يدخل الاستاذ ذيسياس سينيفياس من اليمين أنه مجنون مبجل ، وقور رزين وقاتم . ينظر الى الناس كأنهم غل ضئيل ، هيئته هيئة رجل يشرف البيت الذى يستضيفه والناس الذين يمن عليهم بحديثه تشريفـا كبيرا . وهو يتنازل على أى

حال ويجيب على المحيطين به الذى يتطلعون اليه كما لو كان الههم . تدخل ليلى فى صحبة الأستاذ) .

الأستـــاذ : كان الطعام لذيذا ، ياسيدتى .

زوزو : أعجبكم ، ياأستاذ ؟

الأستـــاذ : جدا . جدا .

فلـــوراس : (محدثا نفسه) ألم أقل أنه جاء يملأ بطنه ؟

زوزو : تفضل بالجلوس يااستاذ . .

الأستـــاذ : شكرا . (يجلس الى جوار زوزو) .

فلـــوراس : أرجو أن تكون قد تناولت وجبه شهية .

الأستـــاذ : (ناظرا الى فلوراس) من هذا ؟

زوزو : أقدم لك زوجى . . عاد تـوا من السفر . (الى زوجها) فلوراس ، هذا الأستاذ ذيسياس سينيقياس .

الأستـــاذ : (ينهض) إنى سعيد جدا بلقائك .

فلـــوراس : وأنا أيضا سعيد جدا .

لـــويـــس : الأفضـل أن تجلس هنا يااستـاذ . سيناسـبك هذا المقـعد الوثير ويريح بدنك .

الأستـــاذ : أشكرك يالوييس . (يجلس فى صدر المسرح) .

لـــويـــس : أبادلك الشكر ، ياأستاذ .

الأستـــاذ : (الى فلوراس الذى ظل واقفا) يمكنك الجلوس .

فلـــوراس : شكرا ، أنت تغمرنى بفضلك . (يجلس) .

لــويــيــس : أليس لديك مقعد وثير غير هذا أجلس عليه أنا ؟

فلـــوراس : للأسف ، ليس لدينا مقعد آخر .

« يجلس الجميع » (الأستاذ فى صدر المسرح كآلة تحيط به زوزو وفيفى وليلى ولوليس لوييس.. تتعلق أنظارهم جميعها بشفتيه وهم على استعداد أن يلبوا كل طلباته وعلى مبعدة جلس فلوراس يرقب مندهشا ذلك للمجنون الذى جلس وسط الحمقى) .

الأســتــاذ : أخفتوا الأضواء .

فلـــوراس : لماذا ؟

لــويــيــس : هذه الإضاءة لاتناسب الأستاذ ، ياسيدى . الضوء يقف فى وجه التفسير ، ويناوئ قصيدته العصماء .

فلـــوراس : آه ، فهمت .

فــيــفى : (تستدير وتقاطعه) أيناسبك الضوء هكذا ، ياأستاذ ؟

الأســتــاذ : (بجفاء) كلا .

لــيــلــى : ياإلهى ماذا سنفعل إذن .

لــويــيــس : أليس لديكم مصباح أزرق أسود ؟

زوزو : للاسف ليس لدينا . ياللخسارة .

فلـــوراس : للأسف الشديد ، ياسيدى المهزار السمج .

لــويــيــس : هس .

فلوراس : معذرة .

الجميع : هس .

فلوراس : (منفردا بنفسه) لعنه الله عليكم .

الأستاذ : (يسعل ثم يتخذ هيئة غامضة ، ويخرج من جيبه مخطوطا) أيها الأصدقاء والمعجبون بالرغم من هذا الضوء الذى لا أوافق عليه إطلاقا سأقرأ عليكم مقطعا من « سلحفاتى الزرقاء » وأميط لكم اللثام بذلك عن السر وراء احتجابى عن أوساطكم الادبية ، سته أشهر كاملة .

فلوراس : (يخرج سيجارة) أمضيت سته أشهر كاملة فى كتابتها ؟

الأستاذ : سيجارتك ، ياسيدى .

فلوراس : ماذا ؟

الأستاذ : اطفأها .

فلوراس : لماذا ؟

زوزو : فلوراس ، من المستحيل أن يلقى الأستاذ قصيدته ، وثمة من يدخنون حوله .

فلوراس : لكن ....

لويس : (بصرامة) ألق بها ، ياسيدى . إلق بها .

فلوراس : معذرة (يحدث نفسه) يبدو أننى سأطبق على عنق هذا الرجل .

الأســتــاذ : (مواصلا) مقطوعتى الغنائية هذه استلهمتها لحظة اختفاء فتاتى ستة أشهر مصحوبة بكل معاناة الوجود (يخرج سيجارة) .

لــويــيــس : تفضل (يشعلها له) .

الأســتــاذ : شكرا ، يالوبيس .

لــويــيــس : ابادلك الشكر ، ياأستاذ .

فــلــوراس : (يرى سينيفياس ينفث الدخان فيصيح مستاء) ها هو يدخن .

فــيــفى : (بصوت خفيض) إنه الأستاذ ، يابابا .

فــلــوراس : وأنا من أكون ، على اللعنه ؟

لــويــيــس : هس .

فــلــوراس : أيها الملاعين ، من رب هذا البيت ؟

الجــمــيع : هس .

(يبلع فلوراس لعابه بغيظ ويرمقهم بنظرات شذراء بينما ينهض الاستاذ ويشرع وسط تنهدات المعجبين فى القاء رائعته فى حماسة واعتزاز ، بلهجة خطابية رزينة عميقة مصحوبة بالإيماءات) .

الأســتــاذ : « هبت الأرواح ، واندفعت فى صخب وعجيج الى الغابة العذراء ، ودوت السماء الرحيبة بالاصداء . . صحا الاله « بان » فرأى جديانا تتناطح صاح فيها: ايتها الأرواح الأزلية يـاأرواح الأرض الضائعة ، يافكرة القدر، أيتها الفكرة الرائعة . . على قرنى يتدلى جذلاً كل ما كان وكل ما هو كائن وكل ما سيكون » .

(تثير أبيات ذيسياس سبنبياس الحيرة فى قلوب مستمعيه ، فيعتريهم الوجوم ويبقون فاغرى الأفواه أزاء المعانى التى تنطوى عليها القصيدة . وما أن ينتهى الأستاذ من إلقائه حتي تترى تعليقات الإعجاب من الجمع المبهور بما سمع ما عدا فلوراس الذى يتابع الأمور مندهشا) .

زوزو : آه . عظيم .

فلوراس : إيه ؟

ليلى : مدهش .

فلوراس : ماذا تقولين ؟

فيفى : شئ يسبى العقول ، يابابا ، يسبى العقول .

فلوراس : إنه شئ يسبى العقول حقا ، فالجنون ركب عقولكم .

لويس : (ينهض) يالها من شحنه رمزية ضخمة ، وراء هذا السطور ، وعلى الأخص السطر الأخير (يشرع فى الإلقاء) « على قرنى يتدلى جذلا كل ما هو كائن وكل ما كان وكل ما سيكون » .

زوزو : ياله من عمق .

ليلى : يالها من رفعة .

فيفى : يالها من رحابة

فلوراس : رفعة ، عمق ، رحابة ؟

زوزو : إنها فى الحق لمعجزة (تشرع فى الالقاء) على قرنى يتدلى جذلا ما كان وما هو كائن وما سيكون .

لـويـيـس : ياله من نظر بعيد !

فـيـفى : ياله من تغلغل إلى أعماق النفس البشرية !

لـيـلـى : يالها من قدرة على الإحساس والتعبير . (تشرع فى الإلقاء) على قرنى يتدلى جذلا ما كان وما هو كائن .. آخ .. وما سيكون .

فـلـوراس : ياله من اعجاب مفرط بالقرون .. معذرة ياأستاذ .. إنى أحترم قرنيك جدا .. لكن .. اسمح لى بأن أقول .. إنى ..

الأسـتـاذ : إنك لم تفهم ؟

فـلـوراس : أجل ، كيف فهمت أنى لم أفهم ؟

لـويـيـس : ياللمسكين .. ياللتعس .. ياللرجل الشقى .

لـيـلـى : ياله من فقير .

زوزو : أنه غير مدرب ، ياأستاذ .. لايعرف .. سامحه .

الأسـتـاذ : (الى فلوراس) من أجل ما لايفهم من «سلحفاتى الزرقاء» كتبت لها مقدمة مثل كل الشعراء الكبار . وهذا المقدمة ستعمل آثارها الفعالة فى الجهلاء غير المدربين شاءوا أم أبوا .. ستقع على رؤوسهم وقع الصاعقة .. وستدق أعناقهم .

فلوراس : ستدق أعناقهم . ياللكارثة .

الأستاذ : اسمع . سأشرح لك المعنى الدفين فى أعماق قصيدتى التى القيتها .

فلوراس : الحمد لله . ها أنا فى النهاية سأفهم ما يقال .

الأستاذ : (يشرع فى الشرح بحماسه واستعلاء) فى مهب الريح ، غارقا فى الأحلام ، تاركا نفسى تهيم فى سماوات رحيبة غريبة ، سحيقة . . تبلورت الأفكار . . تجمعت الكلمات مثل السحب المدلهمة . . وتساقطت الأمطار على القفار . فاغرورقت عيناى بالدموع . . وكتبت . .

فلوراس : آه ، كأنك تتلكم الفارسية ، هلا تفضلت وأخبرتنى أهذا شرح لقصيدتك ؟

الأستاذ : أجل . هل فهمت ؟

فلوراس : إمض من فضلك فى الشرح ، فربما فتح الله على بشئ أفهمه .

الأستاذ : وجرفتنى سوره الفكر والعاطفة الى حيث تتراقص الأرواح المعذبة . واصطخبت الغرائز الجياشة فى أعماقى اصطخاب الموج الحبيس فى البئر السحيق . . والتحمت ذاتى الممزقة بروح الوجود الطليق . . الغريق .

فلـــوراس : آه ، كيف قلت ذلك ؟
الأســتــــاذ : بدأت تفهم ، بالطبع .
فلـــوراس : إمض فى الشرح ، من فضلك .
الأســتــــاذ : إزاء عذابات حياتى تدور دوامـة ذاتى . وترتطم بحجارة الأعماق . وتقفز متـخبطة مفتونة بصور عنائى . أواه ، يامن لك رأس جدى وحوافره ستعزف لك انأملى على قيثارتى همسات روحى .. وفى السماوات الملبدة الرجراجة سيشق منخارى طريقه .. سأفتح منخارى مثل بئر .. وأملأ خياشيمى .. وأملأ خياشيمى .
فلـــوراس : لابد أن هذا الرجل مخبول . لاحول ولا قوة إلا بالله . معذرة ياأستاذ .
(تدخل الخادمة) .
الخـــادمـــة : السيد خريستو تسيمباس حضر .
الأســتــــاذ : (بخوف) من ؟
فلـــوراس : ليتفضل .
الأســتــــاذ : (وقد تملكه الذعر) كلا ، ليبق محله لا تدخلوه..
فلـــوراس : لماذا لاتريده أن يدخل ؟
زوزو : قال الأستاذ لايدخل .. يعنى لا يدخل .
فلـــوراس : فليقل الأستاذ ما يحلو له . القرون والخياشيم قبلتها .. لكننى لا أستطيع ألا أستقبل خطيب ابنتى ..
(يدخل خريستو) .

خريستو : أسعدتم مساء .

فلوراس : مرحبا بالدكتور .

الأستاذ : (وقد فقد صوابه) لا .. لا أريد حمامات باردة .. لا أريد صدمات كهربية . إنى خارج .

(ينفلت خارجا) .

لويس : وأنا خارج (ينفلت خارجا) .

ليلى : وأنا أيضا خارجه (تخرج) .

فلوراس : مع السلامة .

زوزو : (مضطربة) وانا يغمى على (تخر مغشيا عليها) .

فيفى : وانا ايضا يغمى على (تخر مغشيا عليها) .

خريستو : ما الذى جرى ؟ ما هذا ؟

فلوراس : قل لى يادكتور ، هل تعرف الأستاذ ؟

خريستو : بالطبع . أشرفت على علاجه ستة أشهر فى مستشفى الأمراض العقلية .

زوزو وفيفى : (ما أن تسمعا هذا القول حتى تقوما متنفضتين) فى مستشفى الأمراض العقلية ؟

خريستو : أجل . لكن لم السؤال عنه ؟

فلوراس : (وقد فقد صوابه) أدخل هاتين المرأتين أيضا مستشفى الأمراض العقلية ، يادكتور ، أدخلهما المستشفى . أنهما مخبولتان ، مهووستان . وجودهما خارجها من قبيل الخطأ .. الخطأ فحسب .

ستار

ديمترى بساثاس

نقطة حبر

الشخصيات

كسـينوفـون فى الخامسة والأربعين (استاذ جامعى)
مــــــاريــا فى الثامنة والعشرين (زوجة)
خـارمـيـذيس فى الثلاثين (صديق لهما)
هيلـيـنيـتـسـا فى الثانية والعشرين
بيـبـيـتـسـا فى الخامسة والعشرين (صديقة لها)
خـريستـاكى فى الثلاثين (صديق هيلينيتسا)

الزمن الحاضر ، فى أثينا .

(المشهد فى الشارع ، خارج الستار ، تمر هيلينيتسا مسرعة . وهى فتاة عاملة ، تفيض حيوية ، ثرثارة ، أنيقة ، من اولئك اللاتى ينفقن المرتب كله على الملبس . ترتدى فستانا ناصع البياض جديدا مبتكرا ، مما يجعلها بطبيعة الحال تختال فخورة سعيدة به . عندما تدخل الى خشبة المسرح ، تمضى قدما مسرعة ، فتلتقى بصديقة لها ، هى بيبيتسا التى تدخل من الجانب المقابل . تقف بيبيتسا وتتبادل التحية مع هيلينيتسا بحرارة) .

بيبيتسا : مرحبا ، يا هيلينيتسا .

هيلينيتسا : صباح الخير ، يا بيبيتسا .

بيبيتسا : إلى أين تسرعين ؟

هيلينيتسا : عندى موعد مع خريستاكى . اعذرينى ، يا بيبيتسا ، إلى اللقاء .

(تشد على يدها مصافحة وتنصرف) .

بيبيتسا : جملك الله بعقلك ! (تنصرف)

هيلينيتسا : (عائدة) بيبيتسا ، بيبيتسا !

بيبيتسا : (عائدة) ما الذى جرى لك ؟

هيلينيتسا : إلاترين ، يا بيبيتسا ؟ أليس عندك نظر ؟ (تريها فستانها ، مزهوة به) .

بيبيتسا : لماذا ؟

هيلينيتسا : ولا حتى تقولين « مبروك ، فستانك الجديد » ؟

بيبيتسا : ماذا بإمكانى أن أقول ، وأنت تمرين مثل إعصار عاصف ، يابنيتى ! وهل تدعين لى فرصة كى أحدثك؟

(تتأمل فستانها) .

هيلينيتسا : (معجبة بنفسها) إيه ، كيف يبدو لك ؟

بيبيتسا : جميل جدا . .

هيلينيتسا : ماذا تقولين ؟ جميل جدا ! ألم تجدى من كلمات الإطراء سوى هاتين الكلمتين الفاترتين ، بينما أنا أريك تحفة عظيمة ، يابنيتى ؟ ألم تجدى غير « جميل جدا » ؟ أهذا فستان ؟ إنه رائعة من الروائع ، قصيدة من الشعر ، زبد ، زنبقة ناصعة البياض ، عذراء لم يمسسها سوء . أتعرفين كم كلفنى ؟

بيبيتسا : كم ؟

هيلينيتسا : ألفين !

بيبيتسا : ألفين ؟

هيلينيتسا : الله ؟! وهل كنت تعتقدين انه كلفنى اقل من ذلك ؟

بيبيتسا : اسكتى ، غير معقول !

هيلينيتسا : تقولين « اسكتى » لماذا ؟ ألا يبدو عليه ذلك ؟ الفنان . الفنان اثنان ، أجل ! لكن انظرى ، كلا ، انظرى جيدا . الاتستحقهما مصممته ؟ أنت غيور بعض الشئ ولكن لايهم . انظرى اى تصميم ، انظرى البراعة فى استخدام المقص. انظرى الخياطة المحكمة . إنه على قدى تمام . أنظرى ؟ (تدور حول نفسها) انظرى ، انظرى، انظرى كيف يلتف بقوامى . انظرى . إنى سعيدة اليوم، ياعزيزتى بيبيتسا. سعيدة إلى حد يفوق التصور !

بيبيتسا : احترسى ، ألا تصيبينه بالبقع ، يامجنونة !

هيلينيتسا : تفى من بقك ! أتعرفين كم أحرص عليه ؟ الترام لا اركبه . على كرسى لا أجلس . لا ذرة تراب ، ولاذبابة ، ولابعوضة ، أتركها تقترب منى (تأتى حركة كما لو كانت تطرد ذبابة) هل طرت يوما ؟

بيبيتسا : لم يحدث لى ذلك . .

هيلينيتسا : ولا أنا ، ولكننى بهذا الفستان أطير ياعزيزتى بيبيتسا ، أنا لا أمشى ، ولا تلمس قدماى الأرض . أنا أطير . إلى اللقاء (تهم بالانصراف . ثم تعود فجأة) كلا ، تفى فى وجهى .

بيـبـيتـسـا : لماذا ؟
هيلينيتسا : إنك حسود . .
بيـبـيتـسـا : أنا ، يا هيلينيتسا ؟
هيلينيتسا : ليس هذا وقتـه . ليس هذا وقتـه . تفى فى وجهى . عينك شريرة . فى المرة السـابقة أيضا ، كنت أنت من رأيت فى الشارع . هل تذكـرين تلك المرة التى عضنى فيها الكلب ، ومـزق جوربى . تفى فى وجهى ، من فضلك . . .
بيـبـيتـسـا : (تبصق فى وجهها) حسنا . إنى أتف فى وجهـك ، حتى لا أحسدك !
هيلينيتسا : شكرا . إلى اللقاء . (تشد على يدها من جديد وتنصرف)
بيـبـيتـسـا : يالك من مجنونة ! (تنصرف)
هيلينيتسا : (تعود فجأة) بيبيتسا ، بيبيتسا ، بيبيتسا !
بيـبـيتـسـا : (تعود) ماذا تريدين من جديد ؟
هيلينيتسا : هل تعرفين من حائكة الثياب التى حاكته لى ؟
بيـبـيتـسـا : من ؟
هيلينيتسا : ليونور !
بيـبـيتـسـا : غير معقول ! قولى كلاما غير هذا !
هيلينيتسا : تقولين (غير معقول) لماذا ؟ ألا يبدو عليه ؟ ألا يبدو أنه من تصـميم ليـونور . . . إنه يصرخ معلنا اسمـها !

يصرخ ليونور ! إنى أسير وفى كل خطوة أخطوها أسمع صوتا يقول : ليونور ، ليونور ! ليونور ! إننى لم أرتد تحفة مثل هذه من قبل . سوف يرانى خريستاكي ويجن ، ياعزيزتى بيبيتسا .

بيبيتسا : هيا ، وإلا ضاع منك ميعادك .

هيلينيتسا : أجل . إنى ذاهبة . آه . لو ترين كيف يفعل عندما يرانى فى فستان جديد . عندما تعارفنا ، كنت ألبس الفستان المخطط . لم أترك فيه انطباعا . بعد ذلك ارتديت الوردى ، استلطفنى . حكت الأسود ، وقع فى غرامى . ثم حكت ذلك الرمادى جن بى ، وقلب الدنيا رأسا على عقب كى يخطبنى . والآن ، وقد جلبت قصيدة القصائد هذه ، فلا شك أنه سيطلب منى أن نتزوج حالا .

بيبيتسا : هيا ، رافقتك السلامة . .

هيلينيتسا : تفى على مرة أخرى !

بيبيتسا : [1]رقيتك بتفتى من عين الحساد .

هيلينيتسا : شكرا جزيلا ، إلى اللقاء (تنصرف ، محدثة نفسها) لسنا فى مقام الهزل ! إن عينها لا تخيب هذه الشريرة !

(تنصرف بيبيتسا وهيلينيتسا واحدة من اليمين والأخرى من اليسار . يفتح الستار ، ويبدو مكتب العلامة الأستاذ الجامعى كسينولون . مكتبات ، أريكة ،

مقاعد ، وغير ذلك . بالجانب الأيمن ، باب للخروج . وبالجانب الأيسر باب آخر . في المواجهة تبين نافذة مفتوحة تطل على الشارع . يجلس الأستاذ العلامة إلى مكتبه ، وهو رجل في منتصف العمر ، مهذب ، لبق الكلام ، حكيم ، شاخ قبل الأوان . تقف أمامه ماريا ، وهي امرأة شابة رشيقة ، على أهبة الخروج . بينما يفتح الستار يواصلان حديثهما .)

كسينوفون : اذهبى ، ياماريا .

ماريا : إنى ذاهبة ، ياعزيزى . ذاهبة (تراودها بعض الشكوك) ولكننى لا أستطيع أن أفهم لماذا تهتم بإرسالى مرتين فى الأسبوع إلى ماما .
لماذا تتعمد البقاء وحدك فى البيت ؟ لو كنت أصغر سنا بقليل لارتبت فى سلوكك . .

كسينوفون : (يضحك بطيبة ، ولكن يبدو أن المديح قد أطربه أيضا)

ماريا : (التى تعامله معاملة إلى معاملة الأطفال أقرب) لماذا تضحك ؟

كسينوفون : (يكاد يكون مسرورا لأن زوجته ترتاب فيه) ماريا . . تخشين أن أخونك ؟

ماريا : (دون أن تصدق ذلك ، بطبيعة الحال) من أين لى أن أدرى ؟ تبدو لى محاطا بالشكوك . . .

كسينوفون : (يضحك ضحكة هادئة تصدر عن رجل تروق له مثل هذه المناقشة) ماريا ، يابنيتى . أن ارتيابك هذا يملأنى زهوا بنفسى ،

ولكن الواقع للأسف يكذبه . تعرفين جيدا أنني يجب أن أنجز هذه الدراسة عن يوروبيديس . عندما تغيبين أكتب مائة صفحة فى اليوم . وعندما تكونين بالبيت لا أكتب شيئا (برقة) تدخلين ، تخرجين ، تغنين ، ترثرين ، تتحدثين إلى القطة ، تتشاجرين مع الكلب ، وفى كلمتين فإنك تخلقين من الضجيج ما تتعطل إزاءه أفكارى كلها .

ماريا : تقصد أننى مزعجة .

كسينوفون : لا أقول ذلك .

ماريا : وإنما ؟

كسينوفون : تعوقين عملى . هذا كل ما فى الأمر .

ماريا : (تسخف من عمله بلهجة ودود) ماذا تقول ! ياله من عمل ! تشقى خمس سنوات بأكملها ، ليل نهار ، من أجل خصوصيات يوروبيديس العائلية ! وتحاول أن تثبت أن زوجته لم تكن تخونه . ما شأنك أنت إن كانت تخونه أو لا تخونه ! ما شأنك لو كان لها عشيق اسمه .. ماذا كان اسمه ؟

كسينوفون : كيفيسيفون !

ماريا : من ؟

كسينوفون : (مكررا بطريقة تربوية) كيفيسيفون !

ماريا : (بلا اكتراث) ما علينا !

كسينوفون : لا تقولى « ماعلينا » تفعلين ذلك على الدوام ، فلا تتعلمين شيئا . كررى النطق ، حتى تتعلمى على الأقل اسمه . الصحيح (تنهض)

ماريا : لست بحاجة إلى ذلك . يكفى أن تعرفه أنت . عالم كبير مثلك يدرس ويشقى . يكتب ويتصبب عرقا كى يكتشف ما إذا كان لزوجة يوروبيديس عشيق أو لم يكن لها . وتعتبر هذا عملا جادا . إنه مجرد ثرثرة فضولية ، عادية تماما .

كسينوفون : (مندهشا) ثرثرة فضولية ؟

ماريا : أم ماذا يكون ذلك ! مجرد نبش عن فضائح قديمة !

كسينوفون : جهودى التاريخية ؟

ماريا : يالها من جهود !

كسينوفون : (بتأنيب رفيق) ماريا ، لا أسمح لك أن تسيئ إلى بحوثى التاريخية ، وعلى الأخص أن تتدخلى فى مسائل لا تفهمينها . ثرثرة فضولية هيه ، خمس سنوات من الدراسة ، وأندر التحريات العلمية عن حياة يوروبيديس تسمينها ثرثرة فضولية ! نبشا عن فضائح ! باحث فى بطون التاريخ ، ترقى به أبحاثه إلى قمة المجد الأدبى ، ليس بالنسبة لماريا سوى ثرثار تافه .

(يسندير ويأخذ كمية من أوراقه) أتعرفين ، ياحبيبتى ، ما الهدف من دراستى هذه ؟ لو كان قد حظى التاريخ وأدبنا القديم ببعض من اهتمامك لعرفت أن يوروبيديس قد تعرض لتجريح بعض من ألسنة السوء فى عصره ، ووجهت إليه اتهامات ظالمة .

قالوا عنه كاره نساء ، وقالوا عن أمه بائعة خضر .

قالوا عن زوجته امرأة خبيثة . قالوا عن كيفيسيفون أنه عشيقها !

ماريا : (بغير اكتراث) وما شأنك أنت ؟

كسينوفون : (دهشا) ماشأنى ! !

ماريا : أكان قريبا لك يوروبيديس ؟

كسينوفون : (بيأس) لست فى كامل قواك العقلية ، يابنيتى ! إن النحو الذى تواجهين به علم التاريخ يضحى مثيرا للرثاء ! ولكن هل تتبينين ذلك ؟ ليس الأمر أمر الافتراءات التى ادعاها أرستوفانيس على يوروبيديس فحسب ، فقد وجدت هذه الافتراءات حتى فى يومنا هذا من يرددها ، ولازال بعض الثقاة من رجال التاريخ يؤكدون أن زوجة يوروبيديس كانت تخونه . . . .

ماريا : (بعناء) حسنا فعلت به !

كسينوفون : (غاضبا) لكنها لم تكن تخونه !

ماريا : (باللهجة ذاتها) كانت تخونه . دعك من الإصرار . .

كسينوفون : كلا ، ياماريا . .

ماريا : إسمع ما أقوله لك .

كسينوفون : لكن ما الذى بامكانك أن تعرفيه أنت فى أمور تاريخية مثل هذه !

ماريا : إنى امرأة ، وأفهمها حق الفهم . لوكان السيد يوروبيديس يغلق على نفسه الباب ، ويكتب تراجيدياته، وكان دائب التذمر ، ما الذى كنت تريد من زوجته أن تفعل ؟ من وراء ظهره تلعب به ، وترفه عن نفسها . تنسى همومها قليلا . . .

كسينوفون : (بيأس) كلا ، ياعزيزتى ماريا ! (بطريقة تربوية) كان كيفيسيفون . . .

ماريا : كان كيفيسيفون يقضى وقتا طيبا ! اسمع كلامى ! صدقنى !

كسينوفون : كان كيفيسيفون يقضى وقتا طيبا ؟ ! سأطرح جانبا ياماريا ، تعبيراتك التى تخلو من كل رصانة علمية ، وأجزم لك أنك تخطئين خطأ فاحشا ! وإنى لذلك أرثى لك . كانت زوجة يوروبيديس ، كما أثبته فى بحثى ، أشرف امرأة فى الوجود . وكان كيفيسيفون بريئا مما نسب إليه ! أعود فأؤكد لك ، أننى بكتابى

هذا ألقى ضوءا غزيرا على أسرار الحياة الزوجية لكاتبنا التراجيدى الكبير . اجلسى ، ياماريا ، كلا ، إجلسى ، لا تنصرفى . إجلسى كى أقرأ لك بعض الصفحات (يضع نظارته على عينيه ، ويتأهب ليقرأ لها مسوداته) .

ماريا : ماذا ستفعل ؟ ستقرأ ؟

كسينوفون : خمسين صفحة فحسب !

ماريا : فقدت عقلك ، ياكسينوفون ! إنى خارجة . إلى اللقاء (تمضى إلى الباب) .

كسينوفون : (ينهض) تنصرفين ؟

ماريا : لا رغبة لى فى أن أصدع رأسى . .

كسينوفون : كما تشائين . من حسن الحظ ، أن خارميذيس سيأتى اليوم بعد الظهر .

ماريا : (تقفل راجعة باهتمام) سيأتى ؟

كسينوفون : أجل ، رأيته هذا الصباح ، وقال لى إنه سيمر بعد الظهر . سوف أقرأ عليه هذه الصفحات ، فهو يستمع إلى راضيا .

ماريا : (ما إن سمعت عن خارميذيس ، تبدى اهتماما أكبر ، وتتجه إلى مكتب زوجها ، متحدثة برقة غير مباشرة عن هذا الشخص) ياللمسكين !

كسينوفون : لماذا . . . لماذا هو مسكين !

مـــاريـا : (ساخرة) موضوع جميل ذلك الذى أخترت أن تقرأه عليه . أول أمس ، انفطر قلبى اشفاقا عليه ، وقد مضيت تصدع دماغه ثلاث ساعات طوال . تناول خمسة أقراص من الأسبيرين كى يفيق ، وكان على وشك أن يصاب بنوبة قلبية ، هذا المسكين !

كسينوفون : هيا الآن ، انصرفى .

مـــاريـا : سلاما ، واحرص على ألا تترك النور مضاء من جديد، عندما تهجع فى الليل إلى فراشك . وضعت لك خفيك تحت السرير .

كسينوفون : وضعهما فى أغوار الأغوار ، تحت السرير ؟

مـــاريـا : لا أعرف . حينما أضعها دوما .

كسينوفون : ماريا ، عزيزتى . موضوع الخفين هو أحد الأسباب التى تجعلنى أدرى ، ما متعتك فى أن تدسيها فى أغوار، أغوار ، الأغوار تحت السرير . اضطر إلى أن انحنى مثل ذوات الأربع ، وأمد ذراعى بمعاناة ، بحثا عنهما . . . لو رآنى أحد أعضاء الأكاديمية من زملائى، وأنا فى هذا الوضع المورث للجنون وغير اللائق ، فانهم لن يسمحوا بدخولى الأكاديمية ابدا .

مـــاريـا : إلى اللقاء . (تبعث إليه بقبلة وهى تنصرف) . يجلس كسينوفون إلى مكتبه ، متأهبا للكتابة ، لكنه يرى أن

محـبرته خلت من الحبـر . ينهض . يفتح الدولاب ، ويتناول منه زجاجـة كبيرة . ثم يأخذ مـحبرته ، وكى يحسن الرؤية، يمضى إلى جوار النافذة ليملأها حبرا . وأثنـاء قيامه بهـــذه الحركـــات يحـادث نفسـه قـــائـــلا « كيفيسيفون ! كيفـيسيفون أعز أصدقاء يوروبيديس ، لزوجتـه عشـيق ! خل عنك ، ياصديقى العـزيز . لو اقتضانى اثبات برائتك أن استـخدم عشر زجاجات من الحبـر ، فلن اتردد فى ذلك . » وبينمـا يداه ممدودتان خارج النافذة تعبان بحرص الحـبر من الزجاجة الكبيرة فى محـبرته ، تنزلق الزجـاجة من يده وتهـوى ساقطة إلى الشـارع . وبســقـوط الزجـاجة يتـعـالى صـوت هيلينيـتـسا مـولولا . ويبدو أنهـا كـانت تمر فى تلك اللحظة تحت النافذة ، فاغرقها الحبر المنسكب .

صوت هيلينيتسا: آه ! يوه ، يوه ، فستانى ، فستانى !

كـســينوفــون : (يتسمر فى مكانـه مصعوقا بسبب فعلتـه . يطل تحت فى الشارع ، من حيث تفـد ولولات هيلـينيـتــسا . وقــد تبلـد ذهنه) أوه ، أوه ، أوه، يااللمصيبة التى حاقت بى !

الـصــــــوت : فستانى ، فستانى !

كـســينوفــون : (ببلادة ذهن كـبيرة ، ينحنى مطلا من النافـذة ، ويوجه خطابه إلى هيلينيتـسا التى لا يراها بطبيعة الحال) سيدتى . . انزلقت منى .

الصـــــوت : ياه ، ياه ، أيها الشرير ، المجرم ، القاتل ! وامصيبتاه ! واحسرتاه ! ياه ، ياه ، يالهول الذى حدث لفستانى!

كـسـينوفـون : سيدتى ، معذرة ، ولكن . . .

الصـــــوت : ياطريد الليمـان ، يامن لاضمير لك ، يايهـوذا ، أيها القرد ، أيها السفـاح ، ياقاطع الطريق ، يادب ، أيها النـائـم على نفـسك ، أيهـــا الغـبى ، يامـن أتلفت فستانى ! ماذا أفعل الآن ؟ ياه ، ياه ، كل هــذه البقع من الحبر ! . . .

كـسـينوفـون : (بلهجة امرة) سيدتى ، أرجوك .

الصـــــوت : بقعة هنا ، وهنا بقعة أخرى . ماذا أفعل الآن ؟

كـسـينوفـون : تفضلى عندى ، أرجوك . تفضلى .

الصـــــوت: وهنا ، وهنا ، وهنا ، جعل فستانى مثل وجهه !

كـسـينوفـون : (ماضـيـا فى الإطلال من النافـذة) تفـضلى ، كى أرى مـاذا بإمكـانى أن أفـعل مـن أجلـك . إنى آسف شــديد الأسف ، ياسـيدتى . أرجـوك ، تعـالى ، ادخلى . الباب من هناك . (يذهب ليفتح الباب مضطربا ، ويتحدث وهو يهرول إليه) تفضلى ، كى أرى كـيف يمكننى أن أصحح ما وقع من خطأ فاحش .

(يفتح كسـينوفون الباب ، وبعد هنيـهة تدخل هيلينيتسا فى حالة يرثى لها . عندما وقعت الزجاجة على رأسها لطخها الحبر ، وامتلأ فستانها ببقع سوداء

تناثرت عليه كله . تدخل محدقة إليه بيأس وحقد ، بينما يعاين كسينوفون جزعا ما أوقعه من دمار)

هيلينيتسا : أيها الشرير !

كسينوفون : أطلب منك المعذرة !

هيلينيتسا : ألازال لديك من الجسارة والوقاحة ما يسول لك أن تطلب منى المعذرة ، هيه ؟ أين كانت عيناك ، أين ؟

كسينوفون : ما كنت أقصد ذلك ، ياسيدتى .

هيلينيتسا : (ناظرة إلى البقع) يوه ، يوه ، يوه .

كسينوفون : اجلسى ، ياسيدتى ، اجلسى . . .

هيلينيتسا : آخ ، يابيبيتسا ، لعنة الله على عينك الحسود ! كنت أعرف أن ثمة مصيبة كبيرة ستقع على رأسى . ماذا أفعل الآن ؟

كسينوفون : هذه البقع ، ألا تنظفها المصبغة ؟

هيلينيتسا : أى مصبغة تنظف كل هذه البقع . ياأعمى العينين ! كيف أذهب بهذه الحال السيئة لمقابلة خريستاكى العزيز ؟

كسينوفون : خريستاكى العزيز ؟

هيلينيتسا : كيف يرانى ؟ ماذا أقول له ؟

كسينوفون : سأشرح له أنا ، ياسيدتى . آخذ على عاتقى هذه المسئولية !

هيلينيتسا : كلفنى هذا الفستان ثلاثة آلاف دراخمة . هذه أول مرة البسه . ولم أدفع بعد أجر الخياطة . (تبكى) فستانى ، فستانى الصغير ! أماكان يجدر بك أن تنظر أمامك ، أيها التائه ، النائم ، الهمجى ! أين كان عقلك ؟

كسينوفون : عند كيفيسيفون . .

هيلينيتسا : فليقتلع هذا الكيفيسيفون عينيك !

كسينوفون : سيدتى ، أقدر المأساة التى ألحقتها بك . يكلف الفستان اليوم ثروة هائلة .

هيلينيتسا : ثلاثة آلاف ! وقد صممته ليونور !

كسينوفون : لم يحدث لى الشرف أن أتعرف بالسيدة الجليلة ليونور لأنى لا أعرف إلا سيدات من التاريخ القديم . وأيا كان الأمر ، فسأجتهد أن أجبر الضرر الذى وقع . إن زوجتى رشيقة القوام مثلك ولديها فساتين كثيرة . سأعطيك لتلبسى مؤقتا الفستان الذى يروق لك كى تذهبى لمقابلة عزيزك خريستاكى ، وسأدفع التعويض بالكامل ، لو أجريت لى بعض التخفيض . .

هيلينيتسا : شرير !

كسينوفون : لست شريرا ، ياسيدتى . إنى عالم ساذج . هل تريدين أن أحضر لك الفساتين كى تختارى ؟

هيلينيتسا : أحضر . أرنى . هيا . أحضر . .

كسينوفون : حالا ، ياسيدتى . (يخرج من جهة اليسار)

هيلينيتسا : (تنظر بيأس إلى فستانها) آخ ، ، ياببيتسا ، عينك بالسوء تقدح ! وفى المرة السابقة ، التى سقطت فيها من الترام وانكسر كعب حذائى ، كانت هى أيضا التى رأيتها . هذه الغيور ، عيناها واسعتان ، تكاد تبتلعك بهما ! ضاع على الميعاد أيضا ! (تفتح حقيبة يدها وتنظر إلى مرآتها) وجهى فحسب نجا من الكارثة ! (تنادى بصوت عال) ياسيد كيفيسيفون ! . . .

كسينوفون : (من الداخل) حالا . قادم إليك ، ياسيدتى .

هيلينيتسا : اخطف رجلك ، وتعال !

كسينوفون : لحظة واحدة ، ياسيدتى .

هيلينيتسا : وانتق فستانا عليه القيمة .

كسينوفون : ليس واحدا فحسب . سأحضر لك فساتين كثيرة . .

هيلينيتسا : احضر . أرنى ماعندك ! من يدرى أى امرأة طائشة هى زوجتك ، وأى أزياء قديمة ترتدى . يوه ، يوه ، يوه ، ترى أى دمية فى متحف أثرى ، سيجعل منى هذا المجرم . . .

كسينوفون : (يدخل حاملاً اثوابا كثيرة يناولها واحدا) هل يعجبك هذا ؟

هيلينيتسا : لابد أنك قد فقدت عقلك . أمن قماش التنجيد هذا ألبس ؟ (تلقى به على راسه)

كسينوفون : معذرة ، لا تنفعلى ، ياسيدتى (يريها ثوبا اخر) ما رأيك في هذا الفستان ؟

هيلينيتسا : بهذا أذهب للقاء خريستاكى ؟ سوف يطلقنى ، ياسيد. من المؤكد أنه سيطلقنى ، لو رآنى (تبكى)

كسينوفون : لا تبك ياسميدتى ، اتوسل إليك أنك بذلك تجعلين مركزى أكثر حرجا . (يريها كل ما معه) انظرى هذا، كلفنى ألف دراخمة .

هيلينيتسا : ربما كلفك عشرة آلاف ، ياسيدى ، ولكنه لا يعجبنى! خرق بالية ، أثريات ، مثل زوجتك ومثلك . أليس هناك فساتين أخرى ؟

كسينوفون : زوجتى شابة حسناء ، ياسيدتى ، وقد عُرِفَتْ بأنها من أكثر النساء أناقة . قد تكون لها عيوب أخرى أجهلها ولكن ليس بإمكانك انتقاد ذوقها فى اختيار فساتينها إن كل معارفى التاريخية وجهودى تتحول إلى فساتين وقبعات وأحذية . . .

هيلينيتسا : هات فستانا اخر !

كسينوفون : حسنا ياسيدتى . ولكن انتظرى كى أصعد لحظة إلى الدور العلوى وأحضر لك شيئا من فاخر ثيابها . (ينصرف)

هيلينيتسا : (تظل وحدها على المسرح وتتأمل الفساتين) فساتين قبيحة ، تافهة .. (تنتقى أحدها) هذا لابأس به إلى حد ما . فلأرتديه مؤقتا . (تلقى بالفساتين الأخرى ، وتبقى أمامها على أحد المقاعد الفستان الذى اختارته) لعنة الله على هذه الغرفة ، ما من مرآة هنا ! (تخلع فستانها الملطخ ببقع الحبر كى ترتدى الآخر ، وتظل نصف عارية ، بقميصها الداخلى ، وبينما تهم بارتداء الفستان الآخر تدخل ماريا من الباب الخارجى ، فتراها شبه عارية فى بيتها ، فتصاب بالذهول) .

ماريا : أوووه !

هيلينيتسا : (بلا تفكير) أووه !

ماريا : ياللوغد ! شئ لا يصدقه عقل ، لايتصوره خيال ، لم يخطر على بال ولا على سمع !

هيلينيتسا : هـ ... هذا غير ... صحيح ! .

ماريا : (ثائرة) وتسخرين منى ، ياعديمة الحياء ! (تهجم عليها غاضبة)

هيلينيتسا : (تجرى جزعة ، محاولة فى الوقت ذاته أن تكمل ارتداء الفستان الذى يصعب عليها أن تمرره على جسمها بعد رقبتها) .

ماريا : ياله من منافق مراء . المهرج . ماء من تحت تبن ! وأنت ، ياوقحة تجرئين على الدخول هنا ، وتتعرين من ثيابك فى بيتى ذاته . هيه ؟

هيلينيتسا : (تهرب محتمية بالمقاعد) سيدتى ، دعينى أشرح لك .

مــــــاريــا : (تهجم عليها) ماذا ستشرحين لى ، أيتها الفاجرة ! لا أريد منك شرحا ولا إيضاحا . اخرجى ، حالا ، وإلا خنقتك ، وأزهقت روحك !

هيلينيتسا : سيدتى ، إن الزجاجة (تهم بالانصراف ثم تعود)

مــــــاريــا : اخرجى ! (تطاردها)

هيلينيتسا : سيدتى ، إن الفستان

مــــــاريــا : خذى أيضا فستانى ، الذى نجسته ، واغربى عن وجهى، حتى لا أراك ، ياعديمة الحياء !

هيلينيتسا : فـ . . فستانى سقط على زجاجته ! (فى هذه الأثناء تنجح فى ارتداء الثوب) .

مــــــاريــا : ماذا تقولين ؟

هيلينيتسا : كلا ، . . معذرة . كنت فى طريقى إلى خريستاكى . فدلق زوجك فستانا من الحبر على الزجاجة . كلا ، معذرة. ليس الأمر كذلك .

مــــــاريــا : (تنقض عليها) اخرجى ، ياعديمة الحياء !

(تنصرف هيلينيتسا من الباب الرئيسى ، قائلة)

هيلينيتسا : آخ ، يا بيبيتسا ، أنت السبب . لعنة الله على عينك الحسود !

(تبقى ماريا وحدها على المسرح ، وقد انقلب كيانها النفسى رأسا على عقب تجيل بصرها من حولها محبطة . من الداخل بالجانب الأيسر ، يسمع صوت كسينوفون) .

الصـــــوت : هـا أنا احـضـر إليـك أفـضل مـــا لـدى زوجـتى مـن فساتين . .

مـــــاريـا : آه ياله من وغـد ! كان سيـعطيهـا كل فسـاتينى لو لم أسارع بالمجئ والحق به !

(يدخل كسينوفـون من جهة اليمين ممسكا بفستانـين أو ثلاثة فساتين أخرى . تبتسم أساريره ، ولكنه ما أن يرى زوجته بدلا من هيلينيتسا يتتابه الذهول)

كـسينوفـون : اوه ! إنها ماريا !

مـــــاريـا : اجل ، ياسيد .

كـسينوفـون : لماذا عدت ؟

مـــــاريـا : لماذا ؟ حمداً لله أننى عدت ، ذهبت ماما إلى كيفيسيا .

كـسينوفـون : أين الصبية ؟

مـــــاريـا : الصـبيـة ! لازلت تطلب الصبـية ! مـا هذه الوقاحـة ياأستاذ للتاريخ ! تحـضر فساتينى لتهديهـا إليها كلها ، ياقليل الأدب ! وقد كنت أتسائل عما يحدث لفساتينى التى كانت تختفى من حين لآخر .

كـسينوفـون : ماريا . .

مـــــاريـا : يالص !

كـسينوفـون : لعلك تعتقدين أننى . . .

مـــــاريـا : اخرس ، لهـذا تبعث بـى من وقت لآخر إلى مـاما . هيـه ؟ كى تعـبث ، أيهـا المهـرج ، الذى لا تكفـيك

زوجة واحـدة ، فتريد لنفسـك عشيقـة ! لكن مادمت هكذا ، فاعلم بدورك ياسيـد أن ماريا ليست إمرأة من تلك اللاتى تتخيلهن . أنا أيضا لى عشيق !

كسـينوفـون : (وقد أذهلته المفاجأة) ماذا ؟

مـــــاريـا : (بغضب وعناء) أجل ، أجل ، أجل ! ولو كـان يخطر ببالك أنك تضحك علىّ ، فأنت مخدوع ! لأننى كنت بدورى أضحك عليك ، وعلى نحو أبرع منك بكثير ، ألا تخـجل من نفسك ، وأنت فى سنك هذه . أيـها الإنسان المثقف ، الباحث فى بطون التاريخ !

كسـينوفـون : أكان لك عشيـ . .

مـــــاريـا : عشيق ! صديقك خارميذيس .

كسـينوفـون : خار . . .

مـــــاريـا : . . . ميـذيس ! ميذيس ! ميـذيس ! أجل ، صديقك خارميذيس !

كسـينوفـون : أوه ، يوروبيديس ، عزيزى .

مـــــاريـا : يقـول : يوروبيـديس ! عـزيزه يوروبيـديس . لا زال يذكر يوروبيديس . ليس لديه كلام آخر يقوله . اوه ، كـان يجب أن أعـرف هذا ، أنا الغـبيـة ، البلهـاء ، السـاذجـة ، فلا ينهشنى كـل ذلك الخوف ، والعناء ، والوخزات ، أجل ، ياسـيد ، الوخزات (بنبرات باكية)

لا يمكنك أن تعرف كم كلفتنى أنا هذه الحكاية . كنت أعذب نفسى، أتخذ مالا يحصى من الاحتياطات ، وأرتعد فرقا وأشقى ، أنا المسكينة ، جاهدة بكل الوسائل الممكنة ألا أعرض سمعتك للخطر . يفقد المرء عقله إزاء سذاجتى وبلاهتى . أتعرف ياسيد ، ماذا كلفتنى هذه المعاناة ؟ فقدت خمسة كيلوجرامات من وزنى فى مدة شهرين . . .

كسينوفون : وأنا المسئول !

ماريا : ومن غيرك ؟

كسينوفون : عن الوخزات التى نالتك، فى حين ما كان يجب أن تنالك لو انتظمت الأمور فى سيرها .

ماريا : بكل تأكيد . .

كسينوفون : وتسألينى لماذا لم أقل لك : ماريا ، يابنيتى ، لا تخافى ، فى سبيلك .

ماريا : تقريبا . .

كسينوفون : (ثائرا) أوه ، هذا يتعدى كل حدود الصفاقة !

ماريا : ما أظرف هذا ! يتكلم السيد عن الصفاقة ! وهو الذى بلغت به الصفاقة إلى حد إحضار عشيقته إلى بيتى ذاته ! ولكن بالله ماذا وجدت فيها فأعجبتك ، كلا ، قل لى ماذا وجدت فيها ، ياسيد ، يامن ضحيت من

أجل هذه المرأة باحترام الناس وبسعادتك العائلية ؟ امرأة مقززة هي ، ولا شئ غير ذلك . أنفها طويل ، فمها واسع ، عيناها متهرئتان ، ساقاها معوجتان . لقد عنيت بتأملها . ولكن هذا مستوى ذوقكم ، ياجنس الرجال ، أمثال هذه الحثالات تروق لكم !

كسينوفون : (وقد أذهلته الفكرة التى انفضحت له ، يحدث نفسه) خارميذيس !

ماريا : ياأيها الجنس الصفق . !

كسينوفون : صديقى !

ماريا : ذراع المقشة هذه ، استهوتك !

كسينوفون : هذا شئ غير معقول !

ماريا : بطبيعة الحال ، هو شئ غير معقول . هدامة البيوت هذه ، مفرقة الأزواج . لابد أن نفسها قد سولت لها أن تتزوجك ، ولكنها لا تعرف أىّ صنف من الأزواج أنت ، ولا يخطر ببالها أننى كى أتعود عليك ، وآلف نزواتك وكتبك وخفك المنزلى والسعال المخيف الذى ينتابك فى منتصف الليل ، أمضيت من عمرى خمس سنوات سوداء . ياناكر الجميل ، ياخائن العشرة ! يامن ضحيت بالكثير كى أعينك فى أبحاثك العلمية . كفاك جحودا .

كسينوفون : أشكرك على المعاونة التى قدمتها لى ، لكننى كنت أفضل لو لم تكونى قد قدمتها .

ماريا : لماذا لاتفهم ! إنك لا تفهمنى أبدا ، أنا التى حتى لا أعوقك عن أبحاثك فعلت كل ما كان بوسعى (تبكى) حتى خيانتك أقدمت عليها من أجلك !

كسينوفون : إنى شاكر لك جزيل الشكر تضحيتك الهائلة !

ماريا : أيها الكافر بالنعمة .

كسينوفون : أنت مجنونة ، مجنونة !

ماريا : أجل ، أجل ، مجنونة ! من صالحك أن تقول عنى ذلك . ولكنى أنا المسكينة اضطررت أن أقيم علاقة مع خارميذيس ، ليس من أجل شئ سوى أن أجد متنفسا لحيويتى . مائة مرة قال لى الرجل ما الذى يجعلك تريدين هذا الكهل المهلهل . تعالى نرحل ، ونتزوج ، ولكننى أنا الحمقاء البلهاء كنت أحب ، كما ترى ، هذا الكهل المهلهل ! ولم يخطر ببالى قط أن أطلق منه . أما الآن ، فإنى سأرحل ! سأرحل ، ياسيد ، عن البيت الدنس هذا . وحذار أن تتجاسر وتنبس بكلمة أخرى ، لأننى سأهوى بالصفعة على وجهك .

كسينوفون : ماريا !

ماريا : أيها المتهتك !

كسينوفون : أفيقى ، وثوبى إلى رشدك .

ماريا : أفقت ، وثبت إلى رشدى . ستعود ماما الليلة من كيفيسيا . ولذلك ، سأذهب حالا ، حالا ، أجمع

بعض حاجياتى ، وأرحل . ولو سولت لك نفسك أن تصعد إلى وتعاود الحديث إلى ، سأضربك !

(تهم بالانصراف)

كسينوفون : اسمعى ياماريا . . .

ماريا : لا أسمع شيئا (تنصرف . ثم تعود) ما اسمها ؟

كسينوفون : لا أعرف .

ماريا : ولماذا أصدع رأسى بالسؤال عن اسمها ! ليس هذا من شئونى ، ولا يعنينى

(تخرج ناحية اليسار)

(يبقى كسينوفون وحيدا على المسرح . وقد شرد بصره فى الاتجاه الذى خرجت منه ماريا . من الباب الخارجى يدخل خارميذيس . وهو شاب لا يزيد عمره عن الثلاثين . خفيف الظل . يشوش) .

خارميذيس : أوه ، سلام عليك ، يا استاذ كسينوفون . . .

كسينوفون : (ينظر إليه . يزدرد لعابه . متمالكا نفسه) وعليك السلام ، ياسيد خارميذيس . .

خارميذيس : لم أفرغ من أعمالى إلا توا ، وجئت لأنعم بصحبتك قليلا .

كسينوفون : جئت فى الوقت المناسب . .

خارميذيس : والمدام ؟ أين المدام ؟

كسينوفون : (يسلط نظراته فى عينيه) إجلس . . .

خارميذيس : (يجلس) شكرًا. أرجو أن أسعد اليوم بالاستماع إلى تكملة الفصل الذى قرأته لى يوم الثلاثاء الماضى . استهوانى كثيرا كيفيسيفون هذا على حسب رسمك لشخصيته .

كسينوفون : (ينظر إليه) طبعا ! طبعا !

خارميذيس : كما تبدو زوجة يوروبيديس فضلا عن ذلك أمرأة على غاية من الشرف والفضيلة . وأنك لتستحق التهنئة على ردك الاعتبار إليها ، بعد كل هذه العصور من الافتراء عليها .

كسينوفون : هل تعتقد ذلك ؟

خارميذيس : لا أشك فى ذلك (ينظر إليه دهشا) لكن ما بك ؟ تبدو مضطربا بعض الشئ .

كسينوفون : أجل ، بعض الشئ .

خارميذيس : ماذا حدث ، ياسيدى الأستاذ ؟

كسينوفون : حدث لى شئ غريب ، ياعزيزى . (بإيحائية) وبدأت أشك جديا فى إخلاص زوجة يوروبيديس . .

خارميذيس : أوه ، وكيف يحدث ذلك ؟

كسينوفون : يحدث ! يحدث . .

خارميذيس : لكنك ياسيدى الاستاذ ، أهرقت مدادا كثيرا لإثبات ما هو عكس ذلك تماما .

كسينوفون : أجل ، ولكن يبدو أن أفضل السبل ليس أن يهرق المرء الحبر على هذا النحو . يتعلم المرء أكثر لو دلق زجاجة حبر من النافذة . .

خارميذيس : (دهشا) كيف ؟

كسينوفون : على فستان امرأة .

خارميذيس : لا أفهمك . . .

كسينوفون : سأشرح لك . (ينظر فى عينيه) أواجه بعض المشاكل ، وأريد أن اسألك النصيحة . ماذا تعتقد أنت ، ياصديقى ؟ ماذا كان على يوروبيديس أن يفعل لو نما إلى علمه أن صديقه كيفيسيفون عشيق زوجته ؟ أماكان يجدر أن يخبره بذلك ، ياسيد كيفيسيفون ؟ يامن لا ضمير لك ، ما دمت تدخل إلى بيتى ، تتظاهر بأنك صديقى ، وتغوى زوجتى ؟

خارميذيس : (يسعل متضايقا) . . .

كسينوفون : أما كان يجب أن يخبره ؟

خارميذيس : (مضطربا) وكيف لا ، أجل ، كان يجب . .

كسينوفون : (يزداد اقترابا منه ، ويصوب نظراته إلى أعماق عينيه) أما كان يجب أن يخبره يا سيد كيفيسيفون ؟ أنت رجل مخادع وأعجب كيف تواتيك الجرأة أن تواجهنى ، بل وأيضا أن تنظر إلى عينى ، وذلك بدل أن تخفض عينيك خجلا . .

خارميذيس : (يخفض عينيه بطريقة آلية) . .

كسينوفون : أما كان يجب ذلك ؟

خارميذيس : (وقد ارتبك تماما) كيف ، لا بالطبع . كان يجب . .

كسينوفون : (يزداد اقترابا منه بينما يتكمش خارميذيس فى مقعده) أما كان يجب أن يخبره ؟ ياسيد كيفيسيفون ، يعطينى العالم كله الحق أن أطبق على عنقك وأزهق روحك ، مادمت قد سرقت منى زوجتى ، وخنت أشرف ما فى الوجود ، خنت الصداقة !

خارميذيس : (يزدرد لعابه وقد جف حلقه ، واستبد به الخوف)

كسينوفون : أما كان يجب ذلك . ؟

خارميذيس : كيف لا ، بالطبع ، كان يجب .

كسينوفون : (يتراجع قليلا) ولكن إذا لم يكن يوروبيديس يريد إثارة الفضيحة لأنه كان لازال قادرا على حب أمرأته ، فهى على الرغم من زلتها أغلى ما فى الوجود بالنسبة له ، هى أهزوجة فرح فى زخم كتبه البليدة ، ونغمة مرح ربيعى فى شتاء روحه الملبدة . ولهذا فهو مستعد أن يغتفر لها كل شئ ، لمجرد الاحتفاظ بها إلى جواره - إذا كان هذا ما حدث . . .

خارميذيس : (بذات لهجته الحائرة) إذا . . .

كسينوفون : أما كان يجب أن يقول لكيفيسيفون . . . (فجأة يغير لهجته الرقيقة ، وينقلب على خارميذيس شرس العبارة ، مواصلا كلامه غاضبا)

أيها الحقير القذر ! أيها الوغد الحمار ! وقعت فى أسوأ ما يمكن أن يوقع فيه إنسان لا ضمير له ! ولكننى لن أخنقك ، أيها المخلوق التافه المضحك ، لأننى لا أريد أن أثير الفضائح . (بصوت ضار) اخرج من هنا ، إلى الجحيم فلتذهب ، ولاتضع قدمك فى بيتى ، لأنك إن فعلت ، فسأقطع ساقيك ! (بينما يقول كسينوفون هذا الكلام لخارميذيس ، يتضاءل هذا الأخير منكمشا فى مقعده وقد تملكه الخوف . بعد ذلك يغير كسينوفون من لهجته رويدا رويدا . يتراجع ، ويقول بصوت أكثر رقة ، كما لو كان يتكلم عن شخص غيره) هذا ماكان سوف يقوله يوروبيذيس !

خارميذيس : أ . . . أجـ . . أجل . . .

كسينوفون : (تدخل ماريا ثائرة ، وقد ارتدت قبعة ، متأهبة للخروج . ما أن ترى خارميذيس حتى توجه إليه خطابها بألفة ، وإصرار)

ماريا : آه ، أنت هنا ياخارميذيس . . هيا ، فلنذهب !

خارميذيس : (دهشا من لهجتها . ينهض من المقعد وينظر إليها) ماذا ؟

ماريا : فلنذهب . فلنذهب !

خارميذيس : (لازال دهشا) سيدتى . .

ماريا : فلنذهب . ودعك من مناداتى بياسيدتى . إنه يعرف كل شئ !

كسينوفون : (إلى ماريا) اهدئى قليلا ، ياماريا . اهدئى . .

مـــــــاريـا : لن اهدأ أبدا ! (إلى خارميذيس) هل تتصور ذلك ؟ وجدته هنا مع عشيقته . كانت عارية . كما ولدتها أمها ! ولشدة خوفها عندما سمعتنى قادمة ارتبكت فارتدت أحد فساتينى !

خارميذيس : (دهشا) صحيح !

مـــــــاريـا : أجل . هذا ! هذا القديس ! (تشير إلى زوجها)

خارميذيس : (بتشجع) آه هكذا ؟ تهانى ، ياسيدى الأستاذ ! فى هذه الحالة ، لا تصبح الأمور بالتعقيد الذى بدت عليه . كان بإمكان كيفيسيفون أن يلتفت إلى يوروبيديس بشكل رائع ويقول : ياسيد يوروبيديس ، ما أردته لغيرك ترديت فيه أنت .

(من الباب الخارجى ، تدخل هيلينيتسا بصحبة خريستاكى . هيلينيتسا ثائرة على الدوام وعصبية ، ترتدى فستانا من فساتينها هذه المرة وتحمل لفافة . ما أن يدخلا تشير إلى كسينوفون وتومئ لخريستاكى)

هيلينيتسا : ها هو ! هذا هو !

خريستاكى : (إلى كسينوفون) ياسيد ، يحزننى كثيرا إهمالك وعدم تحركك ، ولكنك ستدفع لنا التعويض بالكامل .

كسينوفون : سأدفع لكما التعويض ، ياسيد . .

خريستاكى : أين فستان الآنسة ؟

كسينوفون : (يتناوله من أحد المقاعد ويعطيه له ، بينما يتابع ماريا وخارميذيس ما يحدث مندهشين) تفضل ، تفضل ، ياسيد ، هاهو .

هيلينيتسا : (تأخذ الفستان ، وتبسطه . فيبين كل ما علاه من بقع الحبر) انظر كيف أحاله ! كنت قادمة بفرحة لألقاك ، وفجأة أثناء مرورى من تحت نافذته ارتطم رأسى بشئ . المحبرة كلها سقطت على . (مشيرة إلى الإصابة) انظر ! أحدث بى كدمة ! (تشير لخريستاكى وإلى ماريا) وهذه الذكية هناك كادت تزهق روحى معتقدة أننى صديقته ! (إلى ماريا) ومن ترضى بكهلك الوخم ! (تقذف إليها بالفستان) خذى قفطانك القديم . (إلى كسينوفون) وأنت عليك بتجهيز النقود . غدا ، سيمر عليك خريستاكى ليأخذها كلها ! (إلى خريستاكى) هيه ، أليس كذلك ، ياخريستاكى ؟

خريستاكى : (إلى كسينوفون) غدا صباحا .

هيلينيتسا : (إلى كسينوفون) ثلاثة آلاف عن الفستان ، وألفان عن الأضرار النفسية ، وثلاثة عن الكدمة بالرأس !

كسينوفون : اتفقنا . .

هيلينيتسا : هيا ، ننصرف ، ياخريستاكى ؟

خريستاكى : هيا ، ننصرف .

هيلينيتسا : (تقذف إلى كسينوفون الفستان الملطخ ببقع الحبر) وهذا خذه كى تدعك به رأسك الصلعاء ! (إلى خريستاكى) انظر أى رجل تصورت المدام أننى اشتهيته (إلى ماريا) احتفظى به ، ياسيدتى ، حتى تجرى عليه سحبا فى اليناصيب يوم الأحد !

خريستاكى : هيا ، ننصرف ، ياهيلينيتسا . . .

هيلينيتسا : هيا (تتأبط ذراع خريستاكى ، وينصرفان)

(ماريا خجلة بسبب كل هذا ، وتبدو تائهة)

ماريا : ياه ، ياه . . . ياله من مقلب !

كسينوفون : (ينظر إليها برقة) هل تصرين على الرحيل ، ياماريا ؟

ماريا : (بلهجة اختلطت فيها نوبة المجادلية ببراءة طفلة) سامحنى ، ياكسينوفون . . لكن لا ذنب لى، أيضا! يوروبيديس، كيفيسيفون . . كيفيسيفون ، يوروبيديس . . بهما جننتنى سنوات طوال ! لا نزهة ، ولا مسرح، ولا سينما ، ولا لحظة تكرسها للتفكير فى زوجتك ، لا تفكر إلا فى زوجة يوروبيديس !

خارميذيس : إذن ، ياماريا . . .

ماريا : (بعصبية) دعنى وشأنى أنت أيضا ! رجوتك رجاء وحيدا ، ألا تضع قدمك فى بيتى ، ولكنك على الدوام هنا ، هنا ، هنا ! جرفك الاهتمام الشديد بكيفيسيفون !

خارميذيس : (بآلية) إذن ، اسمحوا لى الآن بالانصراف .

ماريا : هيا ، مع السلامة . . .

خارميذيس : (إلى كسينوفون خجلا) ياسيدى الأستاذ . . .

كسينوفون : (بلهجة هادئة) أخل البيت ، اغرب عنا . . .

(ينصرف خارميذيس ، يلتفت كسينوفون إلى ماريا ، ويقول بلهجة رقيقة)

كسينوفون : ماريا ، عزيزتى .

ماريا : (بدلال مثل طفلة) أجل ، الآن فحسب استيقظت عواطفك !

كسينوفون : أنت رائعة الجمال ! . .

ماريا : مبروك ، عادت إليك عيناك . الآن فحسب تنبهت إلى وجودى .

(تخرج من جهة اليسار) .

(يبقى كسينوفون وحيدا على المسرح ، مستغرقا فى التفكير . يتنهد ثم يمضى إلى مكتبه . يتناول مسوداته، يتأملها ويقول محادثا نفسه) .

كسينوفون : التاريخ ! أيها المسكين كسينوفون ! لم تكن تعلم ماذا يجرى فى بيتك ، وتعتقد أنك تعرف ماذا كان يجرى فى بيت يوروبيديس . . . منذ ثلاثة آلاف سنة ! . . مزق مسوداتك ، مزق ! (يمزق مسوداته على مهل ، بينما يسدل الستار .)

الفهرس

صفحة

- اتجاهات المسرح اليونانى الحديث 5
١ – لقاء فى الليل 27
٢ – المدينة 69
٣ – الاستعراض 111
٤ – السيد المطاع 149
٥ – آدم وفانيسا 199
٦ – هموم الآخرين 223
٧ – العواطلى 245
٨ – السلفة 265
٩ – الصراع 281
١٠ – مجانين العصر 303
١١ – السلحفاة الزرقاء 327
١٢ – نقطة حبر 353

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز

الإشراف الفنــى: حســن كامـــل

عرف المسرح اليونانى بعد الحرب العالمية الثانية جيلا اعتبر كتابه أنه ليس من الصواب الاعتقاد بأن التجربة الوحيدة التى يجب أن يعتد بها كاتب المسرح اليونانى الحديث هى المسرح الإغريقى بتقاليده وانشغالاته وطقوسه بالغة القدم، وقرروا ألا يجعلوا ذلك المسرح بكل عظمته يشكل عبئا جسيما يقف فى وجه الإبداع المسرحى، ذلك أنه عندما تشحذ الحركة المسرحية قواها الإبداعية قد تبلغ عظمة مماثلة لعظمة ذلك المسرح العريق. أما البدء بتقليده والتبعية له فليس من شأنه إلا التردى فى العقم والفشل.

كانت جرأة بالغة غير مأمونة العواقب أن قرر طليعيو المسرح فى اليونان أ
يديروا ظهورهم لمسرحهم الإغريقى
ويسيروا فى مغامرة إبداعية شاركوا ب
فى الحركة الأوروبية، ليس كمتفرجي
فحسب، بل بدوا فى كثير من الأحيا
أكثر إقداما وثقة بما يفعلون من رفاقه
الطليعيين فى المسرح الغربى.

تصميم الغلاف : محمد بغدادى